بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

محمد المختار السوسي

الالغيـــات

٣

المغرب

بين يدى القارىء الجزآن : الاول والثانى من هـذا الكتاب الذى هـو شبه (المذكرات) فى ناحية . وشبه مجموعة أدبية فى ناحيـة أخرى . ثـم حرصت على أن لا ازال أودع فيه كل ما يهم مما يدور حولى . مما بينى وبين الحكومة . منذ أن أناتنى الى هذه الغربة . فآتى بكل ما يكون منها نحوى . وبكل ما يخطر منى حولها مما يتعلق بهذا الابعاد .

(هـذا) وقد هدأ ما بينى وبين الحكومة منذ سنتين . فلا أرى لأحـد رجالاتها وجها . ولايصلنى عنهم ما يهم فى جانبى الآن تنفا لاتلفت الانظار . وقد دهمت هذه الحرب الغاشمة . فانست رجال السياسة ما كانوا فيه قبل من مراوغات سياسية . ومهاجمة الضعفة . وحالت بينهم وبين قلوبهم . حتى لينسون أمثالى ممن هم فى الحقيقة انما كانوا على هامش أعمالهم . وما كان يدفعهم الى الاشتغال بهم الآن فراغهم من صدمـات أعـدائهم . وتخيلهم من انفسهم قوة عظيمة لاينضب معينها . ولا تفنى مناجمها . ولكن لما صال الدهر صولته . وزار العدو زئيره . وانكشفت السجوف عن الحقائق . اتاهم مـا لايحسبون . وعاينوا - ولكن بعد خراب البصرة - ان ما كانوا فيه انما هى أوهام فيها يختبطون . وعجرفة بغرورها ينتفخون . كما شاهدوا كل المشاهدة غلطهم الفادح . حين كانوا يملأون أوقاتهم . ويعمرون أنديتهم بالاشتغال فى قطع أعمال أمثالى . على حين انهم يتركون الاشتغال بما هو الواجب الآكد . والفرض الآحق . من التهيىء لهذا الصراع العنيف الذى ساد اليوم العالم من أقصاه الى أقصاه . فان لم يكن كل العالم اليوم على ذلك حقيقة . فان ذلك هو المترقب فى الغد القريب . والامواج متى انطلقت لاتقف الآن اذا وصلت كل ما يمكن أن تصله من السواحل .

كما اننى جد حريص ايضا أن أحشر فـى الكتـاب الرسـائـل التى أتوصل بها من عند أصدقائى . لتبقى مخلدة كبرهان حى دائما عن وفائهم لأخيهم المنكوب ظلما وعـدوانا . من غـير أن يجترح جريمة . ولا أن يقف موقف ضد الامن . ولا أن يكدر صفو المجتمع . ولا أن تقدم به شكوى . وما ذنبه الا وطنية هادئة علمية نشأت عن ايمـان صادق . وضمـير حى . وعزوف عن الاستخذاء . وتعال عن الاهطاع للاستعمار . وعـن البصبصـة بالذنب بين أقدام المحتلين الجبابرة .

وكل من كاتبونى فى منفاى هذا . أو سربوا الى مـا سربوا . فاننى اشكرهم من أعماق قلبى . وأقدم لهم منذ اليوم اننى ممتن لهم بكل مـا

أسدوه الىَّ فى غربتى هذه . وما انا يوم أتوصل من أحدهم برسالة الاَّ كأننى من المتوَّجين الذين يتسنمون العروش . والحاشيـة والحشم واقفون سماطين . والرعية كلها واردة صادرة عن الاوامر . لاتسأل الى أين ولا لم . استرد كلما توصلت منهم برسالة بهجة الحيـاة . وأتلقى نسيم الروح والريحان . فكأننى عدت ثانيا الى ما بـين اخوانى فـى (الحمراء) أفاكههم وأجاذبهم أحاديث الادب . وما أدراك ما (الحمراء) واخوانى فى (الحمراء) .

كما اننى ايضا أضع فيه كل ما جاشت به الفكرة كيفما كان . فلذلك يرى فيه القارىء بعض منظومات صدرت منى . لاتمت الى الشعر الاَّ بالوزن وحده والقافية . وكان الاجدر ـ لو كنا ننتخب ـ أن يلقى غالب ذلك فى سلات المهملات . ولكن حرصا على ما يحيط بحياتى فى هذه الغربة . وعلى تقييد كل ما امكن من الخواطر التى ترد علىَّ فيها . كنت أنظم فى الكتاب تلك الحرزات . ازاء ما لابد أن يكون فيه من الدرات . وأنا أكتب للتاريـخ الذى يقبل كل شىء . لا للأدباء وحـدهم . الذيـن لاتستهويهم الاَّ النخب العبقرية التى تمتع بروحها الوثاب . وبيانها الساحر . وشعورها الفياض .

(هذا) فحين اكتب ما يتيسر كيفما كان . زائغا أو منفسا . اننى على كل حال أحمد الله الذى يسر لى ذلك . مع ما أنا فيه من بلبلة افكار . وتطور النظرات . فطورا أكون فى أوج الرجاء الذى يمثـل لى المستقبل مستقبلا مزدهرا . طلق المحيا . طافح البشر ؛ فينـان الحريـة . وريف الاستقلال . وطورا تخطفنى يد اليأس خطفتها . لكونى لا أرى اليوم الاسس التى يشيد عليها المستقبل . ولا ألمس من طوالع الاستقلال والحرية الاَّ آمالا لاعمل معها ايجابيا . والاَّ أسبابا واهية منقطعة الاواصر . وفى حين آخر أقف مستسلما فأقول : ان المستقبل بيد الله ؛ لا أحد يعلم ما ينطوى عليه سواه . فأنا اليوم فى مفتتح السنة الخامسة التى تدور علىَّ فى هذا المنفى . أجيـل عينى من جديد . كما كنت أجيلها دائما فى هذه السنوات الاربع الماضية . فأرى أننى اليوم فى حالة اخرى غير التى كنت عليها فيما مضى . فقد كنت أتوقع أن تعلن لى الحكومة أننى فى حرية أذهب كيف أشاء . فأندلق من منزواى هذا . الى حيث يطيب لهزارى التغريد . وينفسح أمام تحليقى الجو الصقيل . فأطير كيف أهوى . وأتنقل مختارا كيف أشاء . وأزاول أعمال التعليم الذى لـه وحده خلقت . وكان فىَّ استعداده .

وأما اليوم وقد التقت على العالم حلقتا البطان (١) ودارت ارحاء المفجعات

---

١) البطان بالكسر : مـا يستدير تحت البطن لشد الرحل على الناقة . والمثل يضرب لاشتداد الامر .

فى كل جوانب الارض . ويتوقع أن تعم الكارثة كل أرجاء الكرة الارضية . بعد أن تصلب المتحاربان . واستعد الفريقان . وكلاهما يدل بقوة عظيمة . وبحزب كبير عتيد . يضم دولا عظاما فى الشرق والغرب . فلا أترقب أن أجد لى فرجا كما أريد . حتى لو كانت الحكومة أطلقت سراحى . فالى أين ؟ والغلاء ضارب أطنابه . و (المغرب) يقرب شيئا فشيئا من أتون الحرب . والحواضر تستهدف لاكثر مما تستهدف له البوادى فى هذا الجانب الذى نقطن فيه . وكأننى بـ (المغرب) - لاقدر الله - قد اندلعت فيه الفتن . وعادت اليه حالته المعهودة من قديم جذعة . أفلا يكون الاولى بى أن لا أزايل هذا الهدوء الذى أنا الآن فيه الى أن يفرج الله عن العالم أجمع . والى أن يجد أبناء قطرى متنفسا من هذا النير الذى أخذ بالاكظام . واحاطت جوامعه الملحة الضيقة بالاعناق . فما المسألة اليوم مسألتى وحدى . بل هى مسألة كل (المغرب) . بل كل الاسلام . بل جميع العالم شرقا وغربا . فلذلك يجب على أن أوطد العزيمة على أن استقر فى هذه القرية الهادئة الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا . ولا يعلم ما فى الغيب الا هو وحده (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد)

اسود الجو . واكفهرت الحياة . وضاقت السبل بالاحياء . بسبب فقدان مواد ألف الناس أن لايعيشوا الا بها . فقد انقطع الكتان وما اليه من كل المنسوجات . بل انقطع عن (المغرب) كل ما كان ياتيه من الخارج . فلم يزل الضيق يتزايد . فتستحكم حلقاته شيئا فشيئا . منذ الهيعة الاولى الى أن بلغت الحال الآن مبلغا عظيما . وتحرجت تحرجا شديدا . ثم لانجد فى الافق الا ما ينذر بأننا لم نزل بعد فى الخطوة الاولى قبل خطوات ينتظرها العالم نحو الشدة والعنف ومرارة الحياة . فهذه (أماريكة) قررت اعانة (بريطانية) وهى ما هى فى القوة ووجود المواد الاولية والمعامل الهائلة . فدل ذلك على أن (بريطانية) ستزداد تصلبا وتضحية لما تتوقعه من الانتصار بعد هذه الاعانة التى لانهاية لها . حين تنخرط قوات الولايات المتحدة فى صفها . ولاريب أن لهذه القوات الهائلة التى دخلت الميدان من جديد تأثيرا كبيرا فى حماسة البريطانيين . كما يؤثر ذلك بدوره على تحالف (المحور) و (اليابان) وما الى اتفاقهما المعهود . فسيغامر الكل بما فى جهده . فيقع العالم فيما يقع فيه مما لايعلم الآن كنهه الا الله وحده .

عجبا . طالما كنت أسمع عن أصحاب الارواح المحدثين . أو الكهان . أو المتنبئين - أو سمهم ما شئت - انهم يعلنون عن عام ستين ما يعلنون . فيدور على ألسنة كثيرين هذا السجع :

(عـام ستين . اشتر العود (١) بستين . وتحرف (٢) بالسكين .
ولا تقل أنا مسكين) فهل هذه السنة الجديدة العربية التى نحن فيها الآن :
١٣٦٠ هـ هى المقصودة . فمن يدرى . وهذه أحوال العالم تكاد تنادى بأن
هذه السنة سنة نطاح هائل . لاحد لما ستحدثه فى الدول . وهل يمكن ان
يقع ما هو متوقع من انخراط هذا القطر الذى نسكن فيه فـى هذا الجحيم
العالمى رغم أنفه . وذلك اما بثورة من فيه من الفرنسيين على حكومتهم التى
يراسها (بيتان) فينضمون الى الفريق الآخر ليوجدوا طريقا مفتوحا يحاذى
البحر الابيض . ان شملت الثورة (المغرب) و (الجزائر) و (تونس) . وهو
باب كبير تتحلب شفاه الانكليز الى ان ينفتح له . واما بهجوم الانكليز على هذا
الجانب . فيحتله وما أسهل ذلك . لان حامية (المغرب) قليلة فى الوقت الحاضر
وسواحله غير محصنة كما ينبغى . فان وقع اذ ذاك أحد هذين الامرين تدخل
اسبانيا بدورها مع المحور فى الحرب . فيكـون (المغرب) جنوبا وشمـالا
موضع معارك هائلة يتلظى بها وتدور من أجله فتن عظيمة من لون ما يألفه
من عصوره الاولى . ولاريب ان المغاربة أنفسهم اذذاك . سيغامرون هم أيضا
بدورهم لعلهم يحصلون على طلبتهم من الاستقلال المنشود . وفى أثناء كل ذلك
يقع ما يقع . فهل كل هذا ستشاهده هذه السنة . أو تشاهد على الاقـل
مبادئه . ثم يكون للسنوات المقبلة بعده حظها الاوفر . أم ان الله سيرحم هذا
القطر فيدرأ عنه كل ما هو متوقع (٣)

بهذه الافكار استقبلتنى هـذه السنة الجديدة . وأنـا افتتح هذا الجزء
الثالث . وقانا الله من شرها . وآتانا من خيرها بفضله ومنه . انه سميع مجيب)

---

١) يقصدون بـ (العود) : الفرس - وهو هنا بفتح فسكون -

٢) يعنون بالتحرف بالسكين : تقلد السكين .

٣) الحقيقة أن الله رحم هذا القطر . فحفظه من هذه الحرب . ولم يتغير عما فيه . حتى بعد أن احتله الجيش الامريكانى . ثم ها هو ذا الآن يتمتع بضالته المنشودة من الاستقلال .

(كتبت هذه الحاشية عام ١٣٧٧ هـ)

ولـدي سعيـد

استقبلنا : ٩ ـ ١ ـ ١٣٦٠ هـ نسمة جديدة تمخضت بها (الغ) لنا . فتلقيناها باليدين شاكرين الله تعلى على ما وهبه لنا بفضله . وقد أقمنا له حفلة العقيقة بين الاسرة . فكانت حفلة ابهج وآنق من حفلـة مولودنا الاول (عبد الله) ثم انجلت الحفلة عن تسميته بـ (سعيد) :

وللاختيار لهذا الاسم الغير المالوف فى قريتنا كثيرا . نبـأ خاص . وذلك اننى رأيت فى المنام ليلة ٢٥ رمضان الماضى اننى جالست والد زوجتى سيدى ابرهيم بن محمد التازاروالتى . فقال لى : أين الولد السعيد الزائد عندكم ؟ فقلت له : لما يزدد عندنا شيء . فقال : بلى . فلما استفقت اتفق أن جلست الى الرجل الصالح سيدى يوسف (١) الاكتيفيفى من أكابر أصحاب الشيخ الوالد فى ذلك المجلس نفسه . فسألنى : هل ازداد عندكم ولد آخر؟ فتذكرت الرؤيا فقصصتها عليه . فدعا بخير . فمن ذلك الوقـت عولنـا ـ أنا والأم ـ أن نسمى الحمل الذى عندنا بـذلك الاسم ان كـان ذكرا . فاتفق ان كان الامر كذلك . جعله الله سعيدا كاسمه .

ولدى : انك جئت فى وقت غلت فيه العوالم بالحروب الدامية . وجرت فيه الادمع من كل عين على الاسواق الغالية . فلا تبأس ان آنست قلـة من الملبوسات التى كان من العادة المتبعة أن يكدسها المهنئون حوالى كل مولود فى يوم عقيقته ـ اذ كان واجبا على كل أسرة لها اتصال بأسرة المولود أن تاتى بكسوة . فريضة معتادة ـ فربما كان حظك فى مستقبل عمرك بعون الله غير مقروء العنوان فى هذا العهد . فقد كان صنوك (عبد الله) ولد فى سنة مسغبة هائلة . ثم ها نحن أولاء نراه يتقلب الى الآن بين الخيرات . مما نتطلب الله بكل الحاح أن يديمها عليـه ما دام فى هـذه الحياة (٢) من نعم سابغة . وخيرات حسان . فكذلك أنت لايروعنك ما تراه مـن الغلاء المفرط فى فجر حياتك . فكم فجر غير مشرق انكشفت رابعة النهار بعده عن يوم ضحوك . مشرق الجوانب . يكاد يقطر غضارة (٣) ثم انك بلاريب

---

١) من رجال (منية المتطلعين) المطبوع

٢) حقيقة كان يتقلب فى النعم حتى استأثر الله به فى (مراكش) وقد حفظ القرآن وهو ابن اثنتى عشرة سنة .

٣) ها هو ذا سعيد الآن وهو ابن نحو ٢٢ سنة . يتقلب فى أنواع الملابس بين أقرانه فى المدارس التى يتابع فيها دراسته يتنوع فى الالبسة .

لاتشكو الجدب من هذه الناحية فقط . بل تشكوه حتى فى الآداب . فانك عرفت من عالم الارواح ما كان تلقى به صنوك من أدباء (الغ) فى ذلك العهد - اذ باب والده لايزال مفتوحا - من قواف متعددة - كما فى (الجزء الاول) - على حين انك لم تتلق باية قافية . حتى والدك قد أدركته بعدما استولى الفتور على فكرته . والنضوب على قريحته . فلم ينبس حولك ببنت قافية . كأنه ليس بذلك المتفيهق الذى كان من عهد بعيد يتحين كل فرصـة . فيتخذها سببا لمناجاة ربة الشعر .

كل ذلك كان حقا - يا ولدى - ولكن يجب عليك أن لايهمك . فربما كان لك كما نرجو من علام الغيوب . ومصرف الاقدار . غد مترع الكؤوس بالادب المصفى والشعر المروق . ومن يدرى فلعل والـدك يخرج بمعجزة جديدة من هذا الفتور . فيفرغ عليك قصائد طنانة . تتعالى بها على صنوك يوم تتلازّان فى مستقبلكما ان شاء الله فى ميادين الادباء . وتتسابقان فى مضامير الافتخار . بما دشن بـه الادب الالغى الخطـوة الاولى من كل واحد منكما (١)

ولدى : انك جئتنى وأنا فى السنة الثانية والاربعين وقـد تخطيت العقبة . ودب الى دمى فتور الكهولة . وتبدت من ذقنى شعرات اكتست لون الكفن . فلئن تطاولت بنا السنون معا . فستبلغ العشرين فى الوقت الذى يبلغ فيه والدك مافوق الستين (٢) فهل تحنو على شيخوخته أيها الولد . وهل تبره بكل ما توتاه من قوى الشباب . فتعينه على مهام هذه الحياة ما دام فيها . ثم تراعيه فى كل لحظاته حتى تودعه فى حفرته . فتكون بذلك أفضل ولد بار أدى ما عليه لمن كان له قلب هو أول من دق دقات الفرح يوم ولادتك . وليت شعرى متى تقرأ هذا . بل أتمنى لو فتح لى الغيب . أن أرى كيف تكون لأبيك يوم تدرك مدرك الرجال . وتقرأ هذا الذى اكتبه اليوم .

أنا وأبو دلامة

ذكر المترجمون لهذا الشاعر الماجن أنه كان حمل بنية له فبالت عليه فقـال :

أبلت تعمـدا يـا شر انثى   فبال عليك شيطـان رجيم

١) أمنية طارت فان عبد الله فى العالم الآخر . وسعيد الى الآن لم يظهر منه أنه يميل الى الادب . ٢) الآن سنة ١٣٨٢ هـ استوفى أبوه ٦٥ سنة .

فما ربتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

ذكرت هذه الحكاية حين قلت هذين البيتين أول يوم حملتك فيه يا ولدي (سعيد) فبللت بردي . وقد عاكست أبا دلامة المشهور بالهجو . حتى قسم من هجوه لنفسه ولقرينته ولابنته بما هو مشهور :

بللت البرد بَلّتك المعالي بارحام لها عرفت جدودك
خلقت من الندى فنديت جودا لبُردي بالذي أندى برودك

١٦ ـ ١ ـ ١٣٦٠ هـ

فطام سعيد

في وسط يوم الاربعاء آخر جمادى الثانية عام ١٣٦١ هـ فطم ولدنا (سعيد) وقد أمضى في حياته سنة ونصفا وقد عانى من شعبان الى الآن ضعفا كبيرا . حتى صار به كالخلالة نحولا . وكثيرا ما أرى أنا وأخرى معي يعرفها : أن روحه ستخرج في الحين . وقد بلغ في صفر من هذه السنة مبلغا أيسنا منه بسببه . ثم افسح الله في أجله . وقد ازرته مع أمه واخيه عبد الله أخواله في ربيع الثاني من هذه السنة . فأتى من هناك أيضا بضعف شديد . من جراء نبات أسنانه . واليوم رأينا أن نفطمه . لعل قلة القوة من لبان أمه هي التي تضر به . وليكتف بما يناوله من طعام . ومن حليب بقرة اشتريتها له في ربيع الاول من هذه السنة .

ربما يقول من كان يتتبع ما كنت استقبل به أخاه عبد الله في كل مناسبة من الذكريات: هل كان مثل ذلك لسعيد ؟ فأجيبه بأننا بعد هذه الحرب في تفكير عظيم . نترقب في كل وقت آخر خبرا من أخبارها . ففترت همتي وصلدت فكرتي عن أمثال هذه العائليات . ثم منذ صرحت لي الحكومة بتسريحي في المنطقة السوسية . اندغمت في كتابة ما يجدي نفعا لنا ولغيرنا مما أكتبه في (خلال جزولة) واستتمه في (المعسول) واخوانه . أنبت الله الولد وصنوه نباتا حسنا . واقر بهما أعيننا .

٢٩ ـ ٦ ـ ١٣٦١ هـ

الذكرى الثانية لسعيد

كتبت الى الاستاذ سيدي الطاهر بن علي على لسان سعيد حين لم يحضر

يوم عيد الذكرى بمولده :

ايا أيهـا القاضى الاجـل المبجل — ومن منه كل ما يراد معجل
ومن فضله على جميع لداته — بمحكمة المجد الصميم مسجل
ومن منه قول الحق حكم مسمط — فمن يمتطى متن الاباطيل يرجل
ومن قلبـه للمستديرين حولـه — لمافيه من طهر الصفاء سجنجل ١
اتعزم يا فذ العلا والندى على — مبارحتى واليوم عيدى المبجل
وقد تم لى عامان يومى واننى — بأفراح تعييـدى محلى مرجـل
اعيّد يومى ثم تنوى تنائيا — ألست من التثريب منى توجل ٢
أذاك جميل منك أم لم يكن لدى — بنى جيلكم من مثل ذياك مخجل
أأصبح فى التعييد ثمت لم يكن — لتهنئة بالعيـد منك يعجل
الية نجل طاهر السعد طاهر السـ — ريرة فذ مثله ليس ينجل
اذا لم تبادر لى بتهنئة لها — حبيب بن أوس فى البلاغة يخجل
لاستصرخن الناس بالشعر ثم لا — أبالى أعضب أم كهام ومنجل
أيظفر عبد الله صنوى لديكم — بما فى سجل التهنئات يسجـل
وابقى أنا صفرا فيالك سبة — تفور بها الاحشا كما فار مرجل
ستعلم ان أخلفت هل فرس أتى — يدوسك اوهوجاء تعرج هوجل٣
فانى من قوم متى يحملوا على — أسود الاعادى فى المعامع ينجلوا
لعلك ان تـدرك مكانة سطوتى — الى مقصدى من رجع طرفى أعجل

مرضة شديدة في سعيد

بعد ولادة سعيد بشهور قليلة . اعترته غشية غريبة بغتة . وذلك انا جالسون وهو بين يدى أمه فى حجرها . اذا بالولد انقلبت ـ فجاة ـ عيناه . وامتدت يداه . واغبر لونه . فثارت اليه افئدتنا نحسبه فى النزع . وبعد نحو دقيقة أو دقيقتين أفرج عنه . فارتخى جسده ارتخاء . وصار يبكى بكاء قليلا عن جهد منه . وأبى التقام الثدى . فكوته عمته الصالحة (مريـم)

---

١) السجنجل : المرآة
٢) توجَل : تخاف
٣) هوجاء هوجل : هى الناقة التى فيها هوَج لسرعتها

فاذا بتلك الغشية لازمته . تعاوده فينة بعد فينة . وكثيرا ما تدهمه نائما أو جالسا . حتى اعتدناها فيه . ثم قضى عاميه الاولين على هذا . وكثيرا ما أخرج وأظن أنني أرجع فاجده ميتا . حتى اذا زار (السخ) شيخنا سيدي الطاهر الايفراني . كتب له تعويذة قرآنية . فظهر فيه اثر الشفاء ظهورا بينا . ثم بطول الزمن زال عنه ذلك والحمد لله . فقلت في ذلك :

شكرا لربي قد ابل سعيد	فانزاح سقم قد عراه شديد
ما سقم نجلك غير سقمك نفسه	أو ما وليد المرء منه وريد
أولادنا أكبادنا وحياتنا	بحياتهم والواقعات شهود

فهاك - أيها القارىء - هذه الابيات المرتجلة . فتقبلها على علاتها بفضلك (ذيل) :

(أقول) : ان في (المرحلة الثالثة) من (خلال جزولة) قطعا متعددة في (سعيد) كما انني قلت فيه يوم فاز بالشهادة الاولى في المدرسة الابتدائية - وقد كان مر بالقرءان قبل في المكتب - :

بشرى (سعيد) بحمد الله قد نجحا	فاليوم منهاجه في الدرس قد وضحا
من بعد عام فعام سحبه انقشعت	فعاده في ضحاء ما عداه مسا (١)
فالنجح نجح وان لم يات مبتكرا	والزند زند يرى أيان ما قدحا
فلترفع الاسرة الاعلام خافقة	فوق السماء فهذا نجلها ربحا
فانه اليوم يرجى ان يكون لها	صدر المحافل لا اضحوكة كجنحا
من لم يحصل على صك الشهادة هل	يظنه في أهالي جيله فلحا
فالعصر عصر شهادات وان نقصت	علما . ومن لايماشي عصره طرحا

الحق هذا ٧ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ والولد الآن في الثانوي .

(١) كان رسب سنة قبل سنة نجاحه .

مراسلات مع شيخنا سيدي الطاهر

ابن محمد الايفراني

لما اعلمت أولا بان الحكومة سرحتنى فى (سوس) أتقلب فيه كما أشاء . وذلك قبل مختتم عام ١٣٦٠ هـ كتب الىَّ شيخنا أبو محمد التامانارتى رضى الله عنه مهنئا :

يا نعمة الله زيدي ان كان فيك مزيد

* * *

ورد البشير بما أقر الاعينا وشفى الصدور وبلغ النفس المنى
وأزال ما عنى وبشر بالتى دام السرور بها كما اكتمل الهنا

ذلك بما بشرنا به الوفد السعيد من خيار الاحبة . السيد على بن احمد الديانى . والاخ العلامة ابن السادة الاعلام . سيدى الطاهر ابن شيخنا . اعزهم الله وحفظهم . من حل العقدة التى هى عرّة (١) فى غرّة الفضل . وقذاة فى عين العلم . ووصمة عار على العصر وأهله . بتمام تسريح الشمس التى احتجبت بغيمها . وخجل وجه السيادة مما منيت به من فادح ظلمها . الا وهو البدر الذى انجاب عنه السحاب . والدر الذى رجع لعقده فتزينت به ترائب الاتراب . الفقيه العلم . فارس القرطاس والقلم :

علامة العلماء واللج الذى لاينتهى ولكل لج ساحل (٢)

سيدنا المختار المختار . مجدد ما اندثر من آثار الافتخار . محيي رميم العلم. ومفخر بحره الزخار . ناظم أشتات الفنون بعد شتاتها . حامى حمى العلوم عند فقد حماتها . فالحمد لله الذى أكرم بوجوده قطره . وزين بدرارى علومه عصره . وأمد به الاقليم الغريب فأعز نصره . فنهنئ بدره المنير بزوال السرار . ودوام السرور . تهنئة لايفى بشرحها الكتاب المسطور . ولا يبين القلم . وان أسهب ما تكن منه الصدور . فالله يديم سعده . ويعز مجده . ويعلى كعبه . ويثبت فى مركز السيادة قطبه . وسلاما عليه سلاما يكافئ السرور بسعادته . ويبارى البشائر بسنا ارادته . ورحمة الله وبركاته .

أخوكم ومحبكم فى الله الفقير الطاهر بن محمد أمنه الله . ويسلم عليكم ولدنا البر أخوكم : محمد بن الطاهر . أصلح الله الجميع)

---

١) العر : الجرب . والواحدة العرة : بضم العين .

٢) بيت استوطن قلم كل الغى لشهرته . وهو قديم .

(الجواب بعدما جئت في سفرة الى (تيزنيت) فـ(أكادير) فـ«تارودانت»

منيانى بوصلهم منيانـى ... فأنا اكتفى بطيف الامانـى (١)

وأفيضا الحديث عن أهل ليلى ... فعسى ان فعلتمـا تنعشانى

وأطيلا عن حسنها فانا من ... ليس يسليه غير ذكر الحسان

فضلوعى مذ شمت من حسنها طا ... رت شعاعا من شدة الخفقان

فمتى يا بشير تبهج قلبى ... فيقر الفؤاد والعينـان

بدنوى لحضرة كست النـو ... ر باشراقها قرى (افران)

حضرة لم أزل بطول اشتياقى ... نحوها يسفح الدم الجفنان

أملى كلـه حيـاة الى أن ... تتملى من حسنها المقلتـان

فارى في العلـوم والسر ما عـ ... ـز وجودا : بحرين يلتقيان

حضرة والدنا وشيخنا ابن جلا (٢) من حقه علينا فوق حق من نجلا . شمس دائرة المعارف . والبحر الفياض فهل من كارع أو غارف . من ارتفع به قدر (سوس) ارتفاعا يجر به الذيول . كأن قد لعبت به الشمول . ونال به السوسيون مجدا شامخا ثابت الدعائم . فالق من شئت من أدبائهم تلق العاطس بانف شامخ تناولت يـداه الثريا قاعدا غير قائم (٣) ذكاء العلوم المشعة بالاشراق . وتاج البلغاء ارباب الافلاق . ابى محمـد سيدنا ومولانا الطاهر بن محمد بن ابرهيم البكرى التامانارتى ثم الايفرانى . فعلى مقامه العلى السنى من سلام ابن من ابنائه ما يفاوح المسك الاذفر . وما ياتى بـه الشحر (٤) من خالص العنبر . وما طفح التاريخ طوال الدهر متى طافت حول الادب العالى آماله . بالانباء الطيبة عن أمثاله لو كان فى الوجود أمثاله .

(هذا) وقد فاض الشوق الى ملاقاة سيدى فيضا . وتحملت الصبر مراغما حتى غاض نبعـه غيضا . وطالما عزمت منذ أشهر على اطلاق العنان واطالته . لتنفيذ المامول من زيارته . فيتعنت الدهر المجبول على الابعاد .

---

(١) وقفت أخيرا على قطعة للحاتمى فى الشطر الثانى من مطلعهـا :
(علـلانى بوصلهم علـلانى)

(٢) قال الشاعر :
أنـا ابن جلا وطلاع الثنايا ... مع أضع العمامة تعرفونى

(٣) من قول اسحق الموصلى :
اذا مضر الحمراء كانت أرومتى ... وقـام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداى الثريا قاعدا غير قائم

(٤) الشحر بفتح فسكون : محل باليمن ينسب اليه العنبر .

فيأبى امضاء ذلك بالاسعاد . فمتى أيضا يستأنس البنئ بتلك الحضرة المستبشرة . وألثم تلك الراحة خمسة بل عشرة . فقد كنت أبدىء في ذلك وأعيد . بعد أن قضينا أيام العيد . الا أن السفر بالاهل لصلة رحمهم أرجأني عما نويته مرغما . فلم أجد مندوحة لاتخير الذى أوثره منهما . ثم لما رجعت دهمت الحرارة فتحول الجو بها ضرما . وان كان لاينسيكم الشوق اللافح الذى به القلب يرتمض مضطرما . زد على ذلك سماعى بان مولاى لم يحضر فى البلد الذى أرجو كل الرجاء أن لايكون اللقى الا فيه . لان لى أغراضا كتابية هناك أسابق اليها الدهر . ان تنضم بالاتيان عليها قوادمه وخوافيه . لان تلميذكم ما زال مشغولا بما شغل به نفسه منذ أن حرمه الدهر الاشتغال بالمفيد المجدى . من مناغاة المعارف التى هى ميدانه الذى كان فيه يلحم ويسدى . وما حمله على ذلك الا محاولة أداء بعض الحق لهذا الجانب المغربى. الذى ينساه المؤرخون . والا خوف أن يألف البطالة فى حياته فيصبح بعد ممن فى الجهالات يختبطون . وقد شاهدت من الله تأييدا غريبا . وتنشيطا حتى ممن لا أعرفهم الى الآن من السوسيين عجيبا . يرون كلامى فيوثروننى بالعلق النفيس . فاتوصل به جالسا فى مكانى من غير نقل قدم ولا اعمال عيس . وتلك منة لن انساها لأمثال هؤلاء الاريحيين . عاذرا من لم يجبنى ان كاتبته لعامى بما يقال فى أجر العاذرين . ومستغفرا لقليلين حداهم الجهل حتى صاروا حول هذا العمل من المتقولين . فها أنذا والحمد لله قد ظفرت منذ وضعت القدم الاولى بما لعله يَبُلُّ بعض الغليل . ويُبِل (١) - ان لم يكن ينال به كل الشفاء - العليل . وفى هذه السفرة فزت أيضا بقيمات لم تكن تخطر لى ببال . ولا كنت احسب مثلها مما يفلت من هذا الدهر الذى من عادته ان يفت كل ما أساره اليراع السوسى ويغتال . وعسى ان أنال كل طلبتى فى رحلة أعزم عليها الى تلك الجهة . والنية فى أول فرصة - لعلها تكون قريبة - الى الابتدار اليها متجهة . وأما ما هنانى به سيدى من الافراج . الذى منَّ به ربنا الحلال للعقد الفراج (٢) فليعلم سيدى أن ابنه على ما يحبه والحمد لله من كل ناحية . وعسى أن يكون أيضا ببركتكم غدا على ما هو عليه اليوم . فينتظم ان شاء الله فى الطائفة الناجية . والحمد لله الذى وسمنا بفضله بما لم تكن له أهلا لولا فضله السابغ . وحفظنا من كل ما يؤثر فى القلب من هول ربما يظن بعض الناس انه دامغ . وهل رئى منى الا الغيرة على الفضيلة . فكيف يقلبونها رذيلة .

---

١) بلَّ بالماء عليه : برد به عطشه . وأبَلَّ المريض : اذا تماثل للشفاء

٢) من فرجه كضربه . وهو متعد

اذا محاسني اللاتي ادل بهـا   كانت مساوى فقل لى كيف اعتذر

فلنرسل الشكر العظيم لمن لايفعل بنا الا خيرا . وأناى عنا وصم ما كان يعد ضيما أحكمت حلقاته بأيدى الغشم وضيرا . فانه لم تكن الا الصدمة الاولى ثم انزاحت الغمم . وانقشع عن القلب والعين والاذن الغشاوة والعمى والصمم . فاذا ما فى الضمائر غير ما يراد من ضيق وحرج من كل مايتوقعون (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . والله يعلم . وأنتم لا تعلمون) .

على أنه قد أحلو لى فى الصدر كل ما نال من أجل نشر العلم والدين . وحلى فى العين كل ما عن فى سبيل الائمة المهتدين .

هـل أنت الا أصبع دميت   وفى سبيل الله ما لقيت

فهل يثلج الصدور الا أن يرى مثل ما يراه المرسلون (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) . ولكننا لانطلب من الله دائما الا السلامة والعافية . وذيولا من الرحمة شاملة أمد العمر ضافية . على أنـه مما يجب ان يعرف أن الله رحمنى بعطفه . وشملنى بلطفه . فاعتقد غير ما يراد ان اعتقده من ضيق وحرج . ومن كل ما يتوقع من العثرات فى كل مدخل أو مخرج . وقد انكشف اليوم الغطاء فلم نزدد بحمد الله الا يقينا . ولم نر الا كل ما نزداد به حمدا على حمد مما كنا نتخذه عقيـدة مستكنة ودينا . وعسى أن يتجلى النهار بما بشر به الفجر المبين . فيسوغ فى كل حلق الماء المعين (١) وما ذلك على الله بعزيز . وهو القوى العزيز (٢) .

ثم اننى أتطلب من شيخى بكل أدب واحترام . كما يقتضيه ما له من سمو مقام . أن لايردنى سيدى كما كان رد أمامى صاحبنا المؤرخ سيدى محمدا العبدى الكانونى مؤرخ (اسفى) رحمه الله حين استجازه فى كل ماله . فاننى امت بما لايمت به من الاتصال - منذ أن عقدت يداى ازارى - بتلك الهالة . بل أتقدم ملحا الحاح المدل على ابيه الرؤوم . فاتطلب اجازة واسعة مطلقة تتضمن تفصيل ما اخذتم عن مشايخكم فى كل العلوم . مع تبيين ذلك على عادة أمثال أصحاب الفهارس من الاولين والآخرين . فيساق كل ما عن مما ينضوى الى ذلك من الفاظ الاستجازات . والاجازات . ومن

---

(١) تلميح الى قول الشاعر - والمشار اليه هو الاستقلال - :

فساغ لى الشراب وكنت قبـلا   أكـاد أغص بالمـاء الزلال

(٢) ها هو ذا القوى العزيز أتانا بالاستقلال بفضله فطابت لنا الحياة والحمد لله . كتبت هذه الحاشية عام : ١٣٧٧ هـ

انشاداتهم وفوائدهم ـ مما يستحضره سيدى عنهم اجمعين (١) فان الابن قد اقترح كما يرى سيدى الاستاذ اقتراحا ينفعه وينفع كل لداته ممن لهم فى ذلك الجناب الود الصميم . والاكبار الجسيم . ولا يقصر سيدى ذلك على طريقة العلماء فقط . بل يضم اليه أيضا اجازاتهم فى طريق القوم . فان الكل ممـا يكون بـه للكل مبتهج عظيم ومغتبـط . ثم أغضى امام أستاذى واستسمح . ان رأى من ابنه مثل هذا الاقتراح الذى يذكر بالمثل القديم : (ضيف ويقترح) فان التعلق بجنابكم الكريم لاينتج الا مثل هذا الذى يغتبط به قلب المستجيز مثل من فوائدكم وينشرح . ولعل سيدى يخصص من أوقاته لهذا المقترح فيفيدنا ويفيد التاريخ بجزء كبير من حياته فى تقلباته فى أحضان التلقى منذ عهد المكتب الى أن اكتفى يوم رجوعه من (فـاس) ١٣١٤ هـ مع ما يتخلل ذلك مما لابد منه من تبيين كل ما أخذه بترسل شاف

٢٩ ـ ٥ ـ ١٣٦١ هـ

جـواب الشيخ رضى الله عنه

نسمة حملت شذا الريحان ... أم غزال أدار بنت الحان

أم أزاهير روضة من رياض الـ ... ـفكر قد جادها نمير البيان

فاتت فـى بدائع ما لها فى الـ ... ـحسن من مشبه وفى الاحسان

بنت فكـر الامام سيدنا المخـ ... ـتار بدر الهدى وفرد الزمـان

عالـم عامـل نبيـه نبيـل ... حائز الخصل سابق الميدان

ان وشى يفضح البديع وان حا ... ك نسيت الكندى والذبيانى (٢)

فرع دوحات سؤدد وفخار ... غذيت بالتقى وبالعرفـان

من تكنفه صغيرا مهاد الـ ... ـعز ؛ ثم سقـاه طيب لبـان

فهو كالدر صانـه صدف الصو ... ن ؛ فاتـى يشمـانَ بالادران

وردت غـادة فسلت هموما ... كاد ينسى ايحاشها انسانى

ايه يا سيدى ويا أيها المخـ ... ـتار ؛ ابشر بنيل كل الامانى

فلقد فقت فى الوفاء وفى الصد ... ق وفى البر جلة الاخوان

١) تفضل الشيخ بالاجازة ولكنه لم يتوسع فيها كما اقترح لاشتغاله . والاجازة توجد فى السجل الذى جعلناه لأمثالها .

٢) البديع : بديع الزمان الاديب المشهور . والكندى هو امرؤ القيس . والذبيانى هو النابغة أحد أصحاب المعلقات .

وتجاوزت بى مدى القدر اذ سمـ سيتنى شرفـا أباك الثانى (١)
حق لى أن أتيه اذ كان لى مثـ ـلك نجلا يا سيد الاقران
فلنا منك يا امام المعالـى شرف يرتقى عـلى كيـوان
فقديما علت على كل شعب بابى صقرهم بنو شيبان (٢)
قد ترفعت اذ تواضعت فافخر واقترح تستبح برغم الشانى
فانا فى رضاك أسعى من النعـ ـل التى تستجرها الرجلان
فابوك أبى وانصح خلق اللـ ـه لى جاده حيا الرضوان
لكـم الفضل أولا وأخـيرا ولنـا منكـم ارتفاع الشان
فعلينا لكـم ثنـاء يوشيـ ـه لسانى ويصطفيه جنانى
وعليك السلام يا ولد الرو ح ؛ ويا من ولاؤه قد كفانى

سيدى وابن سادتى . سلالة أشياخى الذين أجررتهم بحكم التجلة مقادتى . ولم أزل أجرى فى الدعاء لهم والثناء عليهم على حسن عادتى . الاخ المعظم . الذى أجله أن اسميه ولدى . وان أردت التشرف اليه فقرة عينى ونور خلدى الكريم ابن الاكرمين . وارث سر المتأخرين والاقدمين . الفقيه العلامـة . المتميز بعلامة الامامة . المتقلد قلادة الزعامة . الفرد الذى قام مقام جمع السلامة . الاخ البر الورع البارع . من سابق فى الميدان فبذ كل مسارع . ولم يكن له فى الماضى مضارع . سيدى محمد المختار ابن شيخنا الربانى سيدى الحاج على بن أحمد الطالبى الالغى . الذى أصبح لكمال من تقدمـه يلغى . أدام الله كماله . وأسعد حاله ومآله . وسلام عليك أذكى من النسيم . وأحلى من كاس مزاجها من تسنيم . ورحمة الله وبركاته . ما اقلت الفلك الدوار حركاته . من عبد ما زال بولائكم معترفا . ومن فيض انواء أمثالكم مغترفا . محبكم الذى بولائكم مرتبط . وبكمال بنوتكم يغتبط . الفقير الى الله : الطاهر بن محمد التامانارتى ثم الايفرانى . أصحبـه الله لطفـه . وامن فى الدارين خوفه .

(هذا) وقد وردت الرسالة . وما أدراك ما الرسالة . بلاغة هيجت وجدا . واذكرت نجدا . أسالت عوامل أقلامها العسالة . ماء البيان أى اسالة

١) فى البيت زحاف جائز طالما استعمل . وكثيرا ما يستعمله الشيخ .
٢) قال الشاعر :
هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم
وكأنه أيضا تلميح الى قول مروان بن أبى حفصة :
معن بن زائدة الذى زادت به شرفا الى شرف بنو شيبان

ودعت الى عكاظ لو صادفت مجيبا . وسعت الى السباق لو لقيت نجيبا . فيا أيها المهيب (١) بالصدى . والمتطلب من الآل (٢) نقع الصدى (٣) تبصر قليلا تر ما عدا مما بدا (٤) وتعلم أنك تدعو ولكن لايستجيب لك أحد فلم يبق بالربع الا النؤى والوتد (٥) ولا بالمورد الا بكى الثمد (٦) .

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

فقاتل أيها البطل وحدك وناجز . وارفع عقيرتك وقل هل من مبارز . فقد أجرّ العى الالسنة (٧) ومال الجهل بعصرك الى السنة . وذهبت تلك العادات المستحسنة . فلم يبق من يقول : يا أم خالد . سنَه سَنَه (٨)

ايه يا بنى فما أغزر وبلك . واحد نبلك . واسد نبلك . ولله نظمك المزرى بعقود العقيان . فى لبات القيان . وتشرك العبق الريا . المشرق المحيا الفاعل بالالباب فعل الحُميا . فلو رآه صاحب اليتيمة (٩) لتقلده تميمة . أو صاحب القلائد والمطمح (١٠) لعلم أن فكره بمثله لم يسمح . أو صاحب بيسان (١١) لجر عما حفظه ذيل النسيان . أو ابن العميد (١٢) وعبد

---

١) أهاب به : ناداه

٢) الآل : السراب .

٣) الصدى الاول : ما يتبع صوتك فى الوادى . والثانى : العطش .

٤) أول من قال ذلك على بن أبى طالب . فى احدى خطبه العراقية . وهو يذكر بيعة الزبير وطلحة له فى الحجاز . وعقد ذلك من قال :

قد بايعونى فى (الحجاز) وانكروا نى فى (العراق) فما عدا مما بدا

٥) النؤى كقفل : حفير يستدير بالخيمة لئلا تدخلها الامطار . قال الشاعر الذى أخذ منه :

وبالصريمة منهم منزل خلق عاف تغير الا النؤى والوتد

٦) بكأت البير : قل ماؤها . والثمد : الاضاءة .

٧) اجرار الفصيل : ان يربط عود مع لسانه لئلا يرضع . ليبقى حليب أمه للناس . قال :

ولو أن قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرّت

٨) أم خالد صحابية . لبست ثوبا جديدا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : سنه سنه . بتخفيف النون وفتحها مع السين .

٩) هو الثعالبى . و (يتيمة الدهر) مطبوعة .

١٠) كلاهما مطبوع . وهما للفتح بن خاقان الاندلسى

١١) القاضى الفاضل وزير صلاح الدين الايوبى : وهو الاديب أبلغ من فى زمانه

١٢) الاديب الكبير من وزراء صلاح الدين الايوبى

الحميد (١) لقالا تقدم يا مجل فانت العميـد الحميد . أو الصابى (٢) لنثر دموع التصابى . فتبارك الله أحسن الخالقين . وخير الرازقين . فالله يديم علاك . ويبارك فيما أولاك .

ثم ما ذكرت أيهـا الاخ من عزمك على زيارة هذا الفقير بمحل سكناه الذى هو فى الحقيقة محلكم . ثم لم تساعد الاقدار . على نقل القدم للدار . فأمر شكرناك عليه . والعمل بالنية :

لأشكرنك معروفا هممت به ان اهتمامـك بالمعروف معروف
ولا الومك ان لم يمضه قدر فالشيء بالقـدر المحتوم مصروف

والله يمن بتلاق . ويمحو ما جنت يد الفراق . آمـين .

وما ذكرتم من اعتنائكم بشأن المؤلف المفيد المجدى . والمعيد فـى الاجادة المبدى . فأمر مهم . وفائدة دخرت لك فوفقت لاغتنامها وقمت لها اتم قيام . واختلستها من جفن الاغفال والناس نيام . فلله تلك الهمة . قمت بواجبها وحدك فكنت أمة . فاشدد حيازيمك (٣) واجعل الحزم ملازمـك . واقطع العلائق والعوائق . وجد فى استخراج ما ادخر لك من هذا الامر الرائق اللائق . سددك الله لاصابة الغرض . وأداء هـذا الحق المفترض . وعجل مسرتنا برؤيتـه . واستفادتنا من مكنـون صرتـه . وبلغ الآمال . ويسر الكمال .

(هذا) واما سؤال الاجازة من الفقير . فأمر اصفرّ منه القلم خجلا . وجف مداد الدواة وجلا . واستعجم اللسان تعجبا من بحر يستسقى ساقية. وطبيب ندس يسترقى ورهاء (٤) راقية . ففى المثل : انما تطرُ الناعلة(٥) وتستدر الحافلة (٦) ومع ذلك فكل غرض لك مبذول . لايحجبك عنه حجاب مسدول . ولا عـذر مقبول ان شاء الله . فمتى فرغنا من الشغل العادى .

---

١) كاتب مروان الجعدى. أول الكتاب الرسميين المجيدين فى اللغة العربية
٢) هو الاديب المسيحى الذى رثاه الشريف الرضا
٣) قال على بن أبى طالب فيما زعموا :

« حيازيمـك للمـوت فـان المـوت لاقيـك »

٤) الورهاء : الحمقاء . والراقية : التى ترقى المرضى .
٥) أطرَّ الماشى فى الوادى : اذا مشى على طرته أى ضفته . وضفة الوادى تكثر فيها الحجارة ولا يسلكها الا من انتعل فذلك أصل المثل .
٦) الحافلة من النياق : التى احتفل ضرعها بالحليب . وهـو الدر بالفتح والمعنى لايطلب الحليب الا من الضرع المحتفل به .

الذى هو مضاد للفضائل ومعادي . سارعنا الى مرضاتـك . واغتنمنا اداء حقك رجاء دعواتك .

وأما ما لمحت بـه من امتناعى من اجازة محب الجميـع الفقيـه المؤرخ المرحوم سيدى محمد الكانونى . فلم افعله ترفعا عن الاخوان . ولا زهدا فى محبتهم . واجتلاب موالاتهم . ولكن عرفت من نفسى . ما جهله أبناء جنسى فكرهت أن اتشبع بما لم أعطه فاكون كلابس ثوبى زور :

فمـن جهلت نفسه قـدره رأى غـيره منه ما لا يرى

فمعرفتى بقدرى . أورثتنى قول لا أدرى . فاذا كانت للعالم جُنـة . فلِمَ يتركها الجاهل مثلى ان لم يصبه لَمَمُ الجِنّة :

كل من يدعى بمـا ليس فيـه فضحته شواهـد الامتحان

وما احق بالشوهاء ان تتقنع (١) وباللخناء (٢) ان تتمنـع . فأى دراية أو رواية لمثلى حتى يجيز بها . ما هو الا استسمان ذات الورم . والنفخ فـى غير الضرم (٣) فالله يتولانا بلطفه .

وأما ما ذكرت فى سفرتك (٤) هذه من اقبال اجلة الوقت . واهتمامهم باغتنام لقائكم فامر دون قدرك . فانما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه . فرضى الله عن المنصفين . وأما ما ذكرت عن السيدين الحبيبين . سيـدى الحاج مسعود . والقاضى سيدى موسى من سلامهما واستقصائهما فى السؤال عن أحوال العبد الفقير . فعليهما السلام كثيرا طيبا . وجزاهما الله عن حسن العهد . وصدق الاخاء . وأدى عنا حقهما . وجمعنا معهما بسلامة . وقد سرنا ما ذكرت عن القاضى من راحته من كلف الولاية . فذلك أمر يجب تهنئته به فنحمد الله له على ذلك .

(هذا) وليكن فى كريم علمكم انى ان شاء الله عازم على زيارة تلك التربة الطيبة المباركة . والتبرك بزيارة الاحياء والاموات والتمتع برؤيتكم الشائقة . والمشاركة فى الفرح بالافراج عنكم من تلك النكبة اليوسفية .

---

١) تقنع : لبس القناع الذى يغطى وجهه . الشوهاء : القبيحة .

٢) اللخناء : المنتنة المغابن : أى مطاوى الجسد .

٣) قال المتنبى :

اعيذها نظرات منـك صائبـة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقـال آخر :

فلو فى النار تنفخ لاستنارت ولكن أنت تنفخ فـى الرمـاد

٤) هذه امور حذفتها من الرسالة المتقدمة .

التى هى زيادة فى الرفعة وعلو المنزلة . وزيادة التكرمة . وما أصدق من قال :

فلا تيأسن بعد المخوف من الأمن ... فاول مفروح به آخر الحزن
الم تر أن الله ملك يوسفا ... خزائنه بعد الخروج من السجن

ولنكف عنان القلم الجموح . وطرفه الطموح . اكتفاء بما أضمرته القلوب وعلمه علام الغيوب . والله يقول الحق . وهو يهدى السبيل . ونسألكم الحظ الوافر من دعائكم . وان الفقير أحق بالصدقة . ومثلكم ممن طبعهم الكرم . لايضيع لضعيف من أمثالنا حقه . ولا يقطع عنه رفقه . ونسلم كثيرا على جميع السادات . خصوصا الشيخ الاخ البر سيدى محمدا حفظه الله . ويخصكم بالسلام الطيب العام أخوكم ولدنا البار محمد . ويسأل الدعاء . والسلام . ٥ جمادى الثانية عام ١٣٦١ هـ

(اقول) : ان « المعسول » قد تم فى (٢٠) جزءا . وها هو ذا قد طبع ولكن أين شيخنا الذى كان يتشوق الى رؤيته . رحمه الله)

وقد كتبت اليه أيضا بتاريخ: ٢٠ شوال عام ١٣٦٣ هـ فى أول بطاقة :

دامت ودمت لها ما انهلت الديم ... تلك المكارم والاسرار والشيم
شكر عنى نداك الجم من بعد ... قلب يمل فيعلى شكره القلم (١)
جلت من الشيخ نعمى لا يقوم بها ... شكر وان ظل يثنى من بنيه فم
فمن تكن نعم الادراك من يده ... فكيف تشكر - قولوا - تلكم النعم

وكتبت اليه أيضا وقد مررت ازاء داره ولم أعج اليه . وليس اذ ذاك فى الدار الا ولده سيدى محمد شيخنا الثانى . وما صدنا عن التعريج الا سيارة مرت بنا توا . لانملك عنانها :

مررت وقد كاد الحشا يتفطر ... وافلاذ قلبى بالتشوق تصهر
نرى الدار بالعينين لكنه أبى ... من الوصل دهر يعتدى ليس يقهر
تطير بنا سيارة دأبها النوى ... فكم مقلة من أجلها الدهر تسهر
نحيى سرارا حضرة الشيخ بالمنى ... ويا ليت أنا بين كفيه نجهر
لو أن الزمان مسعفى للزمت ما ... حييت علوما من هنالك تبهر
فانقع غلاتى متى ما كرعت من ... بحار صفاء الماء منها مشهر

شيخنا الذى تقدمه البرهان الساطع فى تفضيل (سوس) على غيرها اليوم فى ميدان المعارف . وامامنا المقدم فى كل مكرمة فنسحب به فى كل ميدان

(١) أمليت على الكاتب وأمللت عليه : معناهما واحد .

ذيول المطارف . أبو محمد التامانارتي . والدنا ومربينا فعلى حضرة مولاى أعطر السلام وتحية عبقة . تضحى بهما آفاق (ايفران) مشرقة . وكذلك على كل من الى سيدى من الاهل والاشبال . خصوصا شيخنا العلامة المفضال . ذا اليراع الصوال . واللسن السيال . سيدى محمدا . ولى نعمتكم . ومظهر تربيتكم . ونجله سبطنا النابغة . ذا الحجة الدامغة . سيدى المدنى . ورفيقه أحد القمرين . والذى كان معه فى مضمار النجابة ثانى اثنين سيدى محمد ابن البشير الناصرى . (هذا) فقد رجع ابنكم من سفرة سوسية جديدة . حبالها الى (طاطة) فـ (الفائجة) فـ (سكتانة) فـ « رأس الوادى » فـ «ردانة» مديدة . وكل من رأيناه ممن الى العلم ينتسب . وكان الى محبتكم بشهرتكم المنتشرة ينجذب . يلحف فى استقصاء أحوالكم . ويتشبث فى طلب الدعوات الصالحة بأذيالكم . خصوصا قاضى (ردانة) عيبة الصفاء . وصوة الوفا . وقاضى (سكتانة) الحاج اسمعيل من المتخرجين بالاديب سيدى داود الرسموكى فكان - بالوساطة - من أبنائكم تعلما . وممن حاز بالانخراط الى سلسلة معارفكم مغنما . وهو أديب معتن بقصائدكم . ومتحل فى مجالسه باستظهار قطع من فرائدكم . وقد تجارينا فى ذكركم مليا . حتى عزم ان يحدو الى زيارتكم متى تيسر له مطيا . وكذلك جرى ذكركم عند القائد الضارضورى فيتمنى لو يراكم ليفد بكم على الباشا الحاج التهامى الذى ذكر توصية منه بذلك من زمن . ربما كان أكثر من عام . والمورد العذب كثير الزحام .

وأما قاضى (ردانة) الحالى سيدى محمد بن على صاحبكم . فقد ابدأ وأعاد فى الحديث حولكم . فى أكثر مجالستى معه . حتى كاد هذا الحديث يملأ ما بينى وبينه أجمعه . وكذلك التيييوتى محب العلماء . وبقية القواد القدما . وهكذا صار مولاى محور اندية العلماء . والطيور لاتحوم الا على الماء . ولا يغشى الا منازل الكرما (1) :

وإذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة فى الناس

٦ ذى الحجة عام : ١٣٦٢ هـ

وكتبت اليه أيضا ما يلى على عجل متشوقا :

شيخنا نبراس الاجادة . وسيد السادة القادة . بركة العصر وامامه . وذروة المجد وسنامه . والدنا الثانى . سيدى الطاهر بن محمد الايفرانى . أطال الله عمره للاسلام فى عافية وصحة تامتين . وحفظه للعلم الذى كان

---

1) قال الشاعر :

يسقط الطير حيث يلتقط الحـب وتغشى منازل الكرماء

منه اللسان والعينين . والقلب النابض واليدين . وسلاما معطرا بأشواق بنيه اليه . وتحية تنوب اذ لم يساعد الآن الدهر فى تقبيل يديه .

(أما بعد) فالاحوال كما يعهدها مولاى على سلامة تامة . ونعم المولى جل جلاله على ابنه هذا شاملة عامة . الاّ أن التشوق الى مولاى يلفح من الفؤاد . وكيف تكون الى الاباء المشفقين امثال مولانا أشواق الأولاد . ولكن القلوب كلما وصلنا عنكم خبر . تتنسم منه ما يتنسمه العاشق الولهان من نسيم هب من نحو الحمى فى سحر . ٢٠ رجب ١٣٦٣ هـ

جـواب الشيخ رضى الله عنه

أطيب السلام وأعطره . واعمه وأغزره . على سيادة الولد البر . والابن الذى ما ساء قط بعد ما سر . ولد الروح الذى شمخ أنف هذا الفقير حتى تناول الثريا بيده . لما تنزلت حتى وسمت نفسك بأنك من ولده . مع ما لك من مفاخر الفتوة . وسر معنى شاهد لك بالابوة . فيـا أيهـا المختار . والبحر الزخار . والعنصر الذى كل المجد أول منه تمتار :

تـه دلالا فأنت أهـل لذاكا وتحكـم فالحسن قـد ولاكا

وردت رسالتك التى ازرت بعقود الجوهر . كما زرت على الدرارى طلعة القمر ادب غض . وبيان مرفض . وتفنن كانه من التدبيج قوس السحاب . أحمر فى أصفر اثر مبيض (١) فتبارك الله أحسن الخالقين . وسبحانه ما أبعد ما فاوت بين الناطقين . أسحر هذا . فهكذا هكذا . كما ذكرتم ان الشوق لفح الفؤاد . لما اكتوى بنار البعاد :

شغفت بك اللتّ تيمتك فمثل ما بك مـا بها من لوعة وغرام (٢)

على اننا نرجو التلاق . بعد هذا الفراق :

وما أنا من أن يجمع الله شملنا على خير ما كنا عليه بآيس

ولله تعلى فى تصاريف الاقدار . وتداول الاطوار . حكم بالغة عند الاعتبار .

---

(١) ماخوذ من قول ابن الرومى :

وساق صبيح للصبوح دعوته فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجـم فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السحاب بأخضر على أحمر فى أصفر اثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائـل مصبغة ؛ والبعض أقصر من بعض

(٢) اللتّ : لغة فى التى

ومن رزق الرضا بالقضاء . فقد استنار بنور التوفيق واستضاء . فلله الحمد فى الاولى والاخرة . ونسأله الاعانة على هذه الانفس الساخرة .

فعليك أيها الاخ الحفى . والصديق الوفى . برعاية مطابقة الحال . فسلم تغنم راحة البال . فاذا كان الانس بالناس . من علامة الافلاس . فالتوحش منهم غنى . وراحة من عنا . جعل الله بذكره ومعرفته أنسنا . واسرج فى قلوبنا من نور التوفيق أبلغ سنا ءامين :

والعبد يقتضى من اخيه الدَّيْن للذى عليه من حق الدعا . وأما الذى لكم علينا فنرجو من الله أن لايحوجكم الى اقتضائه ان شاء الله . ونسلم على من بكم واليكم من أهل وولد وحاشية والسلام .

وقد كتبت اليه أيضا وقد زارنا بـ (الـغ) :

شيخنا الامـام أطال الله عمره . هـذه أبيات يلقيهـا عليكم ابنكم . فالمرجو منكم قبولها على علاتها . فمقام مولاى العالى . لايستحق الا الشعر الغالى . ولكن هذا ما تيسر من المختار . ولو خير لاختار :

أقر عيونا بالتشوق تذرف — لقاءٌ به كل القلوب ترفرف
لقاً به طاب الزمان كأنما — تدار علينا بهجة فيه قرقف (١)
كسا (الغ) لما أن أتاه ملاءة — مذهبة يزهى بها ويشرف
يضوع أريج المسك وقت قدومه — ويعرف؛ لابل خلقه منه أعرف ٢
يشرف مولاى الامام فكيف لا — يطير ابتهاجا من به قد تشرفوا
نلاقى بكل الشوق منه مهذبا — خبيرا عن اهواء النفوس يكفكف
اذا ما رأيناه رأيناه والـدا — يرق على كل البنين ويعطف
ظفرنا به والحمد لله مشرقا — مشعا بأنوار الهدى ليس يكسف
يقود الى العلياء توا فلم يكن — له عن مناهيج الكمال تعسف
فماشئت من علم وماشئت من هدى — ودين متين قد جلاه التصوف
وسمت وقار الحلم لا يستفزه — مزعزع أعصار وان كان يقصف
متى عنّ بحث جال منه مهنـد — بفكر دقيق الفهم لا يتوقف
ويخفض أطراف الجناح تواضعا — لمن كان منه فى عويص توقف
فيسمع منه ما يقول وما يرى — سجية نظار درى كيف ينصف
الى أن يرى منه المباحث كل ما — لادراكه من بحثه يتشوف
سجايا جلاها الطبع ليست تكلفا — وأقبح أخلاق الرجـال التكلف
الا هكـذا الاعـلام علما وحكمة — فياسعد من يحظى فيدنو ويقطف

---

١) القرقف بفتحتين : من أسماء الخمر .

٢) عَرفُ الزهر : اريجـه

فاهلا بمولانا الامام ومرحبا ... بـ (الخ) فمولانا بمن فيه أعرف
فليست هنا الا بنون رجاؤهم ... جميعا من الشيخ الرضا والتلطف

جواب الشيخ رضى الله عنه :

أتت فجلت عنا هموما تعنف ... تفرط آذانا لنا وتشنف
ربيبة فكر هذبتها سجية ... اذا هذبت زاف الغريب المصنف[1]
سجية صدر الفاضلين ومن زكت ... معارفه لما أن حماها التصوف
محمد المختار أبلغ من علا ... أنامله أنف البراعة يرعف
يرحب بالضيف الملم تعطفا ... سجية ندب بالمعارف يلطف
فجوزيت يا مختار عنا أجل ما ... يجازى به البر المحب ويتحف

وكتبت اليه أيضا بعد رجوعي من الرحلة الاولى الى الحواضر اثر تسريحي الى زيارتها :

مولاى يا علم الهدى الخفاقا ... ومن اسمه قد طبق الآفاقا
اني اللقاء فان هذا البين قد ... عنى الفؤاد وشفه أشواقا

شيخنا ركن الدين . ومنار المستهدين . مفخرة (سوس) وزهر أدبه المغروس ونور علمه المانوس . ذو النسب المجد . والحسب الامكن الاقعد . ابو محمد والدنا سيدى الطاهر بن محمد . فعلى مقام سيدى سلام تعبق به الجواء . ويمتلئ به ما بين الارض والسماء .

(هذا) فقد عاد ولدك من رحلته . وان كان لما يقض كل نهمته . لان ماتسلسل على الكبد الحرى . طوال ستة أعوام . لاتنقع به بضعة شهور بعض أوام . وقد حملنى مولاى ابن زيدان سلاما طيبا لجنابكم الفخيم . وكذلك كل من عرف ما لمكانتكم اليوم فى الادب العربى من المقام الكريم . وقد طرق أذنى أن مولاى يهتم بتشريف (الخ) عن قريب . وعسى أن يصدق الحديث فيستعيد بمجالسكم الادبية ما هو منه بدونكم جد سليب .

١٥ رجب عام ١٣٦٢ هـ

جواب الشيخ رضى الله عنه :

وافت فأفعمت الفضا اشراقا ... فثنت غزالة طرفها اطراقا
وردت مبشرة بوعد الملتقى ... عجلا فأورقت المنى ايراقا
غنت بمقدم من ثناه وصيته ... قد عطرا الافواه والاوراقا
بدر الجلالة سيدى المختار أعـ ... ـلم من طوى الاشآم والاعراقا
تدب تسامى مستمى ما سامه ... نسرا هواء أو سماء راقا

---

١) اسم كتاب قديم

بذ المعاصر كلهم علما وآ — دابا واخلاقا زكت اعراقا
ايه بنى فقد اثرت من الجوى — ارقا يدوم ومدمعا مهراقا
فلقد بلغت من البلاغة رتبة — قد انست الجزار والوراقا (١)
وندبت قلبا للصبابة لم يزل — مذ كان يغرق فى الهوى اغراقا
حييت يا ربع الهوى يا الفه — ما صاب منهل الحيا رقراقا
وعليكم يا سيدى المختار تسـ — ـليم يحاكى سعدك البراقا

حيا الله وبيا . تحية عبقة الريا . مشرقة المحيا . حضرة السيادة العذبة الموارد . والاخوة بل البنوة الوثيقة المعاهد . فذ العصر وواحده . وبدر الكمال الذى لايرغم الا جاحده . فخر سوسنا بل (المغرب) بأسره . وعلامته الذى تباهى به المشرق من عراقه وشامه ومصره . سيدنا وابن سادتنا . علامة العلماء . وخلاصة خاصة العظما . سيدى محمد المختار ابن شيخنا سيدى الحاج على . حفظ الله كماله . وبلغه آماله . وسلام عليه سلام شوق ووداد وحب لايزال يزداد . ورحمة الله وبركاته . ثم ان الرسالة المباركة المبشرة وصلت فقرت العين بطلوع بدرك المنير . على الوطن الذى توحشك منه الصغير والكبير . فالحمد لله على أوبتك من غربتك بعد الغنيمة . وزيادة الوجاهة العظيمة القيمة . الغزيرة الديمة . وتيمنا لما بلغنا من سلام حاتم الكرم . واحنف السؤدد . مولانا ابن زيدان . فعليك وعليه آلاف تحية واكرام . وعلى جميع من ذكرت . ممن جمعهم الادب العربى فرسان النزال . ورماة النضال ؛ وفرهم الله .

ثم ان ما أشرت اليه من ذكر زيارة التربة المباركة الالفية فقد كان أولا خاطر خطر . ثم صار اليوم عزما ان شاء الله فقد نبهت منا نائما . وهيجت ساكنا . فلبيك ألفا . وحنانيك عطفا . ولعلى أبدأ بتقديم (غشان) تقديم النسيب على التخلص . والوسيلة على المقصود . والمقدمة على النتيجة ؛ وكما يحوم الطائر ثم يرد . ولله در القائل :

اسائل عن جيرانه من لقيته — واعرض عن ذكراه والحال تنطق
وما بى الى جيرانه من صبابة — ولكن نفسى عن صبوح ترقق

وننهى من التحية . المحفوفة بالاريحية . الى الشيخ الاخ البعيد المدى . الواسع الندى . سيدى محمد أطال الله بقاءه . وأدام ارتقاءه . وجعل اعداءه وقاءه . وعلى جميع من شملته حضرتكم . ورعته نظرتكم . فالحمد لله الذى جمع بكم شملهم . وبلغ بأوبتكم أملهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركته عودا وبدءا .

---

١) هما شاعران مصريان فى القرون الوسطى

معظم قدركم وسائل دعائكم الفقير الى الله الطاهر بن محمد التامانارتي أمنـه الله .

وكتبت اليـه أيضا رضي الله عنه بعد رجوعي من سفرة أخرى :

كفكف الدمع فالمزار قريب — وتوسل بالصبر فهو يجيب
واتئد لاتسلسل الزفر فالدهـ — ـر لدولابه انقلاب عجيب
كم مشوق بعد التباعد لبا — ه من السعد للدنو مجيب
فتقر العينان منـه ويهدأ — بين أضلاع جانبيه وجيب

شيخنا بدر الهالة . لكل من مالت به الضلالة . الى أودية الجهالـة . ومنار العناية . وصوة (١) الهداية . الى طرق الرواية ؛ وموارد الدراية ؛ من جبلته السعادة لذرا المعالي . وخلقته العناية الالهية من الشرف العالي . ثم لاتزال تصونه في كل أطواره . صون الاصداف للآلي . حتى بدا في قمة مراتب السادة الموالي . حسنة الايام والليالي . محبوبا الى كل القلوب كأنه خلق منها كلها . فلا ترى ذا لب الا ويود أن يفيء الى تلك الحضرة أو الى ظلها . وذلك أعظم علامة على أنه لبس من محبة الله أفضل لباس :

واذا أحب الله يوما عبده — ألقى عليه محبة في الناس

أبو محمد مولانا وسيدنا ووالدنا ومفخرتنا . البحر الثجاج . الفياض بأمواج علمه على كل البسائط والفجاج . المفروض اليوم على كل ذي معرفة أن يحج الى كعبة علمه بين الحجاج . سيدي الطاهر بن محمد التامانارتي ثم الايفراني أطال الله عمره في العافية والتهاني . تخدم مقامه العالي مختلفات الاماني . سلاما أرق من النسيم اذا سرى في السحر . والطف من مغازلة طرف كحيل من وسيم اذا سفر . وتحية تؤدي ما في قلبي الى ذلك المقام المنيف . والظل الوريف . من شوق يتلظى في الجوانح . ويظل في المفاءلة بين البارح والسانح

(هذا) فالاحوال كما يعهدها المولى أطال الله عمره . ورزقنا أن نقتفي في العلم والعمل أثره . فقد رجعت من تلك السفرة الميمونة بعدما أدى فيها الامل ديونه . واستخرج السعد الكنوز المدفونة . فقد بجرت الحقائب بغالب ما يؤمل من الفوائد . وجميل العوائد . وقرت العيون بهصر جـل مالي من الاماني من غصونها اللدن الموائد . لان المقصود من السفرة هو جني الفوائد لا جني الموائد . فابنكم ببركتكم لم تكن أسفاره هذه لتقر بها العينان الا بملء جفون لا بملء جفان (٢) فهذا بين ما أحرره جناي فيه . اذ كل جان يده

---

١) صوة الطريق بضم فواو مفتوحة مشددة : علامته في القفار .

٢) من أبيات خاطب بها الصاحب بن عباد الاديب العسكري :

تسائلكم هـل من قرى لنزيلكم — بملء جفون لا بملء جفان

الى فيه (١) فقد أغرمت باحياء الموات . من آثار علماء (سوس) الاحياء منهم والاموات . فللقوم أعمال تستحق الذكر . لكن الاغفال حمل الاندثار أن يمشى اليها سريعا . وحياة الاقطار فى تاريخها (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) فتلك ثمرة أعمالى . ومنبع آمالى . وسبب تجوالى . فحالى يتلو دائما فى أسفارى لمن يقدم الى من بنات كرمه المديد (لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد) فهكذا يجب الشكر على . واعلان الحمد بكل ما لدى . فلم انتقل عن (الحمراء) من دروس الفنون . بين مختلف المتون . الا الى مدارسة ما فى الفوائد التاريخية السوسية من عبر يزدجر بها المفتون وذكر لاعلام طوتهم السنون . وابراز مـا لاقلامهم العلمية والادبية مما يستوقف لروعته العيون . من بنات قرائح ابكار وعون . تذهب الشجون . ويذكر بعضها ما كان من الادب الرائع ما بين ولادة وابن زيدون . فقد وقفت والحمد لله من ذلك على الكثير الطيب . يحتوى على الجهام والصيب . فذلك هجيراى منذ حرمت من عملى الآخر . ولو خيرت لاخترت . ولكن لله وحده الخيرة . نفوض اليه وحده فى كل أعمالنا يقلبنا كيف يشاء تفويض المومنين البررة . فها أنذا سائر فى ذلك وان اختلفت حول عملى هذا الظنون . ويرجم فيه الراجمون بالغيب بما يتوهمون اكثر مما يظنون . فالعزم على رغـم المتقولين متقو مؤتلف . وشمل العمل الدائم مجتمع مؤتلف . فقد افترقت الطيات . واختلفت الوجهات . فانا على ما أرضى . وهم عـلى مـا يرضون ؛ فالرأى على مـا بيننا مختلف (٢) فلكل مقاصد عمله مجليها . ولكل وجهة هو موليها . فانا أرضى فى عيشى بمناغاة العلم كيفما أمكن نوعه . فى الخفض والدعة . ولا أرى لى فى غير ذلك اى لذة أو منفعة . و (من قر عينا بعيشه نفعه) فاعمل على قدر جهدى لأمة يعز على أن يضمحل أعلامها . وان يظن أن قد أخطأت الاغراض سهامها . فاذا رضى عن عملى هذا عقلاء عشيرتى العلماء الاماجد . فلا يزالن غضابا على لآمها (٣) وعند الممات تظهر التركات وانما الاعمال بالنيات .

(وبعد) فابلغكم سلام قاضى (ردانة) وقائد (تيبيوت) ومدرس «ايغلالن» الوفقاوى . كما أعزيكم فـى الشيخ المدرس شيـخ شيوخنا سيدى بلقاسم

---

١) فيه اشارة الى قول الراجز :

هـذا جناى وخياره فيـه ... اذ كل جان يده الى فيه

٢) قال : نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأى مختلف

٣) قال : اذا رضيت عنى كرام عشيرتى ... فـلا زال غضبانا عـلى لآمها

التاجارمونتي . وقد رثي في (الغ) بقواف . منها قصيدة لابنكم هذا مطلعها :

لماذا أعاني في العروض القوافيا اذا لا أوفـي للشيـوخ المراثيـا

وقد نعى الينا وشيكـا الاستاذ المدرس الاديب سيدى أحمد اليزيدى حين لبى ربه في ٢٤ ربيع الاول فكانت أكبر من أختها . لانه يقوم دائما بفرض يعجز عنه كل لداته . فما كان يشغله ما يشغلهم حتى كأنه لا أهل له ولا مال ولا ءامال . كما لهم أهل ومال وآمال . فهكذا تتابعت (١) الارزاء . وانذر ربع التدريس بالعفاء . واستحوذ الكسل . على من يمكن منهم العمل . وافتتن كثير من نجباء الطلبة بزخرف الامل :

لمثل هـذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان

فالله يرحم اليزيدى ويتجاوز عنا وعنه بفضله . فقد حق على الاقلام والطروس ان تطيل العويل . لو كان طويل العويل يشفي من أوام الغليـل . ولكـن هيهات هيهات فقد أقفر من التدريس بموته ساحله . وعرى أفراس الجد في نفع الطلبة ورواحله .

وقد ابّنَ اليزيدى بقصائد . من بينها لابنكم هذا . ما مطلعه :

حياتـك لو تـدرى الحقائـق زور وآل على مرآى العيون يمور (٢)

(هذا) وقد زارنا القاضي الافاوى فقامت له (الغ) وقعدت ترحيبا من ادبائهم وءاديبهم . حتى صدر وهو يطير فرحا . وأسلم على شيخنا ابنكم البار وعلى النجمين الثاقبين : سيدى المدنى وصنوه . وقد منع انقطاع الناس عن تلك الجهة بعد العيد من زيارتكم .

ابنكم : محمد المختار لطف الله بـه

٣ ربيع الثانى عام ١٣٦٤ هـ

جـواب الشيـخ رضـى الله عنـه :

وردت فانطوى الجوى والوجيب غـادة صاغها بليـغ نجيب

عالم العصر صارم النصر نـدب وشك ادراكه المعالى عجيب

ان نحا بك الخليل وان انـ ـشا شذر القريض غار حبيب ٣

ذلك خدن الصفاء سيدنا المخـ ـتار من من شذاه (الغ) يطيب

فعليه السلام ما قام فوق الـ ـغصن من صادح الحمام خطيب

الاخ الذى لم نزل نعتد باخائه في بؤس الزمان ورخائه . ونتكثر بولائه .

---

١) التتايع بالياء في الشر . والتتابع بالباء في الخير .

٢) هذه واليائية المتقدمة في (المعسول)

٣) خليل بن أحمد النحوى . وحبيب بن أوس أبو تمام الشاعر .

عند الاستعداد على أعدائه . تاج المفرق . ومفخرة المغرب على المشرق . وحجة اقليم (سوس) اذا قامت بينه وبين الاقاليم حرب البسوس . واسطة عقد العلماء وأعرف أدات تعريف (الخ) بين سائر الاسماء . اخصب مسارح آمال الطلبة اذا رعى الهشيم . وأصدق انواء العلم اذا خلب البرق الذى يشيم . الاخ بل الابن الذى نتعرف باضافته . ونتشرف بالنسبة لانافته . العلامة المحصل المدرس المؤلف المؤرخ . محيي الادب وبنيه . ومذكر شهوره وسنيه . ومدني قطوفه لمجتنيه . ومسهل طريقه لمقتنيه . سيدى محمد المختار الامام الذى لم تزل العلماء من سوق معارفه تمتار . حفظ الله كماله . وبلغ آماله . وزين بالاخلاص أعماله . وسلام كما نم نفس النسيم . وسفر وجه الصباح الوسيم . ورحمة الله وبركته . عن شوق متزيد . وود بالوفاء متقيد ووجد باواصر الاخلاص متأيد .

(هذا) وقد وردت الرسالة . وما أدريك ما هي . ورقة حملت الى المحب الحريص . ما حمل الى يعقوب ريح القميص . حيت فأحيت . ووردت فاوردت . ووفدت ففدت . وخلصت فخلصت . وأعادت ظلال المسرة التى تقلصت :

تحيي النفوس اذا بعثت تحيـة فاذا عزمت ؛ اقرأ (ومن أحياها)

فلله در فكر انشأها . وقلم وشاها . فقد سلت حين حلت . ونشطت من عقال الهم وحلت . لاجرم انى لما ارعيتها نظرا . وتقريتها أسطرا فاسطرا . كدت أطير فرحا بما ذكرت من أوبتك من غربتك . متحفا بما بجرت به حقائب ركائبك . من نفائس رغائبك . مما هو اغبط أعمالك . وأنفس اموالك فزادك الله حرصا واغتباطا وربط مطالبك على الدوام بالنجح ارتباطا . بمنه وكرمـه .

ثم ما ذكرت من اختلاف الاقاويل وتفاوت الظنون وراء مطلبك . فامر لاينبغي أن تعير له سمعك . أو تدنس بتأثيره طبعك . فكلام العدا ضرب من الهذيان . ورضا الناس غاية لاتدرك . وعقلية لا تمتلك :

واذا الاكابر عظموك فلا تمـل بمطاعـن الاوشاب والاخيـاف

والعاقل لايترك يقين نفسه لظن الناس . واذا صحت النية . هانت أقاويل البرية . واستفت نفسك وان أفتاك المفتون . فلا تبال بكل مفتون . فالقول الفصل قول مالك ليحيا بن معين أو غيره رضى الله عنهما : رب رجل فتح له في الصلاة . ولم يفتح له فى الصوم (الى أن قال) وليس ما نحن فيه بدون ما أنت فيه اذا صلحت النية اهـ . بل الانسان على نفسه بصيرة :

أرض بالله حـاسبـا ودع النـاس جـانبـا

وفقنا الله واياك لما فيه رضاه . ولطف بنا فيما قضاه .

ثم ما ذكرت من سلام اولئك السادة الاحبة . وفرهم الله . فعليك وعليهم آلاف سلام . وتحية واكرام . نفعنا الله بمحبة أحبائه . وموالاة أوليائه آمين . وعظم الله أجرنا وأجركم فى السيدين الفقيدين . اللذين أصيب بهما الدين وأهله . فانا لله وانا اليه راجعون . ولاحول ولا قوة الا بالله . ألحقهما الله بالرفيق الاعلى . وحفظنا من الفتون بعدهما .

واما القاضى البر العلامة الفاسى سيدى الهاشم الافاوى فقد سرنا ما ذكرت من وروده على تلك الحضرة . وصدوره بما شرح صدره من الفرح والترحيب . وتلك :

(شنشنة أعرفها من أخزم   من يلق أجواد الرجال يكرم)«١»

ولاتنسوا حظنا من زكاة دعائكم المرجو . فاني لما أنزل الله من خير فقير . ويسلم عليكم ولدنا البر أخوكم ومحبكم محمد وولده ابنكم المدنى . وخاله محمد بن البشير . وكل من بنا والينا . حفظ الله الجميع . وسلم على جميع الاخوان . صنوان وغير صنوان . واسألهم الدعاء . ونسلم على خصوص العم سيدى ابرهيم . والسلام .   ٧ ربيع الثانى عام ١٣٦٤ هـ

لما زار شيخنا الامام سيدى الطاهر بن محمد (الغ) فى رجب عام ١٣٦١هـ قامت له (الغ) وقعدت . وطفحت الحضرة بآدابها على عادتها فى تلقى العلماء والادباء . فتتابعت القصائد ترحيبا بالشيخ أمد الله فى عمره فكان نصيب يراعى هذه القصيدة . وقد ألقيتها عليه فى دارى بعد حفلة غداء . وأدباء (الغ) حاضرون . فكاد الشيخ تطير به أريحية الادب التى استخفته :

اليوم نظفر بالمنى جمعاء	لما رأينا وجهك الوضاء
الآن حق النذر حين تلألأت	تلك الاسرة بيننا لألاء
زمن طويل بعد فرقتنا مضى	ما كان الا ليلة ليلاء
ظلم الى ظلم تتايع غينها	واليوم زحزح نورك الظلماء (٢)
يا طالما كنا ارتقبنا يومنا	هذا ! فهذا ظله قد فاء (٣)
فبأى محمدة تقابل زورة	ماست بها أعطافنا خيلاء

١) أصل الشطر :

من يلق أبطال الرجال يكلم   فغيره الشيخ الى ما يقتضيه المقام

٢) قال الجوهرى : لايقال التتايع بالياء الا فى شر . والغين بالنون : ما يغان على القلب أى يغطيه كالغيم الذى يغطى وجه السماء .

٣) فاء الظل : رجع .

ام أى شكر يستحق أب أتى … لـيرى بفضل حنوه الابنـاء
خاض الهواجر شهر ناجر الذى … فيه النهار كما تشب صلاء (١)
ذاب الدماغ من الضباب وانـه … لصابر جمر الغضا اللظـاء
ومعرض حر الجبين للافـح … فى القيظ يصهر صخرة صماء
ترك الظلال الوارفات بـ(يفرن) … وجـداولا خرارة زرقـاء
والغلب من الفـاف زيتون متى … اذنت لريح صبا تصد ذكاء (٢)
وحدائق النبت العميم ترف أز … هارا فتغمر بالشذى الارجاء
فاتى تغذ به الركائب فى سمو … م سجرت لفحاتـه الفيفاء (٣)
وعلى جوانبه وقد ركب التنو … فة ملهبا بسياطه الوجناء (٤)
كسماوة مسموكة من عِثيَر … قد ثار حتى ناطح الجوزاء (٥)
والآل يوهم من بعيد طرف ملـ … ـهوف الجوانح كونه داماء (٦)
فيكاد يهوى كارعا فى ماء سلـ … ـسال نمير لو يصادف ماء
ماذا يحق لمن يشرف هكذا … ابناءه ويعانق الرمضـاء
متجشما ثبج الهواجر خائضا … بحر السراب بسملق بيداء (٧)
الا افتراش قلوبنا وعيوننا … بلـه الوجوه الطلقة الغراء
فله علينا منة أخرى بما … أسداه أيضا يـومـه اسداء
ربى وهذب امس ثم اليوم من … جرى تعهد غرسه قد جاء
أيديه ما انفكت علينا دائمـا … فـى كل عهد ثرة سحاء
أكذا يكون أبو الحنو على ذويـ … ـه تعطفا وتلطفـا وولاء
العيد هذا اليوم ؛ أم ماذا ؛ فقد … ملك الحبور بطيفه الاهـواء
وترى النفوس مشعة بمسرة … كادت بريشتها تطير صفاء
أنى التفت رأيت وجها طافحا … بشرا كجام مفعم صهبـاء

---

١) شهر ناجر : يطلق على رجب . وينسبه العرب الى الحرارة . وقد كان اليوم من رجب حارا حقا . وفى هذا الشهر كانت هذه الزيارة .

٢) الاشجار الغلب : الكثيرة الالتفاف . وذكـاء بضم الذال : الشمس . قال المنازى فى ميميته المشهورة فى وصف أشجار واديه :

تصد الشمس أنى واجهتنا … فتحجبُهـا وتـأذن للنسيم

٣) الاغذاذ : الاسراع . والفيفاء : البيداء

٤) التنوفة : البيداء . والوجناء من أوصاف الناقة

٥) العثير : الغبـار .

٦) الآل : السراب . والدأماء : البحر

٧) ثبج البحر : أعلاه . والبيداء السملق : الفلاة الجرداء

وتمايلا من كل من تلقى كما   تلقى التبابع أو ترى الاذواء (١)
متباشرون جميعهم قد صيروا   خير التحايا بينهم سفراء
هل نفحة من جنة الفردوس حيـ   ـث المتقون تبحبحوا السراء
أووصل محبوب تمنع حقبة   عن صبه حتى رأى الاشفاء
فبدا له فأتى فنشر عنده   ما يشتهيه الحل والحلواء
اكذا تطيب النفس فى جلواتها   ان نأت الاحزان والاسواء (٢)
ويقود آمال الحياة زمامها   فتحوز أفراح الدنا جمعاء
يا أيها الشيخ الذى قد كلت الا   قلام عما يستحق ثناء
والشاعر البلغ الذى ان قال قا   فية يُجر بيانها البلغاء (٣)
والكاتب الواشى رياض الطرس وشـ   ـيا يشده الكتاب والفصحاء
والعالم الدراكة البحر الذى   طالت مجالى بحثه العلماء
من حاز ارثا واجتهادا قنة الـ   ـمجد الصميم بهمة قعساء
حلت لدينا اذ حللت ديارنا   نعماء عظمى يا لهـا نعماء
من كان منتجعا لمزن صيب   يطوى الشعاب ويقطع البطحاء
فالمزن منتجع لنا والحمد لـ   ـله الكريم فاهطل الانواء (٤)
ما كنت أحسب منزلى فلكا الى   أن لحت يا مولاى فيه ذكاء
فكسوت نجلك مطرفا من مفخر   يعلو اذا يختال فيه سماء
فاليوم ارتجع الحياة طليقة   موموقة مفترة لعساء (٥)
وتعود دارة (الـغ) منفاة لآ   مال؛ وان لم أكفر (الحمراء)(٦)
أعمال أمس مضت مسجلة على   ما تحتوى بيضاً أو سوداء
واليوم اغتنم المسرة والفتى   من ليس يفلت روضة غناء
هذى يد الغية قد قدمت   لى من جديد عيشة خضراء
من بين أهل أكبرونى فوق منـ   ـزلتى سجية معشر كرماء

---

١) التبابع ؛ جمع تبع : ملوك اليمن . والاذواء ؛ جمع ذو . ويقال : أذواء اليمن ؛ أى ملوكهم ؛ لان أسماءهم تبتدئ بذو . كذو نواس وذو يزن .

٢) .ناءاه يناثيه : باعده

٣) أجرار الفصيل: ربط عود على لسانه حتىلايرضع ـ وقد تقدم قريبا ـ

٤) هو معنى قول المتنبى :

وليس الذى يتتبع الوبل رائدا   كمن جاءه فى داره رائد الوبل

٥) موموقة : محبوبة . واللعس : سمرة حلوة فى الشفة السفلى للمحبوب

٦) المنفاة بفتح الميم والهمزة : محل رياض مجتمعة من النبات .

قد فرغونى للدفاتر بالكفا — ية والجهول يرى يدى خرقاء ١
فيمر عام اثر عام ؛ لا ارى — نكدا يدير بساحتى اسواء
متقلبا فى جانب العيش الرغيـ — ـد لديهم يمرون لى الاطباء ٢
يستنبطون لى السرور تفضلا — فاشيم كل جوانبى سراء
حتى تجلى اليوم فى البهجات ما — أوفى على افراحنا جمعاء
فكأنما حشر الزمان مباهج الد — نيا يهز بها الحبور لواء
فرحا بطلعتك التى من شامها — بالطرف شام الديمة السحاء
مولاى شكرا للذى اوليتنا — من زورة نلنا بها العلياء
يا طالما بتنا على شوق يمـ — ـض قلوبنا فنسامر البرحاء
فاليوم نحتجن الامانى كلها — فينال كل أخى هوى ما شاء
او ما ظفرت انا بامنيتى وقد — شاهدت طلعة وجهك الزهراء
ومثلت بين يديك انشد قولتى — واود لو انشدتها عصماء
لكن على قدر الرداء مددت من — رجلى ؛ أمثل يشبه الشعراء (٣)
ما ان قصدت تكلفا لتواضع — زورا أعاطى من يصيغ رياء
لكننى قلت الحقيقة عند من — يدرى من الشعر البليغ هراء ٤
هبنى زعمت فهاهتى لسنا فمن — يحجو سوان اغضى الظلام ضياء

ثم اجاب الاستاذ عن هذه القصيدة بقوله :

بشرى فقد أبدى الزمان وفاء — وأناب مما قد جناه وفاء
وأتاح اقبالا محت حسناته — ما قد جناه تعجرفا وجفاء
وادال وصلا قد رفا ما خرقت — كف النوى لما اعتدى ما شاء
فوحق انس الوصل انى غافر — للدهر لما سرنا ما ساء
اهدى الينا زورة الغبة — قد كفرت حسناتها الاسواء
فرأيت أبناء الشيوخ كأنهم — شهب جلت أنوارها الظلماء
ما شئت من شيم كما هبت صبا — غب السماء بروضة غناء
ونمير علم فجرته يد الذكا — ينسى الفرات سلاسة وصفاء

---

١) خرقاء : أى لاتحسن الاعمال
٢) مريت الشدى : اذا كنت تلمسه ليدر حليبه . والاطباء جمع طبى كقفل من حلمات الضرع .
٣) قال الشاعر :
على قدر الرداء مددت رجلى — ولو طال الرداء لها لطالت
٤) قال المتنبى :
وهاجى نفسه من لم يفرق — كلامى من كلامهم الهراء

وطلاقـة من أوجه اسرارها تحكي الغزالة بهجة وضياء

يترنحون الى النزيل ترنح النـ شوان حين يعاقر الصهباء

شيم تذكرنا عهودا قد مضت زمن الشيوخ زكت صباح مساء

يا فخر ابناء حووا ارث العلا فبنـوا عليه وشيدوه بنـاء

اما الامام محمد المختار سيـ ـدنا فقد انسى (ذكاء) ذكا

بحر فوائده الفوائد بل سما أخفت كواكب علمه الجوزاء

بل روضة أزهارها أشعاره مهمـا شدا أنسى الشذى انشاء

ان حاك شعرا ودت الخنساء لو صاغتـه فـى لباتها عصماء

او جال فى حل العويصة فكره الـ ـوقاد خلت السيف سل مضاء

جادت به (مراكش) رغما على (الغ) ولم تك قبله سمحاء (١)

لكنها شقيت بما سعدت بـه أرجاء (الغ) يا لها نعما

لافضل لـ (الحمراء) فى هذا فما أهدت لنا الا ابننا الوضاء

فالغصن لايعزى لغير وشيجه هبـه أطال اقامـة وثـواء

لا بل لها من بما ربت وما أروته لما أن مرت اطبـاء

فجزيت يا (مراكش) خـيرا فما أولى لنا أن نشكر (الحمراء)

فلقد حوت كل المنى بل جنة أنست محاسن وجهها (الزهراء) ٢

يا أيهـا المختار يا بـدرا سما فـوق السماء بهمـة فعساء

يافخر أهل الغرب بل يافخر أهـ ـل العصر كلهم ولا استثناء

جليت فى الميدان غير مدافع ورفعت للسارين ثم لـواء

ورقيت فى فن البلاغـة مرتقى قد اعجز الكتاب والشعراء

أخرجت من بحر القريحة درة قد حيرت من حسنها النظراء

وزففتها عـذراء بكرا غادة فتانـة لـو صادفت اكفـاء

لبست من الوشى البديع مطارفا ازرت بما يحكون عن (صنعاء)

وبعثتها تهتز للترحيب بالـ ـضيف النزيل كرامة وحباء

هى عادة موروثة لك من أب بارى نداه الديمة الوطفاء

جاءت تميس تعززا وتمتعا ومشت تجر ذيولها خيلاء

لما فتنت بحسنها أملت أن أجرى وراها فكرتى العرجاء

فوقفت حيرانا أقلب مقلـة حسرى وألقيت العصا اعياء

فاعذر بنى قريحة مصت نضا رتها الاعاصر زعزعا ورخاء

---

١) يقال سمحة لاسمحاء وقد بوحث الشيخ فى ذلك . وفتش عن لفظة تستبدل بها اللفظة . فحين أعوزت قال : دعوا هذه بعينها لتدل على عجزنا .

٢) قصر عبد الرحمن الناصر الاندلسي .

فاليكها ان كنت ممن يشترى بالدرة المكنونة الحصباء
فاسلم ودم لمعارف تبدى جوا هرها العزيزة قيمة وغلاء
وعليك من أرج التحية ما حكى زهر الخميلة صادف الانواء
ما ارتاح صب للقاء وما أتت بشرى اذا أبدى الزمان وفاء

(اقول) : ان قصائد الالغيين توجد فى « المعسول » فى ترجمة الشيخ (١) كما ان اخبار هذه الزورة كنت كتبتها فى رسائل (نجوى الصديقين) الى الاديب البونعمانى (٢)

ثم لما صدر الشيخ عن (الغ) سمعت أنه سيرد ثانيا . فكتبت اليه قصيدة مطلعها :

بكل ابتهاج عدت والعود احمد فطاب لنا أيضا بقربك مورد

الى ان قلت اخرها :

امولاى انا نحمد العودة التى الينا أعادت ما ببعدك نفقد
فعل الالى انهلت أمس فشربنا بفضلك حاشا ان يكون يصرد (٣)
فانا بنو ذى سلسبيل مصفق أيعوزنا من فيض كفيه مورد ٤

شيخنا الذى بالانتساب اليه . نجر المجد المؤثل بقرنيه . المفرد العلم . ونور - لا نار - على علم . من به يفخر السيف يوم فاخره القلم . ويغادره وان كان طويلا أقما من القزم . وخزه دون وخز الابر . وقطعه دون قطع الجلم (٥) صاحب مقامات . تتذبذب دونها المراتب والمقامات . ورب بلاغة يكون دونها أرباب المعلقات . وأصحاب المقامات . من هو أبعد - وان تأخر عصره - غايات وأبهر - وان تقدم من قبله - آيات . ذو السحر الحلال . فمتى نسج على القوافى . لم يترك مقالا لقائل . ورب العذب الزلال . فمتى نثر بالمنسجم الصافى . أتى بما لم تستطعه الاوائل . شمس (سوس) اليوم بلا مبالغة . والمتقدم عن جدارة لرفع راية العلم والادب والارشاد فاقلتها بلا تلكىء ولا مراوغة . على أن مقامه لايزال فى ازدياد بعد (وما قلت الا بالذى علمت سعد) أبو محمد سيدى الطاهر بن محمد بن ابرهيم بن أحمد بن يحيا سلسلة أمجاد ما للتعريف أوردناها . وانما لذة واستمتاعا بحلاوة تلك

---

١) فى الجزء السابع المطبوع .
٢) طبعت أيضا مع الاول من (خلال جزولة)
٣) يصرد تصريدا : يقطع
٤) والمحذوف من القصيدة فى (نجوى الصديقين) المطبوع .
٥) الجلم محركا : المقص

الاسماء ذكرناها (١) فعلى حضرة الشيخ الذى هو مشحذ للافكار . ومقتبس للانوار . ومروق لكل عقار . ومستثمر لأنواع العرفان . صنوان وغير صنوان . ما يعطر من السلام جو ذلك الوادى الجميل . ذى الرياض الاريضة والظل الظليل .

(هذا) فاننا ما زلنا منذ تلك المجالس الماضية معكم نشاوى بتلك الكأس الروية . وحيارى كيف انقطعت بسرعة البرق تلك الساعات الانيسة العلمية الادبية . كأنها ريشة سرعان ما طار بها الاعصار . أو خوط مزهر قصفته فى لحظة يد الاهتصار . وكذلك أيام السرور ولياليه دائما قصار . فلله در مولانا الشيخ فقد بعث منا الرفات . وأحيا الموات . وأطال الرسن واستبدل فينا السلسال المعين بالرنق الاسن . وأطاب لنا من العلم مشرعه ونفذ فى أفكارنا للادب ما شرعه . فرد من ابنه هذا العزمة المراكشية جذعة فانقشع عن البصائر الضباب . وانزاح عن الفهم العوص والارتياب . فلم ننشب أن كنا بفضل مولانا الامام . فى بحبوحة فوائد منه يستحق أدناها رحلة جابر من المدينة الى الشام . وادنى الينا عويصات كانت قبل بعيدة عن متناول أيدينا اذا بها على طرف الثمام (٢) فجزى شيخنا عنا معشر أولاده كل خير جزيل . فقد حيى به موات كان قبل جد محيل . الا ان الدهر الذى كان جرعنا من الفراق ما جرع . وأودع بين الصدور ما أودع . كان يتوب من حوبه (٣) ويستل منا غفران ذنوبه . حين أخبرنا بعودة مباركة فى صباح يوم . سمعته وأنا لا أزال أمسح جفنى من النوم . قيل انكم ستبكرون ذلك اليوم بكور الغراب . وان ذلك حقيقة لاسراب . فلم تحملنى أرض ولا سماء فرحا وابتهاجا . فلم أملك فكرى أن جشت بتلك القصيدة كأنما أفجر بحرا ثجاجا . ثم مضت الصبيحة وجاءت العشية . فدوى جرس الهاتف الى دار الشيخ على الديانى فاذا سهم الامل مصرد اخطأ الرمية . فلعل الفجر الصادق يتلو الكاذب . فاننا لانزال نغالب الشوق وان كان الشوق هو الغالب

(وبعد) فكلنا ـ لولا أشواقنا الحرى الى الشيخ ـ على خير كثير وثير . نتقلب بين جوانب بلهنية العيش فى خز وحرير . فلا زائد عما يعهده سيدنا من عافية شاملة . ونفوس بأنعم الله ـ خصوصا بالمطر الملث ـ مختالة رافلة

---

(١) قال المتنبى :

أساميا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

(٢) نبتة صغيرة لاتعلو على الارض . مثل يضرب لقرب تناول الشىء

(٣) الحوب بالضم : الذنب

والحرث قد استمال الاعين . وجر اليه الارسن . أتم الله على عباده نعمه . ووالى على المتوكلين فى الحرث ديمه .

ثم انهى الى الشيخ كلاه الله بعين السعد . وتابع اليه رقيا الى رقى فى درج المجد . ان ابنه الكاتب ابلغ رسميا ـ ٢٤ ـ رمضان . هذا الشهر المبارك أن عقدته قد انحلت . وان العقيدة التى زورت حوليه عادت كشعرة من العجين فسلت . وانه مبرأ الساحة . مطهر الباحة . فقد بدا أن كل ما قيل انما هو زور مروق . وهراء ملفق . وان هذا كله اليوم عند الحكومة تحقق

ذلك ما بلغتنه . فقلت قولة عائشة حين برئت من الافك : لا اشكر الا الله وحده . فهو الذى نصر عبده . وهزم الاحزاب وحده . وهذه هى عدالة قوانين هذا العصر الجائر . يواخذ المتهم اولا . ثم ينظر بعد فى تهمته الى أين تؤديها المصائر . فالحمد لله الذى يعرف الظواهر والبواطن . والمتحركات من الهواجس والسواكن . فهو الذى يخشى وحده فى تدقيق الحساب فى الامور . لانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور . وأما بنو آدم فحسابهم هبا . لاتحل له الحبا . يخلط المحاسن بالاسواء . حين يخبط خبط عشواء . الا من امتثلوا أمر القرآن من العادلين المقسطين . فوقفوا عند قوله تعلى : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . على اننا نحمد الله أولا وآخرا ونأمل منه أن يكون لأجر كل ما أصاب داخرا . فهو وحده المأمول لأنه لايفعل بعبده الا الجميل . وان كان ذلك ربما لايظهر الا بعد زمن طويل .

اللهم عليك توكلنا أيها المسلمون . قائلين عند كل مصيب : (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون) . على أن المصائب تميز بين الاوداء فتريهم لك كما هم فردا فردا .

جزى الله المصائب كل خير ... وان كانت تغصصنى بريقى
وما شكرى لها مدحا ولكن ... عرفت بها عدوى من صديقى

ثم ان المذاكرة كانت جرت فى تلك الايام ـ يا سيدى ـ حول ابن بسام صاحب الذخيرة . فقيل انه الهجاء . وقيل انهما اثنان البسامى أو ابن بسام . والحقيقة ان الهجاء مشرقى . من أهل القرن الرابع . وابن بسام صاحب الذخيرة اندلسى من أهل أوائل القرن السادس . وكذلك الرازى . فالمفسر المشهور غير أبى بكر الرازى الطبيب . وكذلك ما تذوكر فيه فى دار أبناء الاستاذ سيدى على بن عبد الله حول محيط كرة الارض : ٢٤٠ الف ميل . وأزيد أنا لسيدى أن أبناء اليوم وجدوا هذا المقدار محققا الا بمخالفة تافهة . وذلك كله يؤيد أن الارض كرة . اتفق عليه من أرباب الفن المتقدمون

والمتأخرون . وفي بالي أن في (مروج الذهب) تلويحا الى هذا أيضا .

(هذا) وابنك يا سيدي ممن ضرب بسهم في هذا العلم المسمى اليوم بالجغرافية . وهي كلمة يونانية قديمة . توجد في كتبنا أيضا كما يسمى أيضا عند علمائنا علم (تقويم البلدان) فقد درسته ودرّسته . وعلمت فيه بعض ما وصل اليّ عن علمائنا من مثل كتاب (المواقف) وكلام الغزالي . والرازي وابن حزم . ورأيت في ذلك أن كون الارض كرة ضروري بديهي عند هؤلاء .

ألا نرى اننا الآن ان مشينا من بلد (المغرب) الذي نحن فيه متتبعين السير من هنا الى (الجزائر) الى (مصر) فـ (الشام) فـ « فارس » فـ «الافغان» فـ « الصين » فـ « اليابان » اننا في كل هذه الوجهة لانزال متوجهين الى مطلع الشمس بلا ريب يحصل الاّ لمن لم يمارس كيف مواقع البلدان بعضها من بعض . ثم ان سرنا سيرا آخر وراءنا الى (المغرب) فاننا نجد هذا البحر الكبير ممتدا الى (أمريكة) التي يوجد أيضا وراءها بحر كبير أيضا . وهذا السير الاخير كله الى مغرب الشمس . ثم ان نظرنا الى كون اليابان الذي هو في منتهى سيرنا الاول الذي قدمناه مجاورا لـ (امريكة) التي هي في منتهى سيرنا الثاني . حيث لايفصل بينهما الاّ بحر تتلاقى في سفنهما . وفيه يتحاربان في هذا العهد . وفيه (الجزائر) ينتزعها احدهما من الآخر . ان نظرنا بهذه النظرة التي لاريب في أنها في الواقع هكذا . ندرك أن الارض كرة بلاشك . وزد على ذلك أنه في وسط الليل . يتكلم في التلغراف بيننا وبين بلدان فيها اذ ذاك وسط النهار . كما هو الواقع بيننا وبين (اليابان) ثم يرجع الكلام في الحين . وفي كل وقت صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء في البلدان .

هذا كله بديهي اليوم . وكون الارض كرة تطير في الهواء من باب قدرة الله العظيمة . وهذا واقع صحيح لايرتاب فيه من ليس له أدنى يد في فنه . وهو علم أسبوع لا غير . وقد يرد علينا قول الله تعلى : (ومن الارض مثلهن) فنحتاج الى التأويل ولابد . وقد رايت للامام الغزالي كلاما في ان هذا التأويل لابد منه في مثل هذا المقام . والسلام على سيدي وعلى شيخنا من ابنكم البار . طالبا الدعاء الصالح لنا ولأولادنا أجمعين . فان الولد (١) الذي كتب له سيدي تميمة قد أثرت فيه . بركتها . وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر .

٢٦ رمضان عام ١٣٦١ هـ

---

(١) هو سعيد

جواب الشيخ رضي الله عنه :

أعدت الينا الكتب والعود أحمد ... فعاودنا منه السرور المجدد
عليك سلام مثل خلقك طيب ... يغاديك من مسراه نشر مردد
يرنح عطف المجد من الفك الذي ... سموت به فانحط نسر وفرقد
وفاقت رباه الشم حمراهم سنا ... وطيب صبا يشفي الجوى ويبرد ١
فيا أيها المختار وسما وهمة ... وعزما وفكرا بالذكا يتوقد
بعثت بها من بنت فكرك غادة ... لعوبا تقيم السامعين وتقعد
تميس دلالا ميس بلقيس اذ مشت ... على خجل في الصرح وهو ممرد
تحلت بدر القول فافتخرت على ... خرائد حلاهن در منضد
بيان كنفث السحر أو كمدامة ... كميت حبتها للقياصر صرخد
اذا رددت أنست أغاريد معبد ... واصغى بما تشدو الحمام المغرد
بلاغتها أزرت بكل مفوه ... وأجبل عنها راجز ومقصد (٢)
فيا أيها الندب المبر نجابة ... على كل من ينميه للعلم سؤدد
نمتك الى المجد المؤثل همة ... وساعدها أصل كريم ومحتد
فنلت التي لامثلها فتضاءلت ... لعزك أعلام تعالت وأنجد
فرفقا فقاضي الفضل سجل حكمه ... على النص والاجماع انك سيد
وخذها على العلات واستر عوارها ... فمثلك من يغضي ومن يتغمد
فان شئتم كان اقتصار وان تعد ... فعودك يا بدر السعادة أحمد

المقام الذي عهده الكريم . غير ذميم . ووجهه الوسيم . لاجهم ولا دميم . ووده القديم . لا مفصول ولا فصيم . ووده الشميم . لاغثاء ولا هشيم . وماؤه الجميم لابكيء (٣) ولا حميم . مقام الاخوة الصادقة الانواء . والنبوة المبراة من الاسواء . والولاء الذي لايزعزعه اختلاف الاهواء . والمحتد الحر الذي لايشين قافية بيته الاقواء . محل ولدنا المحمود كرمه . المحروس بالله حرمه المنهل ديمه . الطيب شيمه . قرة العين . ودرة الصون . وانس الضمير وان طال البين . وبعد البون . سيدي ولو وجدت كلمة تفوقها لصرحت بها وما كنيت . وأسرعت لاقتطافها وما ونيت : المختار وصفا وعلما . والمرفوع بالنداء مفردا وعلما . المبرز في ميدان البلاغة لسانا وقلما . لازال مورد علمه المعين منهلا لكل قاطن وظعين . تاتيه الفئام بعد الفئام مهطعين . وبدر سعادته

---

١) يعنى بالحمراء (مراكش)

٢) أجبل الشاعر : اذا عجز عن الشعر بعد أن كان يقوله . وقصد الشاعر تقصيدا : قال قصيدة .

٣) البكيء : القليل

الجامع للكمال . تسرى به فى الدياجى المدلهمة وفود الامال . لابتغاء العلم والجاه والمال . وسلام على تلك الساحة المباركة . المنفردة بغرائب المكارم بلامشاركة . سلام يزداد به طيب نسيم الغها . ويتضمخ بعبيره يياض جبينها وسواد صدغهـا . حتى يعلم لـ (الغ) المحبوب أنه عاد الى شرخه كانه بعث من مضى من شباب أهله وشيخه . ورد ما ند من أوائل فضائله الى فخه . وجدد ما دثر من مدونة علمه . وتهذيب خلقه باعادة نسخه . فيالك يا (الغ) من وطن عليل النسيم . صحيح الهواء . نمير الماَ . كأن مزاجه من تسنيم . وهنيئا بنبوغ ولدك النجيب . ورحمة الله وبركاته . رحمة تطيب بها مساكنه وسكناته وحركاته . (هذا) وقد وردت الرسالة ونهلنا من بلاغتها المسالة . وهززنا عواملها العسالة . فأجنت من ثمر النصر المديد بالبسالة . ما نال بـه الفكر من عوائد الامل ما ساله . ثم ان أول واجب على الفكـر المكلف بالجواب . بعد الاستعانة بالله على اصابة الصواب . وتصحيح النية فى مذاكرة الاخوة السابغة الاثواب . المفعمة الاكواب . المغصة الابواب . بالرواد والنواب . الكلام على فصل البشارة . التى لبست بها العوالم من المسرة ابهى شارة . واختص العبد الفقير بما جنى من عسلهـا المصفى وشاره . وحلب أطباءه بالشكر كما حلبت الفدعاَ على الفرزدق عشاره (١) ورب بلاغة فى اشارة . واسهاب يخاف اللسان فشاره . فنقول : الحمد لله الذى كشف الجلباب عن وجه الحقيقة . وبرأ الساحة التى هى بالبراءة خليقة حقيقـة . وأساغ للمشفق مثلنا ريقه . وكسر جمع العدوان وهزم فريقه . وهدى الـى مثل الطريقة . من جرم تلك الدعوى المزورة الوثيقة . فليعـد الطرف الى وسنه . وليمرح جواد الامن فى رسنه . وليرجع الخبر الموضوع الى صحيحه وحسنه . وليحمد الوارد نمير منهله بعد أسَنه . ويرجع السيف الى نصابه والامن الى محله بعد ذهاب أوصابه . وارتجاع ما نهبه العدوان باغتصابـه . فلك ايها الاخ الهناء الدائم . والامن الملائم . بحـول الله وقوته . ثم تثنى بالكلام على الكرة الارضية بعد تقديم الاعتراف بأننا لم نلمم بساحتها بحال ولا غرو ان عددنا ما قيل فيها من المحال . فمن جهل الشىء عاداه . وتصامم عنه أذناه . ولكن المذاكرة لقاح . لاينكر ثمرتها الا كل وقاح . فنقـول : ان عنيتم بكونها كرة . ان الارض محاطة بالفلك احاطة الهالة للقمر . فلا نجحده . غير انا نقول مع ذلك مسطحة منبسطة ممدودة الاديم . لها عرض وطول بنص القرآن : والارض مددناها ؛ والارض بعد ذلك دحاها . الى غيرها

---

١) قـال الفرزدق :

كم عمـة لك يا جرير وخالـة فدعاء قـد حلبت علـىّ عشارى

من آية وخبر . وان عنيتم انها ملمومة مدورة دور الرمانة والبطيخة مثلا . مستوية الزوايا . متحدة العرض والطول . حتى يلتقي شرقها بغربها . ويمينها بشمالها . فذلك أمر لانقبله مع التصديق بأن القدرة صالحة :

ما أقدر الله أن يدني على شحط من داره الحزن ممن داره صول

لكن المحال العادي . لايقبل الا بشاهد نص الكتاب أو السنة أو الاجماع . وما استدللتم عليه من تتبع البلدان من (أماريكة) الى (الصين) أو من (الصين) اليها . وتلاقي أطرافهما من اليمين أو الشمال . فلا ينتج الدعوى . لاحتمال أن اللقاء ربما حصل بامتداد جزائر (أماريكة) في البحر المحيط من الاقليم السوداني الى السابع الصقلبي . مع بعد ما بين (الجزائر) المذكورة فيأنفسها وافتراقها . بحيث طالت المسافة بين بعضها وبعض . بدليل سواد لون السودانيين منهم . وشقرة الشماليين . كما شهد به التواتر . فلا يبعد أن تخترق البحارة الذين مكنهم الحق تعلى بحكمته من سبل البحر خلجان بحر المحيط المتصلة ببحر (الهند) أو (الصين) . اما خلقة أو تعملا . كما صنعوا بترعة (سويس) وبوغاز (طنجة) فيتصل السبيل . في البحر كما اتصل في البر . والا فاتصال أرض الشرق بالغرب قلب للحقائق . وشتان بين مشرق ومغرب .

وقولهم ان الكرة في الهواء يكذبهم النقل . بل انها على الما' . والماء على الريح . وكذا على كذا . الى الصخرة الى الثور والحوت . وما لا يعلمه الا الله . مما لاينفع علمه . ولا يضر جهله . والارض طباق سبع بعضها فوق بعض . مع بعد المسافة بين طبقة وطبقة . وذلك ينافي الكرة الملمومة

وقول من يقول منهم : ان السبع انما هي الاقاليم على ظاهر الارض . يكذبه النص : (طوقه من سبع أرضين) وما ورد من أن لكل طبقة سكانها غير الادميين مما يعلمه علام الغيوب . وصلحت له القدرة القديمة . والله أعلم

وأما اختلاف سير الشمس . وكونه في محل في وقت وفي غيره في وقت آخر فان قالوا بطول التفاوت . ولو بقدر يوم أو ليل . فهو مشكل لما يلزم عليه من اختلاف الايام والشهور . والاعوام . المؤدي لفساد نظام العبادة من صلاة وصوم وحج . بأن يكون اليوم في محل غيره . والشهر فيه كذلك . وتطرق الشبهة الى النص الصريح : (ان عدة الشهور عند الله) ـ الآية ـ وحديث : (ان الزمان قد استدار كهيئته) الخ . ومثله في قوة الاشكال ما زعم بعضهم : ان بعض البلاد لا ليل فيه . أو لا نهار . وانما هو النهار أبدا . أو الليل كذلك . أو ستة أشهر ليل . ومثلها نهار . لما يبطله من قوله

تعلى : (وجعل الليل والنهار خلفة) وغيره مما يناقض النص . فيسقط اعتباره واما تفاوت سير الشمس بحسب اختلاف المطالع وقربها أو بعدها من سمت الاعتدال فأمر مسلم . ولكن التفاوت لايبلغ ذلك المبلغ . وانما هو فيما يظهر بقدر ساعة أو ساعتين . فينجبر الناقص من ليل أو نهار بالكامل منهـا . ويبقى قرص الشمس فى برجها بكل حال . ولا محذور فيـه . واما نفى غروب الشمس وطلوعها وادعاء انها دائما مقابلة لوجه الارض . وان غروبها اما هو فى رأى العين . فهى دعوى مجردة . اخترعهـا سقراط وبقراط . وهيان ابن بيان . والنص محكم . والعموم لم يرد ما يخصصه . ولا يصار الى التأويل الا بنص صريح . والتأويل خلاف الظاهر . والفكر يقف عند حده ويرجع الى العجز الذى هو عشه . ولله در القائل :

نهاية اقدام العقول عقـال   واكثر سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

والقـائل :

لعمرى لقـد طفت المعالم كلهـا   وسرحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كـف حائر   على ذقن أو قارعا سن نادم

وقد انصف صاحب الفلك لما رجع الى الحيرة فقال :

بربـك أيهـا الفلك المدار   اقصد ذا المسير أم اضطرار

وأنا استغفر الله من الكلام على ما لم نحط به علما . ونومن ممـا أتى بـه رسول الله من عند الله . ونكفر بما ادعاه المشركون . سبحان ربـك رب العزة عما يصفون . ولنمسك العنان عن الاسهاب . فيما لاينتفع منه بلحم ولا اهاب . وانما الباعث محبة مذاكرتكم التى فتحتم بابها فجزاكم الله خيرا والمحبوب لايمل . ثم اننا وجدنا فى الرسالة بعض ألفـاظ اقتضى الحرص على المذاكرة والاستفادة مراجعتكم فيها . طلبا للارشاد . لا لغرض الانتقاد منها مطلع القصيدة فى مرثية الفقيه (١) العوفى رحمه الله . وهو (ننعيه) فان القياس والسماع هو ينعى . كيسعى ويرعى . لحديث : انعى أبا رافع . وقول سيدتنا فاطمة عليها السلام : (يا أبتاه الى جبريل ننعاه) وقل (اللامية : فى غير هذا لدى الحلقى) وقولكم فى اول الرسالة : أقما من قزم . فان القزم هو القصير اللئيم . وهو ان القصير معنى الاقمأ . فيؤدى الى تفضيل الشىء

---

١) مطلع تلك المرثية التى أرسلتها الى الشيخ :

ألّلمحـابر أنعيـه وللكتب   أم للمعـالى وللاخـلاق والادب

على نفسه . وهو كتشبيه الماء بالماء . ومنها واستبدل فينا الاسن (١) بالاجن. فان الاجن والاسن مترادفان . وقد اخصب ما هو جديب محيل . فان صوابه ممحل أو ماحل . من المحل . لا من الاحالة . واما ما ذكرتم من العود الاحمد فقد وقع العزم . ثم نقضه القدر الذى ينقض العزائم . فسبحان مقلب القلوب

ندبر أمرا ثم يحكم غيرنا   كذا يعرف المولى بنقض العزائم

على أن المرجو من الله أن يساعد العزم . ويدفع الموانع وهو الفاعل المختار .

ونسلم بأتمه وأجمله وأكمله وأجله على الخليفة الشيخ الاخ قطب رحى تلك المكارم . وانسان عين الفضل والكرم . الشيخ سيدى محمد . وعلى سائر من بكم واليكم . كما يسلم عليكم جميعا ولدنا البر أخوكم محمد بن الطاهر . أصلحه الله ونسألكم صالح الدعاء بظهر الغيب . لنا ولأولادنا . ونحن لكم بذلك من أنفسنا . ولا تخلنا أيها الاخ من افادتك وانشاداتك فانك تدخل علينا بذلك من السرور . ما نرجو لكم به ثواب من أدخل السرور على أخيه . والله يحفظنا واياكم بما حفظ به الصالحين . ويصحبنا اللطف والرضا بما جرى به القضاء . وعلى العهد والمحبة وحسن الاخاء .

تاريخ : ثاني شوال ١٣٦١ هـ

استدراك

قد راجعت تفسير ابن الخطيب الفخر الرازى . فوجدته نص على ما ذكرتم من اختلاف المطالع . وتفاوت الاوقات . ولكن بقى الاشكال على حاله من لزوم اختلاف الايام والشهور والسنين . وعلمنا أن الاشكال انما نشا من جهلنا . وأهل الفن أعلم بجليه وخفيه. ونحن أحق أن ينشد فينا لسان الحال:

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل   يرى القبض في الطويل من اقبح الكسر
ومن لم يكن يدرى العروض فانه   يرى النقص فى عين الكمال ولايدرى

والتسليم أسلم . والله بالحقائق أعلم . واليكم المعذرة فى هذا الاسهاب الذى هو من الفضول . بما ليس تحته محصول . والسلام . ألحقه الفقير الطاهر . علم الله جهله .امين .

كالجواب

يقول تلميذ الشيخ رضى الله عنه . محمد المختار رزقه الله رضى شيخه رضى الله عنه :

---

١) أصلحت العبارة فى الرسالة المتقدمة بعد التنبه لهذا الغلط .

(أحمد الله حين لأزال أستمتع من أستاذى الشيخ بالافادات والارشادات وبالتنبيه على ما عسى أن اعتسف فيه عن الطريق .

ثم ان ما كتبه الشيخ رضى الله عنه من البحث حول كروية الارض . فاننى أتطلب بكل الحاح من كل مطالع أن يعذر فيه الشيخ . لانه وكل علماء طبقته الاقلين . ما كانوا يعتنون بهذا العلم . ولا ألفوا منه الا ما كانوا قرأوه من كون الارض على الثور الذى هو خرافة اسرائيليـة بلا ريب . قد ردها المحققون من علماء أسلافنا رضى الله عنهم . وكون الارض كرة . كان سلفنا الصالح قد ادركوه . وكتبوا وحرروا القول فيه من القرون الاولى . ثم ان ذلك اليوم لايخفى الا على من لايزال يعيش خارج الحضارة وعلومها . وميادين بحوثها . ولا يستمع الى المذاييع . وقـد استخرج مقدار محيط الكرة الارضية من أيام المامون أبناء شاكر . وذلك مشهور فى التاريخ . وسيدنا الشيـخ رضى الله عنه من هذه الطبقة التى تبعد عن هذه الابحاث . وذلك لايضيره ولا ينقصه . ولا يثلم شفوفه فى معارف أخرى . رضى الله عنه .

واما ذكر مضارع نعى ينعى (بالكسر) فانه موجود فى شراح اللامية نفسها . حين يقولون شذ نعى ينعى وبغى يبغى (بالكسر) وان كان واردا أيضا نعى ينعى على القياس (بالفتح) وقد ذكرت هذا لشيخنا هـذا فقال : عجبا من نسيانى له مع أنه فى شروح اللامية .

واما بحثه رضى الله عنه حول : واقما من قزم . فمسلم والمقصود اولا هو أقصر مما هو موصوف بالقصر . وكذلك ما قاله فى الاجن والاسن مسلم. ولذلك غيرت تلك العبـارة . وكذلك لايقال خصيب محيـل وان كـان يستعمل كثيرا اليوم عند الكتاب .

فشكرا لشيخنا من أعماق فؤاد تلميذه . ولله در أستاذنا . فقد أبى الا أن يوالى دائما على تلاميذه الفوائد . مع قبوله ما عسى أن يبـفض منهم . فهكذا هكذا المربون رضى الله عنهم .

مذاكرة الشيخ الجليل

في البحث هل يوجد للقتل حدا لتارك الصلاة كسلا من دليل

الحمد لله الذى جعل المذاكرة ينبوع الفوائد . والصلاة والسلام على من هو فى لبة النبوة بمنزلة الدرة الوسطى فى القلائد .

هـذا ففي ثاني شعبان ١٣٦٢ هـ زار شيخ الجماعـة العلامة الكبير . والاديب الخطير . سيدى الطاهر الايفراني مسكنا التامانارتى أصلا : حضرة (الغ) فهطلت له المجالس الادبية وصابت . وجالت الافكار في فجاج الابحاث بما استطابت . فما شئت من فوائد أدبية يعز نظيرها . وبحوث حديثية يطاع قصيرها . ويعود يسيرا عسيرها . فكان مما جرت فيه المذاكرة . ونحن في ثوى (١) الاساتذة : سيدى المدني . وسيدي الطاهر ابنى العلامة ابى الحسن الالغي: هل يوجد للقتل حدا لتارك الصلاة كسلا دليل في الكتاب او السنة ؟ ثم لما صدر الامام الى ضيعته في قرية من (تيزلمي) كتب الى ما نصه :

الاخ البر . وان أنصفنا قلنا الاب المبرور . والشيخ الذى لايجحد حقه الا كفور . زينة العصر . وحامل راية النصر . المزرية نتائج أفكاره بيتيمة الدهر . ودمية القصر . علامة المغربين . وسباق حلبة الادبين : سيدى محمد المختار المختار . الفذ الذى فـى ابداعـه لايمـار (٢) لا زال غالي القيمـة . صادق البرق غزير الديمة . وسلام عليه سلام حنو ووداد . وشوق ما زال على توالى الآماد يزداد . ورحمة الله وبركته .

(هذا) وانهى الى مجدك . صان الله علو جدك وجدك . انى لما رجعت من الحضرة ذات المحاسن الجمة . والاحسانات التى تكشف الغمة . بدائع آداب وخرائد ألباب. وعوارف معارف. ولطائف توالد وطرائف. وموائد برمكيات. ومجالس ملوكيات . وتحف وهبات . وفكاهات وترحبات . تذكرت ماجرى أثناء المذاكرة من ذكرنا ما وقع في بعض انديات حضوركم بـ (فـاس) المصونة من طلب دليل يشهد لقول الفقهاء بقتل من ترك الصلاة الى بقاء ركعة من الضرورى حدا . والجاحد كافر. فتفكرت فحضر لى احتجاج(الصديق) رضى الله عنه على الصحابة لما عزم على قتال المرتدين . وحاجوه بقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا الـه الا الله . فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها) وفي رواية : الا بحق الاسلام . فقلب عليهم رضى الله عنه حجتهم . واخذهم بقوله : الا بحقها . فقال: الصلاة حق البدن . والزكاة حق المال . ولو منعونى عناقا (٣) لقاتلتهم الخ . فأفاد أن قواعد الاسلام هى حق (لا اله الا الله) المستثنى من عصمة الدم . فمن فرق بينها جحدا كفر . أو عنادا أو كسلا قتل حدا . اذ لا عصمة

---

١) الثوى كغنى : بيت الاضياف في الدار
٢) المقصود لايمـارى .
٣) العناق بالفتح : الانثى الصغيرة من أولاد المعز . وفي رواية في الحديث عقال بالكسر .

له . كما ان مانع الزكاة توخذ منه كرها ويقاتل عليها . ولا عصمة لدمه ولا ماله . والله أعلم .

كتبت اليكم على سبيل المذاكرة . استمطارا لبرق فهمك . واقتباسا من نور علمك . زاد الله فى معناك . وعمر بالتقوى والعلم مغناك . والسلام يوم الاحد ١٣ شعبان ١٣٦٢ هـ .

الجواب :

القلب بالاشواق ينصدع ... ليت اجتماع الامس يرتجع
يا حسن ذاك الشمل منتظما ... والكل فى آدابهم شَرَع (١)
وأدباء (الـغ) قد برزوا ... وباتقاد الفِكَر أدرعوا
طابت بهم (الـغ) وطابوا بها ... ان يسنح الراى لهم صدعوا
ينتشرون حول معضلة ... حتى اذا الحق بدا اجتمعوا
بيناهم الخيل بَدادِ ؛ اذا ... بهم ـ وقد بان الهدى ـ رجعوا ٢
فما يقول قارح منهم ... لجذع تغطرسا : هِدَعْ (٣)
تجمعهم للعلم جامعة ... وثيقة مع أنهم شيع
ترى السعيدى وجيرانه ... مثل الثريا بالسنا سطعوا (٤)
أولاد علات ولكنهم ... لبان علم واحد رضعوا (٥)
صفاهم العلم فخلصهم ... نقدا وما من بينهم ودع (٦)
واعظم الاعياد فيهم متى ... بوفد تاج الادبا سمعوا
فينتدون للفوائد فى ... كل مكان فيه مجتمع
وسيدى المولى الامام لهم ... روض على أزهاره ارتبعوا
من كان أولى الناس لو لم يزد ... ان تمتطى العيس فينتجع
فانه فى سوسنا قدوة ... واى عقل مثله يدع
فامره اجمعه سنة ... (ان الامور شرها البدع)

١) هذا وهذا شرع : سواء
٢) أغارت الخيل بَدادِ كنزال : متفرقة
٣) هدع بكسر ففتح : كلمة لا تقال الا للصغار من الجمال تهدئة لها .
٤) نسبة الى عبد الله بن سعيد جد الألغيين من المرابطين .
٥) أولاد علات : الابناء الذين أبوهم واحد . وأمهاتهم شتى . وعكسه : أولاد أخياف .
٦) الودع : الصدف الذى كان يعتاد أن يتعامل بـه كالنقد قديما عند بعض الامم .

اغبط من قد لازموا ظله أمس هنا ونعم ما صنعوا
وكدت أصنع كما صنعوا لولا التى وجعها الوجع (١)
فساعة مع مثله بهجة ومتعة ما مثلها متع

أمام الارشاد والادب . والعلامة الذى ينسل اليه رواد المعارف والهدى من كل حدب . من نتطاول حتى نكاد ننطح السماء عند انتسابنا اليه . وان لم ننل - كما نحب - مما جنى هو خياره بكلتا يديه . سيدنا ومولانا ووالدنا الذى نشمخ ببنوته . وبالانتظام فى أهل حضرته . ولفيف زمرته . أبو محمد سيدى الطاهر بن محمد بن ابرهيم . المتسلسل من امجاد لهاميم (٢) تتباهى بنظرائهم الاقاليم . فعلى حضرة شيخنا حفظه الله . أعظم السلام . وأذكى التحايا . ما تذكرنا مجالسكم وفوائدها فنكاد نزم المطايا (٣) فالقلب بجنابكم طائف وان تخيلا من بعيد . لان ابنكم لم يكن الا بكم يبدىء أو يعيد . وأنتم الامس واليوم القبلة . وحضرة الاستاذ العمدة وان تعددت المشايخ الجلة . فما عنكم مزحل (٤) ولا عن موالاتكم مرحل . فعليكم المعول . وما الحب الا للحبيب الاول (٥)

(هذا) فقد وردت علىّ رسالة من مولاى تطفح عطفا . فقبلتها الفا . وأوشكت أن أعلقها شنفا (٦) حملت الى الابن من حسن ملاحظة الاب الكريم ما هو كالمرهم المجرب عند السليم . فقد أرانى سيدى مهيع (٧) المجد لاحبا . وكيف اتخذ عمرى الجد صاحبا . حتى اتصف بذلك الوصف الذى يخلعه مولاى علىّ اليوم مطرفا موشيا . كاننى أصبحت وحيد دهرى فتسنمت مقاما سنيا . فقلت : اللهم اجعل هذا المجاز حقيقة ناصعة . وهذا القبس الفتيل شمسا مشرقة ساطعة . وهل علينا الا بركة الاشياخ أمس . فلماذا لانضم

---

١) فى الحديث : الهم هم الدين . والوجع وجع العين . وقد كان وجع العين أصابنى فأتخلف عن بعض المجالس اذ ذاك مع الشيخ والالفيين .

٢) لهاميم الناس : اسخياؤهم . أشياخهم جمع لهميم بالكسر والضم .

٣) زم البعير : جعل له زماما . وهو هنا : كناية عن الرحيل .

٤) مزحل : مبعد . طرف مكان . قال الشاعر فى معنى مزحل :

ويركب حد السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

٥) قال أبو تمام :

كم منزل فى الارض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

٦) الشنف كالسهم : ما يعلق فى الاذن أو أعلاها من الحلى

٧) المهيع كمَدخَل : الطريق . واللاحب : الواضح .

على ما يرشحوننا اليه اليوم كل الاصابع الخمس . وهذا الشان الذى هو محور الامانى . ليس الا كما قال محمد بن هانى :

ولم أجد الانسان الا ابن نفسه   فمن كان ارقى همة كان أكبرا
فلـم يتأخر من أراد تقدمـا   ولم يتقدم من أراد تأخرا

فهكذا يعتنى الاساتيذ بالتلاميذ . ويقدم الاباء الابناء .

وأما المذاكرة التى منّ بها على مولاى . فاحب أن أجرى فيها نظرى. واعيد اليها من جديد بلا مناظرة بصرى . فهـل أنا لمولاى قريع . ومتى ادرك الظالع شأو الضليـع او مثلى يتعقب مـا سنح لمولاى . فـذلك مـا تقصر دونه يداى . وتكل عيناى . فـلا يفتى ومالك بالمدينة حى . وهل هـذا الا ضلال وغـى . ومتى رعى الهشيم (٢) والعشب فى المراعـى مخضوضل . فاذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (٣) وهل من حصاة لمن سابق اليعابيب بالبراذين (٤) أو قابل القراضيب بالعراجين . لكننى بعد أن امعنت النظرة . واجلت الفكرة . ادركت ان المقصود أن يعرض التلميذ امام أستاذه ما كان قائـلا . ثم لا عليه ان كان رايـه مصيبا او فائلا (٥) فابصرت الطريق واضحا . ثم أقدمت ولم أخش وأنا على هذه النية فاضحا . فما على اذا أنا أبديت ما ظهر لى بين يدى أصحاب الطياليس. وابن لازّ ابن لبونى البزّل القناعيس (٦) فـلا نشر للمـذاكرة فى المسالة بالاختصار ما انطوى . فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . ولو خيرت لاخترت الاحجام عن هذا الجواب . فلا بأس أن تقطر دماء

---

(١) الظالع : الاعرج . والضليع : القوى الاضلاع .

(٢) قـــال :

لعمر أبيك ما نسب المعلى   الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكـن البلاد اذا اقشعرت   وصوح نبتها رعى الهشيم

(٣) معقل بن يسار : صحابى . حفر نهرا بالبصرة . فاذا جاءت الامطار يستغنى عنه . وهذا هو المعنى المقصود بالمثل .

(٤) الحصاة : العقل . واليعبوب : الفرس الجيد . القراضيب : السيوف القاطعة جمع ؛ قرضاب .

(٥) فال الرأى : أخطـأ

(٦) قال الشاعر :

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

كلوم مثل فى هذا الميدان على الاعقاب (١) فها انذا القى دلوى فى الدلاء . فلتات بملئهـا أو بقليل مـاء (٢) فبذل الجهود . خـير من القعود . والمدافعة بالكهام المفلول (٣) ولا النكوص عن ميدان الصئـول . والرضا بالاشتمال بشملة الخنوع والخمول . فلا خير فى حياة ذى الخَنَع اليَراع (٤) اذا ما عد من سقط المتاع وانتظم فى سفلة الجهلة الرعاع . فذلك عند كل ذى عرق نابض ما لايستطاع . واذ لم يتات لمثلى الا الاخذ بالاطراف والظواهر دون البواطن . لأننى قبل الرماء لم املا الكنائن (٥) فساقصر على ما تيسر لى من المنقول قولى . لانه لايمكن لى أن امد فوق قدر الرداء رجـلى (٦) فعـل الله التكلان . وهو خير معوان .

قال مولاى : انى لما رجعت تذكرت ما جرى أثناء المذاكرة من طلب دليل يشهد لقول الفقهاء من قتل من ترك الصلاة تكاسلا . فحضر لى احتجاج (الصديق) رضى الله عنه على الصحابة لما عزم على قتال المرتدين . فحاجوه بقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله . فاذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم الا بحقها . وفى روايـة : الا بحق الاسلام . فقلب عليهم رضى الله عنه حجتهم . وأخذهم بقوله : الا بحقها . فقال : الصلاة حق البدن . والزكاة حق المال . ولو منعونى عناقا

---

١) فليس على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن عـلى اقدامنا تقطر الدما

٢) يقول الشاعر :

فليس الرزق عـن طلب حثيث ولكن الق دلوك فى الدلاء
تجىء بملئهـا طورا وطـورا تجىء بحمـاة وقليـل مـاء

٣) الكَهام : السيف الكليـل ؛ لايقطـع ؛ يقال : كهم السيف كفرح : كـل ولم يعد يقطع .

٤) الخَنَع : الذل . واليـراع : الجبان . وهذا مأخوذ من قول قطرى بن الفجاءة يهيج نفسه الى اقتحام المعركة من قطعة :

فصبرا فـى مجال الموت صبرا فمـا نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقـاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع
فما للمرء خـير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع

٥) الرماء : المراماة بالسهام . والكنائن جمـع كنانـة : جعبة السهام . وأصل المثل : (قبل الرماء تملأ الكنائن)

٦) يقول الشاعر :

على قدر الرداء مددت رجـلى فلـو طالت الرداء لها لطالت

لقاتلتهم الخ . فأفاد أن قواعد الاسلام هى حق (لا اله الاّ الله) المستثنى من عصمة الدم . فمن فرق بينها جحدا كفر . أو عنادا أو كسلا قتل حدا . اذ لاعصمة لدمه ولا لماله . والله أعلم . كتبته اليكم على سبيل المذاكرة . استمطارا لبرق فهمكم . واقتباسا من نور علمكم . انتهى المقصود من رسالة مولاى .

كان تقدم لنا فى المذاكرة يا سيدى : ان الشافعية والمالكية . ذهبوا الى ما تقدم من ان تارك الصلاة كسلا يقتل حدا . واستشكل بعض الحذاق من كلا الطائفتين : ـ الشافعية والمالكية ـ الحكم بالقتل حدا . لأمرين :

أولهما : لم يرد دليل ناصع لهذا القتل . ما دمنا نجعله قتل حد . لاقتل كفر . بل لم يرد أنه وقع قتل لتارك الصلاة البتة فى زمنه صلى الله عليه وسلم . ولا فى زمن الخلفاء الراشدين . مع توافر دواعى النقل لو وقع ذلك . ومع مظنة وجود من عسى أن يتهاون فى أداء الصلاة فى الوقت . ضرورة وجود ما هو أكثر من ذلك . من النفاق والارتداد الذين جرد الصحابة سيوفهم فى مقاومتهما . بمجرد ما انتقل النبى صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى . وقد ذكر كل هذا : المحدثون المطلعون على الشاذة والفاذة اذ ذاك . بل ورد ما ربما يكون فى ضد هذا القتل حدا . ما دام لم يكن قتل كفر . وهو الحصر الصريح فى الحديث المتفق عليه من أنه لايحل دم امرىء مسلم الاّ بالزنى بعد الاحصان . والنفس بالنفس . والردة من التارك لدينه . المفارق للجماعة . فأين يدخل القتل حدا هنا . كما يدخل فيه القتل كفرا . على ما ذهب اليه الحنابلة . وهناك أحاديث تشهد للحنابلة : تعلن أن تارك الصلاة كافر . فيكون دليلهم فى الحديث صريحا . بخلاف من قال : يقتل حدا . فان الحديث ضده كما ترى .

والامر الثانى ان الشافعية والمالكية : جعلوا هذا القتل حدا . فاحدثوا حدا من الحدود . زيادة على ما هو معلوم فى نصوص السنة والكتاب . فان كانوا سموه حدا قياسا على الحدود الاخرى . فان القياس لايدخل الحدود . كما لايدخل الاسباب والشروط . وان لم يكن تسميتهم لهذا بالحد من القياس فمن أين اذن فلا نص كتاب . ولا نص سنة . ولا اجماع ولا قياس . ومتى انتفت هذه . انتفت المآخذ . هكذا يورد بعض الحذاق من المالكية والشافعية على مذهبهم ما يوردون .

(أقول) ان عدم دخول القياس فى الحدود والاسباب والشروط . لم يتفق عليه عند الاصوليين . بل ان القياس يدخل عند المالكية والشافعية

الحدود . ولم ينفه عنها الا أبو حنيفة . كما صرح به ابن السبكي . وينبغي أن ينظر هذا الامر الثاني مع ذلك .

ثم انه في بالي ـ وقد بعد العهد بالمزاولة ـ ان بعض المالكية النظار الكبار حاول أن يستنبط الدليل في حديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله . وان محمدا رسول الله . ويقيموا الصلاة . ويوتوا الزكاة . فاذا فعلوا ذلك . عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها . وحسابهم على الله . وهو حديث صحيح متفق عليه . ووجه استنباطه الدليل منه : ان عصمة الدم منوطة بجميع فعل هذه الخمسة . وهذا منطوق الحديث . ومفهوم (حتى يشهدوا) ان الانسان اذا ترك كل الخمسة . فمباح الدم . لا عصمة لدمه ولا لماله . واما ان فعل البعض وترك البعض . يعني ان فعل المعتبر الاصل . وهو الشهادة . وترك غير الشهادة . فانه لم يات بالجميع الذي يعصم به دمه وماله . فيدخل في هذا انه ان ترك الصلاة فانه حلال الدم فنوقش في انه ان اخذ الحكم بالجميع من منطوق الحديث . فان المنطوق يدل على اباحة قتاله لا قتله . وان أخذه من المفهوم الثاني . أعني اذا أتى بالبعض وترك البعض . فانه لاباس ان عطل المفهوم . والخلاف في المفاهيم معلوم . وان كان يرد أيضا لمن تامل : انه يقتل وان لم يقاتل . الا انه مفهوم عورض بمنطوق الحديث الصحيح المتفق عليه أيضا من عدم حل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث . وهذا ليس بالمحصن الزاني . ولا هو مأخوذ بالنفس عن النفس . ولا هو بالمرتد الذي يحكم عليه بترك دينه . وبمفارقة الجماعة مفارقة تامة . هذا ما في بالي حول الذي جرى بين ابن المنيّر المالكي ـ كما أحسب الآن ـ وابن دقيق العيد . ولا يخفى أن هذا الذي يقوله ابن دقيق العيد . هو من الوضوح بمكان . لان الامر هنا : انما هو أمر بالقتال . لا أمر بالقتل ؛ مطلقا ؛ فضلا عن أن ينتج القتل حدا . الذي هو قتل خاص. لكونه عن سبب خاص . وهو موضوع البحث . وهذا بحث جيد الى الغاية . فكما ان مانع الزكاة . يقاتل ان قاتل دون ماله . فلم يمكن أن توخذ منه الزكاة قهرا الا بقتاله . فكذلك يقاتل تارك الصلاة تكاسلا ان قاتل دون تاديبه الذي ينويه به الامام . كيفما كان هذا التاديب . ولو كان ما تسميه نحن قتل حد . كما يقاتل من أبى الصيام . وقاتل دون تاديبه . ودافع عن نفسه . هذا كله دليل ظاهر من الحديث ان سلكنا فيه طريقة ابن المنير . فتصح لنا من هذا كله المقاتلة لا القتل حدا . ولكن الذي نفتش عنه هو دليل القتل حدا . لا مطلق دليل . ولو كنا سلكنا طريقة الحنابلة في حكمهم بالقتل على تارك الصلاة تكاسلا بالكفر لربما تقارب الامر . فانهم يحكمون عليه

بالقتل كفرا . ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة . ومن بين أدلتهـم الكثيرة : هذا الحديث نفسه : (التارك لدينه المفارق للجماعة) فقالوا انه ترك دينه حقا . فيقتل كفرا . ثم قالوا لافرق بين تارك الصلاة . وتارك الصوم . فمن اقر بالصوم لسانا ولم ينفذه عملا . فانه ضيع حق الشهادة فيلزمه القتل كفرا . ويتصور ذلك فى الحج . بأن يقول : ان الحج فرض علىّ . ولكنى لا أحج . فان المرجح فى الحج عند الحنابلة . قتله كفرا فى رواية عن ابن حنبل الا ان الزكاة لايكاد يتصور فيها هذا . لانها تقبل النيابة . فان أبى صاحبها اخذت منه كرها . والفرق بين القتل والمقاتلة . أعنى ما بين من يحل لنا أن نقاتله . وبين من يحل لنا أن نقتله . يتبين لنا نحن المالكية فى كوننا نقاتل من تركوا الاذان فى قريتهم جماعة . ان قاتلوا الامام . وأبوا من جبرهم على ذلك . وهل يحل للامام الاقدام على قتلهم وان لم يقاتلوا . يتأمل فى ذلك

كما ذكروا أيضا أن من يتعاملون بالربا وقد أقروا بأنه حرام . ولكن يأبون أن ينكفوا عنه . يقاتلون ان قاتلوا دون تنفيذ الامام فيهم حكم الشريعة فهل يجوز أيضا قتلهم ولو لم يقاتلوا .

وبهذا كله يظهر لنا سداد نظر ابن دقيق العيد . كما نعلم أنه لايمكن ان نفهم من احتجاج الصديق رضى الله عنه مثل ما فهمه ابن المنير مطلقا . فانه وان فهم من الحديث الحكم المسمط على اجتماع جميع الخمسة من الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج . لايعطى الا الحكم بالقتال لا القتل . فأبوبكر نفسه لم يستنبط من الحديث الا القتال للمانع . ولا مانع فى النظر - ان لم تراع المذهب - ان يقاس على الزكاة غيرها ان بادأنا من لايصلى تكاسلا او من لايصوم تكاسلا . فيقاتلون كلهم . وهكذا طرق القياس . والله أعلم .

نعم ؛ عندنا آية يفهم منها القتل نفسه . لا المقاتلة وحدها . وتكـاد تكون صريحة فى الدليل . وهو قوله تعلى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد . فان تابوا وأقاموا الصـلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فقد أمر الله بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم . ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة . ومن قال بعدم قتل تارك الصلاة يقول انه بمجرد ما يتوب من شركه سقط عنه القتل . وان ترك الصلاة وآتى الزكاة . وهذا خلاف الآية . فالناظر يرى أن الاستدلال بالآية أسطع دليلا . وأقوم قيلا من الاستدلال بالحديث المتقدم وان لم ينصـع دليل الآية للقتل حدا . وينبغى ان لايوخذ كل شىء الا من دليلـه الظاهر . وهناك أيضـا أحاديث يستروح منها الدليل المتطلب . وان لم يكن هذا الدليل متمكنا أمكن . وقد كان بعضها مر - يا أستاذنا - فى تلك المذاكرة .

الصلاة ليس فيه مثل تفصيل الزنى الى قسمين . ما فيه الجلد وما فيه الرجم وابن مساواة القياس التى هى : حمل معلوم على معلوم لمساواته له فى علة الحكم . وايضا لعل علة حرمة الزنى اختلاط الانساب . وبهذا كله يظهر فساد هذا القياس .

ثم ان المشكل فى مذهبنا هو اننا لم نحكم بكفر تارك الصلاة تكاسلا . مع حكمنا عليه بالقتل حدا . واما كون تارك الصلاة تكاسلا غير كافر . وانه لايزال فى دائرة الايمان . فلعمرى انه لأنصع دليلا ممن يقول بكفره . بحسب ما أطلعنا عليه من أدلة الفريقين . وذلك انه روى القول بكفر تارك الصلاة تكاسلا . عن عمر بن الخطاب وعلى وابن عباس . ومعاذ بن جبل وابى الدرداء وابن مسعود . وقال بذلك من الائمة المجتهدين الحنابلة وعبد الله بن مبارك وابن عيينة وابن راهوية وابن أبى شيبة فى آخرين . الا انا اذا تاملنا الادلة التى تؤيد ما ذهبوا اليه وفيها التصريح بالكفر مع أدلة الآخرين التى تتضمن كون الصلاة من فروع الايمان لا من أصله الاصيل وجذره الاول . يظهر لنا أنه لايتأتى فهم أدلة كل فريق مع الادلة الاخرى الا بالجمع بينهما جمعا ينشرح له الصدر . ويبتهج به قلب المحدث الذى لايتعصب عند التفهم للادلة الا للحق الناصع . لا لمذهب من المذاهب . فمثلا يستدل المكفرون بترك الصلاة بأدلة واضحة الدلالة كقوله تعلى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وءامن وعمل صالحا) والغى فسروه بانه واد فى أسفل جهنم يسيل دما وقيحا . وأمكنة المسلمين الجهنميين فى أعالى النار لا فى أسافلها . وقال تعلى أيضا : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) فعلق اخوة الدين باقامة الصلاة . ومفهومه أن الاخوة بعدم اقامتها . ونقيض الشئ غيره بلا ريب . وقال تعلى : (انما المومنون اخوة) وفى حديث مسلم : (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) وفى حديث آخر : (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة . فمن تركها فقد كفر) وهو حديث صحيح . وفى آخر صحيح أيضا : (بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة . فاذا تركها فقد أشرك) وفى آخر : (من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) ولاشك أن من برئت منه ذمة الله ؛ فلا عصمة له . وقد التحق بالكافرين . وقال عمر صبيحة طعن : (لا اسلام لمن ترك الصلاة) قال ذلك بمحضر الصحابة القوالين للحق . فلم ينقل أن أحدا منهم رد عليه . الى غير ذلك من أدلة كثيرة بعضها واضح الدلالة فى الموضوع . وبعضها يتقوى بالبعض . ويستدل المالكية والشافعية ومن ذهب مذهبهم . من أن تارك الصلاة تكاسلا غير كافر بادلة أخرى أوضح

من غيرها . منها حديث الصحيحين : (من شهد أن لا اله الا الله ؛ وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ؛ والجنة حق والنار حق ؛ أدخله الله الجنة ؛ على ما كان منه من العمل) وحديثهما أيضا : عن معاذ يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو رديفه على الرحل : (قال يا معاذ : قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا . قال : ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؛ الا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله : أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا . قال : اذن يتكلوا . فأخبر بها معاذ عند موته تأثما) وحديث مسند أحمد : أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بآية من القرآن يرددها حتى صلاة الغداة . وقال : دعوت لأمتى وأجبت بالذى لو أطلع عليه كثير منهم لتركوا الصلاة . فقال أبو ذر : أفلا أبشر الناس . قال لى فانطلق . فقال عمر : انك ان تبعث الى الناس بهذا يتكلواعن العبادة . فناداه : ارجع فرجع) والآية : (ان تعذبهم فانهم عبادك . وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وحديث المسند أيضا : (الدواوين عند الله ثلاث : ديوان لايعبأ به الله شيئا . وديوان لايترك الله منه شيئا . وديوان لايغفره الله . فأما الديوان الذى لايغفره الله فالشرك . قال عز وجل : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) وأما الديوان الذى لايعبأ به شيئا : فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه . أو صلاة تركها . فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز عنه ان شاء . وأما الديوان الذى لايترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا : القصاص لا محالة) وهذا الحديث صريح واضح ناصع ساطع . وحديث المسند أيضا : (خمس صلوات كتبهن الله على العباد . من أقر بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة . ومن لم يات بهن . فليس له عند الله عهد أن يدخله الجنة . ومن لم يات بهن . فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له) وهو أيضا الدليل الصارخ بالحجة القائمة للمالكية ومن معهم . وفى حديث الشفاعة : يقول الله عز وجل : (وعزتى وجلالى لأخرجن من النار من قال لا اله الا الله) وفيه فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط) وهو أيضا دليل نيّر . فان الصلاة من الخير . وهذا لم يعمل خيرا قط أى لم يقم صلاة ولا غيرها .

الى غير هذه الادلة وهى كثيرة . كقوله تعلى : (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والاشراك غير ترك الصلاة لغة بلا ريب . ونحن مخاطبون بما تفهمه العرب فى اللغة . ولا يفهم العربى القح من الآية الا ذلك . فعلق الله كل غير الاشراك بمشيئته فى المغفرة . فدخل ترك

الصلاة في عموم ـ ما ـ بلا توقف يعترينا .

هذه أدلة الفريقين . ولكن أيمكن أن يصدر عن الشريعة المطهرة المنزلة من عند الله ما يكون فيه مثل هذا الاختلاف الذى يظهر لنا بادئ ذى بدء . مع أن الله يقول : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فلم يبق حينئذ الا أن نسلك المسالك التى يسلكها المحدث الذى لايتعصب الا للحق . فيتبع القواعد الاصولية المحررة . وقد قال الاصوليون انه متى امكن الجمع بين أدلة متضاربة لا يصار الى النسخ ولا الى الترجيح . وهذا ما يظهر في هذه الادلة . فنرجع الى لفظة الكفر فى اصطلاح الشارع . فنجده يستعمله أحيانا كفر جحود . وهو الكفر المطلق الذى يقابل الايمان . وتارة يستعمله كفر نعمة . أو يطلقه على الفعل المعتاد من الكفار المشركين . ان صدر من المسلم . قال الله تعلى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس : كفرهم ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله . وقال طاووس : كفر لاينقل عن الملة . وقال عليه السلام : (لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) وقال : (سباب المسلم فسوق . وقتاله كفر) مع قوله في عمار : (تقتله الفئة الباغية) ولم يخرجها من الايمان وقال تعلى (وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) فجعلهما معا من المومنين : الباغية والاخرى . وبهذا نعلم أن الشارع قد يطلق على مالاينبغى أن يصدر الا من الكفار عمل كفر . ويطلق على مرتكبه من المومنين كافرا . تنفيرا من ارتكابه . فلهذا جمع المالكية والشافعية بين الادلة المتقدمة . فحملوا ما صرح فيه بالكفر من تلك الاحاديث على هذا الكفر الذى لايخرج من الملة وهذا ظاهر بين . فهذا الجمع أعمال لجميع الادلة . ولم يطرح منها دليل واحد وهذه قاعدة مشهورة يسلكها المالكية دائما ازاء الادلة التى يلمح منها الطرف تباينا ما .

(وبعد) : فالآن نعلم أن تارك الصلاة تكاسلا تظهر لنا أدلة قتله كفرا متى سلكنا طريقة الحنابلة ومذهب ابن حبيب . ولا نجد دليلا واضحا يتكئ عليه المستدل للقتل حدا . لان دليل المطلق ـ وهو مطلق القتل ـ لاينتج دليل المقيد . وهو القتل المقيد بكونه حدا . ولكن مع كل هذا ينشرح الصدر لقول الحجازيين الشافعية والمالكية الذين نشأت مذاهبهم فى (مكة) و (المدينة) لان مالكا وهو من تابعى التابعين . والشافعي وهو فى الطبقة التى بعده . قد وجدا من العلماء الكثيرين ومن العمل العام المسترسل ما يكون متكئا صحيحا لما ذهبا اليه . فكما اننا رأينا عيانا رجحان مذهبهما فى كونهما حكما

بأن تارك الصلاة تكاسلا غير مرتد ولا جاحد . ولا خارج عن دائرة الاسلام بالكلية - وان رددت بعض الاحاديث فيذلك كفرا فانه كفر دون الكفرالمطلق فتؤول بالزجر والتغليظ جمعا للادلة - وكذلك نقتنع بانهما لايقولان بانه يقتل حدا الا بدليل ناصع لهما . وان لم يكن بين أيدينا الآن . فقد قال الامام مالك ذلك . ثم تابعه عليه الشافعي . مع اننا نرى الشافعي - وهو تلميذه - يخالفه فيما لايصح له دليله . كالقبض فى الصلاة . وخيار المجلس وعمل المدينة الذى الف فيه رسالة ناقش فيها شيخه الامام مالكا رضى الله عنهما وعن كل ائمة الدين قديما وحديثا (١)

وأخيرا فهذا ماسنح الآن - يا أستاذى - فيالمذاكرة حول هذا الموضوع فقد تذكرت باجالة الفكر فيه وجمع أطراف بحوثه القيمة . ما كان يمر لنا فى مجالس أشياخنا المحدثين شيخ الاسلام الدكالى . وسيدى المدنى ابن الحسنى . وسيدى محمد السائح . وسيدى محمد بن العربى العلوى . فانهم كانوا يجشموننا نحن التلاميذ أن نطلق الاعنة للتفكير . وان نرسل الاجنحة الخفاقة فى جو التفهم على المسالك الاصولية . والقواعد المحررة عند المحدثين . ولم يزالوا بنا حتى اذاقونا حلاوة هذا النوع من البحث الطلى . والتفهم الشهى . وجزى الله تاج اشياخى اليوم . حين ذكرنى ما نسيت . وانهلنى ثم علنى بما به فى هذا الموضوع عنى وعنيت . فانك يا مولاى العلامة اللغوى الاديب الاصولى نجمهم الثاقب. وفاخرهم جميعا بشتى الاخلاق الدمثة وباسنى المناقب . فانهم ازاء الشيخ وان كانوا متساوين معه فى سماوات الرتب . قد فاقهم فى التبحر فى علم الادب (وان فى الخمر معنى ليس فى العنب) .

اقول قولى هذا واستغفر الله مما زل به اليراع . من برهان ليس فيه اقناع . فهذا جهد المستطاع . واسلم على شيخى ابى عبد الله ولدكم البار . وعلى سيدى المدنى وقرينه سيدى محمد بن البشير الناصرى ثانى الفرقدين وعلى كل من تضمنته الحاشية المباركة .

٢٢ شعبان ١٣٦٤ هـ

جواب الاستاذ الجليل رضى الله عنه وعنا به . بما نصه :

أطيب سلام وأعطر تحية . تحملهما سوابق الاشواق الوحية .

---

١) كنت كتبت الرسالة وأنا أتقمم الادلة وأرتبها على ما استحضر اذ ذاك ثم راجعتها الآن . وقابلتها مع الاصول المعتمدة فى هذا البحث . فزدت فيها ونقصت تبيينا للمقصود الذى لم أغير فيه أدنى شىء . كتبت هذا ١٣٧٧ هـ وفى كتاب لابن القيم فى الصلاة غالب ما هنا . لانه كان من مدروساتنا .

وتستحثهما بواعث نسمات الاريحية . على الحضرة المختارية . والسيادة التى طارت معارفها مطار الامثال السارية . حفظ الله معالمها . وأطال عمرك يا عالمها .

هذا وقد كنا سمعنا بأوبتك . فصدقنا ولم نقطع . وكذبنا ولم نجزم . الى أن ورد كتابك الأحمد . صحبة ولدنا أحمد . فهنأنا انفسنا بطلوع بدرك ورجوعك الى مشارق خدرك . فالسلامة غنيمة . لاتقاومها قيمة . والحزم سوء الظن بالناس فقد يكون حذار المُصح من الممرض حزماً (١) (ان السلامة من سلمى) (٢) لاسيما اذا رنقت المشارب . والتبست المسارب . فوجب الركون الى ملازمة الوكون . واقتضى الاعراب أن تميل الحركة الى السكون . حذرا مما كان أو يكون . على انك أيها المختار بحمد الله مختار . ومحفوظ بستر الحفيظ الستار . من ختر كل خائن وختار .

(هذا) وقد وصلت رسائلك السابقة . أما الاولى فمذاكرة الشيخ الجليل وهى الجواب الشاف . المغنى بالعباب عن الارتشاف . وبالتوضيح عن الكشاف فقد شفى بما تضمن من منطوق ومفهوم . نهمة الطالب المنهوم . وان كانت المباحث لاتنفك عن محقق وموهوم . فلله درك من غواص . وذهنك القناص . الآخذ من شوارد المعانى بالاقدام والنواص . وقد تكلف الفكر أبياتا فى مجاراة القصيدة المفتتح بها الخطاب . نصها :

العلم نور للهدى يزع	عن غنى نفس طبعها الجزع
وخير أمر الدين سنته	وشر ما يعنى به البدع
وحبذا ندب له بطلا	ب العلم مصطاف ومرتبع
يروح أو يغدو الى ندس	لباعه فى العلم متسع
ذى همة طماحة شرهت	الى العلا تسمو وترتفع
كمثل بدر العصر عالمه	مختار اللذ زانه الورع (٣)
ذى لسن أنسى بليغ معـ	ـرة ومن تزهو به (بُرَع) (٤)
قد بذ كل قارح جذعا	فاعجب لبزل بذها جذع
اذا رمى أصمى ؛ وان شهد الـ	ـهيجاء فالاقران تنصرع

١) فى الحديث : لا يوردن مُمرض على مُصح . والممرض : بصيغة اسم الفاعل : صاحب السائمة المريضة . ويقال مثل ذلك فى المُصح .
٢) ان السلامة من سلمى وجارتها ان لاتحل على حال بواديها
٣) اللذ : لغة فى الذى .
٤) بليغ المعرة هو أحمد المعرى المشهور . والبُرَعى شاعر صوفى له ديوان مطبوع .

وان جرت يوما عُوَيْصة فانه يدعى فتنصرع (١)
لا كالالى ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا فى مجمع شجعوا
فهاكهــا منـا بعلتها لو يشترى بالجوهر الودع
لا زلت فـى أمن وعافيـة من التى وجعها الوجـع
يحيا بـك العلم ويزدهر الـ ـغرب ويزهـو ثم ينتفع
تزيـح ليل الجهـل عنـه كما ليل الدجا بالشمس ينقشع
ثم سـلام طيب عطـر عليكم مـا راد منتجـع

ثم لما اتصلت بنا قصيدتك التامانارتية التى رويت منها عروق تلك النخيل بغيث فكرك الذى لا يخلف خاله اذ يخيل . ولا يكذب سحابه الذى ليس بالجهام ولا البخيل . قلت منادمة على دنها . وتشحيذا للفكر على مسنها مـا نصـه :

أنف النهى لشذا البلاغة ناشقة والنفس للحسن البديعى عاشقة

الى آخر القصيدة (٢) .

انتهت الرسالة التى كتبها الى شيخى اثر رجوعى من رحلة الحواضر. وقت اندلاع طلب الاستقلال سنة ١٣٦٤ هـ ولذلك كتب الشيخ ما كتب . نصا منه على ما يراه مما هو معلوم من أمثاله الذين لم يدركوا بعد ما لذلك من أثر محمود . وقد كنت عزمت على أن ألج فى الحركة بل خوطبت بذلك لولا بقاء أولادى بالعراء فى (الغ) حيث لا داخـل ولا خارج عليهم . ولمـا يؤذن لى اذ ذاك بالسراح التام لمراجعة المدن بالسكنى . وقد ثرت وعزمت ونويت أن أغامر ولكن بعض اخوانى الذين أدركوا موقفى أبوا على . وهكذا فاتنى التشرف بالمشاركة اذ ذاك . ولله الامر من قبل ومن بعد .

هذا وللاستاذ سيدى أحمد بن الحاج محمد اليزيدى كراسة فى مناقشة ما فى هـذه المجموعة . الا أنه انما ساق ما كان معروفا عند المالكية مـن الحجج والبراهين . ولم يدر أن ما ساقه بنفسه هو موضوع المناقشة . وقد بينت ما ذهب اليه المالكية غاية البيان . وقد عمد الى مـا فى (القسطلانى) فساقه كله . فأفاد المطالعين . وقد كانت مجاذبة لها صدى فى (جزولة) . فرحم الله أبا العباس اليزيدى الاخ الشقيق . ولولا طول ما كتبه لسقته هنا . اعلانا لعمله الجليل . وصنعه المحمود .

* * *

هذا اخر ما تعاطيته مع شيخنا الايفرانى فى (الغ) سجلته هنا كله للتاريخ فرحمه الله رحمة واسعة وألحقنا به مسلمين .

---

١) عويصة : بضم العين وكسر الياء المشددة . تصغير عويصة

٢) فالقصيدتان توجدان فى (الرحلة الثالثة) من مجموعة : (خـلال جزولـة) المطبوعة .

مع شيخنا سيدي محمد بن الطاهر الايفراني

كتبت الى أستاذنا سيدى محمد بن الطاهر الايفرانى . اثر رجوعى من الرحلة الثانية من رحلات : (خلال جزولة) وقد كنت مررت فيها بـ (ايفران) :

(شيخنا الذى بالانتساب اليه تتكلل المفارق . وبمخاطبته بما هو من حلاه الباهرة تتحلى المهارق . ابو عذر البلاغة وابن بجدتها . والمتلقى باليمين (١) بين فصحاء العصر لرايتها . أبو عبد الله سيدى ومولاى محمد ابن شيخنا الامام المرفرف الاعلام . الفارع كل ما فى هذا القطر السوسى من الاعلام : سيدى الطاهر بن محمد . فعلى ذلك المقام السنى . من السلام الزكى ما يفغم كل معطس (٢) ويعطر هناك جو كل مجلس .

(هذا) فقد حططنا الرحل فى البلد . ولكن ليس فيه الا الجسد . وأما الارواح فلا تزال هنالك مربوطة . لانها بتلك المجالس معكم كانت مغتبطة مغبوطة . فلو دامت لنا لقلنا انها الجنة خرجت الى الدنيا . فتطلق من هذه الحياة المحيا . وتعتقت فيها الحميا . لكن سرعان ما ولت عنا تلك الساعات بلا سلام . فكانها وكاننا احلام (٣) وكل أحوال (الخ) بخير كثير وثير (٤) ووجه الارض مخضر نضير . وقد تبدت طلائع الخصب باسرة طلعته الطلقة . وتتابعت أمطار الجو فان لم يرسل غيثه فودقه . والله المسؤول . أن يتم به من الاخصاب كل سول .

---

(١) قال الشاعر ؛ واحسبه الشماخ :

رأيت عرابة الاوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٢) المعطس بفتح الميم وكسر الطاء : الانف .

(٣) قال الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانها وكانهم احلام

(٤) كثير وثير : كلمة للاتباع فقط .

ثم ان في طي الرسالة يا مولاى مطالع قصائد (١) أحب من مولاى ان توافيني بفضله . وهي مرتبة على ترتيب ذلك الكناش . وقد أمررت الخط على البعض مما وجدتـه عندى بين أوراق تلك الاضبارة (٢) التى منّ بها الاستاذ على تلميذه . وهي ـ والله ـ من أعظم ما احتقبته من هذا السفر . الذى انجلى عن غالب ما ارومه منه وسفر . ثـم ان الاجازات التى أرانيهـا سيدى للشيخ الوالد وللجد . أريـد كذلك نسخا منها . فالله يجزيكم عن العلم وأهله كل خير .

* * *

هذه هي الرسالة التى لم اظفر منها باى جواب . ولا يعلم الا" الله ما هو عذر الاستاذ في رد السلام . وفي الاعراض عن قضاء ذلك المرام . مع أن المقصود اتمام تراجم أهله . بكل ما أمكن من الآثار . وكم رسائل مثل هذه . أصبحت يتيمة مهملة . تقابل بالاعراض من اخواننا السوسيين الذين تحت أيديهم امثال هـذه الآثار . فكانوا كالحابسة للهرة . لا هي اطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض . وكأنهم لايعلمون أن هذا من العلم وهم لايجهلون ما ورد فيمن سئل عن علم فكتمه . والله يغفر للجميع بمنه .

(ثم انني فزت أخيرا بديوان الشيخ سيـدى الطاهر . فأخذت منـه لـ (المعسول) كل ما شئت . والحمد لله)



---

١) قصائد لـوالـده .

٢) الاضبارة بالكسر : مجموعة من الاوراق .

مع البونعماني الاديب الكبير

الـوظيفـة :

(هذه مقالة حول الوظيفة . كتبتها الى البونعمانى . ولا ادرى اذ ذاك انى أكتبها الى نفسى أيضا . ولله وحده مقاليد الامور) نصها :

قرات فـى جريدة (السعـادة) أواسط صفر ١٣٦٠ هـ ان الشاعر البونعمانى قد تعين فى مجلس الاستئناف كاتبا . فخطر لى أن أكتب اليه حول موضوع الوظيفة وقد كانت عندى أفكار خاصة نحو هذا المركز الاجتماعى وكانت تذهب بذهاب بواعثها . فأردت أن أحصر هنا فيما بينى وبين صاحبى ما عندى حول هذا المقام . ونص ما كتبت به اليه :

(لا أدرى ؛ هل اهنيك اليوم حين ارتقيت الى هذه الوظيفة التى ستكون ان شاء الله بابا مفتوحا لسواها من المراكز العليا . والمقامات المؤسسة على هامات المجد فى أنظار دهماء الناس . أو أعزيك بفقدان حريتك التى كنت تتمتع بها من قبل اليوم . وتطير فى اجوازها كيف تشاء . وتغرد ما طاب لك التغريد على كل غصن تختاره . فانك اليوم صرت تمد رجليك الى قيد ذهب لماع ، مرصع الجوانب بالجواهر الشفافة . والماس الوضاء . ثم لاتزال تتململ فينة بعد فينة تحت عضات القيد . حتى تالف الحيـاة الجديـدة . وتتكيف بما يتكيف به كل من ستعاشرهم فى مجامعك التى اقبلت عليهـا اليوم . فحينئذ تستسهل أن تفكر بغير فكرك الذى كنت عليه منـذ شرخ شبيبتك . وتظهر بمظر آخر غير مـا كان يعرفك عليـه الناس الى الآن . فاذ ذاك تستأنس بحياة الاسر . وتستسيغ الائتمار والخنوع والاستخذاء . واحناء الهامة أمام كل من تتوجس منه أنه يقدر ان يزحزحك قيد شبر عن وظيفتك التى تبنى عليها كل مستقبلك . فتتلمس بكل ما فـى وسعك ان تتقرب اليه . فلا تدع فى كل لحظة سرا وجهرا . منفردا وفى المجتمعات ما يقربك الى قلبه . لتكون عنده مرضيا عنه . اذ يكون رضاه عنك فى نظرك هو أعظم مامول تناله فى حياتك . ثم لاتبالى بكل أحد ؟

حقا . . . أتهنئة تستحق اليوم أم تعزية . فقد كنت في وظيفتك قبل اليوم لاتزال تستمتع في حياتك بحرية غير ضئيلة . وترى في الوسط العلمي الذى كنت تتقلب فيه . انك ممن يجولون بأخيلتهم فى آفاق يجول فيها قبلك : سقراط وأفلاطون والفارابي والرازى وابن رشد وابن الطفيل والزهراوى وابن سينا والفيروزبادى والجوهرى والسيوطى وابن الذهبى وعبد القادر الفاسي . ووجاج بن زلوان . وابن عمران الفاسي . وعياض وابن سليمان الرداني . وآلاف مؤلفة من علماء الفنون المختلفة . وقادة الفكر العالمى الى المستوى الذى تتسامى اليه الانسانية فى ترقيها . ثم انك اليوم تدلف الى مقاعد محدودة الآفاق . كأنها سم الخياط . يتخذ اربابها كآلات المعامل . تدور دائما فى مدار واحد صباح مساء . ثم لايتأتى لها الا ذلك دائما أبد الآبدين. يستنفدون مجهوداتهم الحيوية فى محيط ضئيل . على حين أن أفكارهم يحكم عليها بالجمود شيئا فشيئا . فأول ما يقلم منها : الصراحة ثم لا تفتأ تلقح بالذبول وبكبح الارادة وقمع العزائم . ووأد المواد الحيوية عن جيشان الهمة . حتى تصبح غثاء أحوى . أو كهشيم تذروه الرياح . فكائن مفكر رأيناه في نشأته متقد الفكرة . فياض الشعور . مستوفزا للوثبة التى تنتظر من المتسلقين الى ذروة السيادة التى هى ـ حقا ـ سيادة خالدة ثابتة . لاتؤسس بمرسوم . ولاتنهار باعلان . ثم لم ينفك بعد أن اندغم فى الموظفين. واشرب حب المرتب الشهرى المستدام . وأضفى عليه برد الخنوع . وذلة الائتمار . ان حال الى انسان هامد الفكرة . ميت العاطفة . قصير النظر والخطوة . رائم المسكنة . ظاهر اللوثة . مستسلما للاقدار . زاهدا فى كل مسابقة الى المدى . كأن ربك لم يخلق لخشيته (١) سواه . ثم كان رجاؤه الحار ان لا يزال كذلك الى أن يغمض عينه مغمضها . فالى هذه الحالة يستحيل الموظف الذى كان ناشئا فى حرية تفكير حار . فكيف ترى من كان ناشئا فى سراديب الجهالة العميقة الكثيفة الدياجير . تحت أمواج بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض . اذا أخرج يده لم يكد يراها (ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور) وهل هناك فى الحياة نور كنور حرية العمل تحت تفكير الارادة التى تفعل ما تشاء فى أى وقت تشاء .

---

١) قال انسان يذم قوما بالذل :

كأن ربك لم يخلق لخشيته   سواهم من جميع الناس انسانا

هل للوظيفة فوائد حقيقية ؟

ان الدهماء خلقوا مجبولين على أن يؤسسوا أقدار الناس على ما تمدهم به حواسهم . فمن كان ملء الاسماع . وقبلة الابصار . ومرموق الشارة . ومشارا اليه بالاصابع . كان عندهم المثل الأعلى للرجل الماجد الذى أخذ بأزمة السيادة . يقودها اين يشاء . ولو كان سيء الاخلاق زمر (١) المروءة . ضيق العطن . لئيم العم والخال . كزا لاينتدى الا بمقدار . ولا يفى بوعد . ولا يراعى الا ولا ذمة لعهد . لاحق ربه ادى . ولاحق شعبه وفى . فنظرات هذه الدهماء المؤسسة على كل هذا هى التى تحدو كثيرين من طلاب المجد المموه الى أن يتطلبوه من وراء الوظائف . حين لايجدون فى انفسهم مقدرة الى تأسيس المجد الحقيقى بصنع أيديهم . وبما فيهم من جهود . ويا ويح أمة تدهورت الى ان كان كل افرادها لايتمشون الا تحت هذه النظرات التى لاتعرف الدهماء من كل الشعوب سواها . فان ذلك يدل الا على أن الخور استولى فى تلك الامة على كل النفوس . وتمكن من كل الارادات . وان الشمم الذى لابد أن يوجد فى كل الامم وان بلغت ما بلغت من الانحطاط والتدهور لايجد معششا فى كثير من الادمغة من أبنائها . ومتى ذوى الشمم من كثير من افراد امة . فقد مالت شمسها الى الغروب . ودخل شهرها فى الواوات .

على أن الانسان اذا طلق الخطابة من كلامه . وابتعد عن التطرف فى نظره . اوستعمل التريث والتؤدة . ونصب القسطاس . لايحكم على الوظائف بأنها خالية دائما فى كل الاحوال . وازاء كل الافراد . من الفوائد الحقيقية . فمن ذا مبدا اصلاح عام . قد يتخذ الوظيفة التى يشعر طبقات الدهماء من الناس نحو صاحبها بالاحترام ذريعة لتنفيذ مبدئه . فتكون الوظيفة اذ ذاك وسيلة لا مقصدا اليه كل الآمال . كما ان من سدت أمامه كل أبواب الارتزاق يغتفر له ان يتوظف ليكون بذلك بين العاملين فى الامة . ما دام لايتأتى له العمل الا من هذا الباب . فيكون ــ ان كان نزيها ــ مصون العرض . غير متجانف لاثم . ولا مائل الى رشوة . ممن تحمد له الوظيفة ويخرج منها يوم يخرج سالم الذيل . نقى العرض . وكما أن من آنس من نفسه انه يستطيع أن يمثل الحق فى وظيفة رآها ممتهنة بأغراض سفلة تهافتوا فيها . فتدفعه الغيرة على ابتذال الحق . ينتصب هنالك ليرد الحق الى مجاريه . والعدل الى نصابه . فهؤلاء الثلاثة قد يبدو أن للوظائف فوائد حقيقية . ربما كانت فى العظمة اجل مما يظن ومن هنا حمل بعض المفكرين على بعض المتزهدين الذين

---

(١) زمر المروءة : بكسر الميم قبل الراء . أى مخدوش المروءة .

يحملون دائما حملات شعواء على رتبة القضا . محتجين بالاثر: (من تولى القضاء فقد ذبح بغير سكين) وهو الاثر الذى قيل فيه ازاء بعض القضاة الجائرين :

فلما أن توليت القضايا   وفاض الجور من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وأنا   لنرجو الذبح بالسكين ايضا

وقال بعض الاندلسيين فى آخرين نظرائه . من قصيدة :

قضاة زماننا اضحوا لصوصا   عموما فى البرية لاخصوصا
ولو عند التحية صافحونا   لسلوا من خواتمنا الفصوصا

وكما قال آخر فى عدول :

ان العدول الالى جاء الزمان بهم   عن المحجة والتوفيق قد عدلوا
احداث سن والباب كسنهم   تالله لو شهدوا فى الكلب ماقبلوا

ويقول المعرى :

يقولون فى المصر العدول وانما   حقيقة ما قالوا العدول عن الحق
ولست بمختار لقومى كونهم   قضاة ولا وضع الشهادة فى رق

ويقول آخر :

قوم اذا غضبوا كانت رماحهم   بث الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين الا ان حكمهم   على السجلات والاملاك والدور

ويقول آخر :

اياك احقاد الشهود فانما   احكامهم تجرى على الحكام
قوم اذا خافوا عداوة قادر   سفكوا الدما بأسنة الاقلام

ويقول آخر :

احذر حوانيت الشهو   د الاخسرين الارذلينا
قوم لئام يسرقو   ن ويحلفون ويكذبونا

وكما قال آخر فى وزراء :

وزراء الزمان قد صرتم أو   زار هذا الزمان بيس الزمان
فبكم ضاعت الرعية والامـ   ـوال ثم الجنود والسلطان

وكما قيل أيضا فى فقهاء :

أهل الرياء لبستم ناموسكم   كالذئب يدلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك   وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال باشهب   وبأصبغ صبغت كمام العالم

وقيل فيهم أيضا :

قل للامام سنا الائمة مالك	نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجـد	قد كنت راعينا ونعم الراعى
فمضيت محمود النقيبة طاهرا	وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيـا وأنت بمعزل	طاوى الحشا متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بـك برة	ماذا رفعت بها من الاوضاع

وكما قال آخر فى امراء الاندلس . فى البيتين المشهورين :

مما يزهدنى فى أرض أندلس	أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها	كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وكما قال آخرون فى آلاف أمثالهم ممن استولوا على الوظائف . فأساءوا بها الى الرعية . فاتكأ على أمثالهم من يسددون السهام الى كل من اعتنق وظيفة. خصوصا وظيفة دينية محضة كالقضاء . والحق أن للوظائف فوائدها حتى صارت واجبة على بعض الناس فى بعض الازمنة . فى نظر المتشرعين الدينيين

اذن للوظيفة فوائدها . ولكن هل هذه الفوائد تتحقق اليوم فى بيئتنا هذه التى لاتتخذ فيها الوظائف وسائل لاصلاح عام منشود . وفـى بيئتنا التى قلما تسد فيها أبواب الارتزاق على العاملين . متى تتطلبـوا الاعمال الحرة . والتى قلما يرجى فيها انتصاب لحق يرد الى مجراه . أو عدل يعاد الى نصابه . والاستبداد آخذ بالاكظام . والحرية تلفظ نفسها الاخير . فـى ظل هذا الاستعمار الغاشم الذى ينظم أنظمة افسادنا بادارات وشروط وبنود فى تقنيناته .

ايه أيها الاخ البونعمانى . ايه : هل يعد من فوائد الوظيفة اليوم اقرار عين الاصدقاء . وتحريق أكباد المعاندين . المتربصين الدوائر لمثل الادباء الغرباء أمثالك . وهل يمكن لنا أن نتجاوز كل اعتبار لميزان نظرة الشعراء الذين يجب أن تقدم اليهم اليوم الوظيفة . لتضمن لهم فراغ البال من خلو الكيس . فيتفرغوا لمناجاة ربة الشعر . وهل يطيب للادباء الفكهين الاريحيين أمثال حضرتك . أن يصح تشبيههم من بين الرجال . بربات الحجال . اللواتى لاتطيب لهن الحياة . ولا يقررن بأنهن فى رغد العيش . الا اذا كفين كل المؤن فتصبح احداهن نؤوم الضحى . خرقاء . لاتعرف عملا حرا . الا ما يتعلق بتصفيف طرتها . والعناية بأناقة شارتها . وتسوية أكمامها على معاصمها . واحسان شد منطقتها على خصرها . فلئن كان هذا صحيحا فى بعضهم . فان ذلك ربما يبرر اناطة الوظائف الجافة . بمن يخلدون منهم الى الراحة .

فيظل ويبيت طاعما كاسيا . على شرط ان يظل ويبيت أيضا في صوغ القوافي وفي مناغاة آدابه في اطار المنفعة العامة . يصول بلسانه . كما يصول الجندي بسنانه . فيعد أيضا ذلك من فوائد الوظيفة . زيادة على ما يدرك غاية الادراك انها فوائدها الحقيقية . وهؤلاء من يحكى أنه كتب على ناد من نواديهم في الاستانة قوله تعلى : (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) فيكون توظيف أمثال هؤلاء فرعا من فروع الجمعية الخيرية لا غير .

مساوي الوظيفة :

ان كان المتطلب لمحاسن الوظيفة يفتش عنها بالمنقاش بين كل ما يحيط به . فان مساويها جلية ظاهرة كالشمس في رابعة النهار . فأول ما يحس به صاحب الوظيفة : حرصه عليها حرصه على الحياة . ثم لايزال به هذا الحرص حتى يراه الجزء الاكيد من حياته . والنخاع الذي به قوام فقار سعادته فيرتخص كل غال في تطلب استمراره . ويرتكب كل وعر في المحافظة عليه فربما لايبالي بعرضه ولا بدينه . ولا بحريته . ولا بأي شئ ازاء الذود عن مركزه . هذا حتى اذا بلغ المنتهى ـ ولكل شيء نهاية ـ خرج واجما متجهما يرى أن روحه قد نزعت من جسده . ويعتقد أن حياته قد طويت أو كادت ثم لايزال يامل أن يديل له الزمان دولة أخرى . حتى يفوز ثانيا بطلبته . بكل ما أمكن . أو يبقى كذلك مهموما مغموما حتى يزج ما بين القبور . فهكذا يستولى عليه الجنون بالوظيفة من أول يوم ولج فيها . فلا يزال على حرص عليها ما دام فيها . أو على الحلم بها ان فارقها . حتى يلفظ نفسه الاخير . فأي داء أدوأ من هذا الذي ينسي صاحبه كل مراتب المجد الحرة . مع انها هي المراتب الخالدة التي يبقى مجدها مجدا مؤثلا . لاتكر عليه الليالي . ولا تمسه يد الدهر بتحويل .

ان ذلك في مقدمة مساوى الوظيفة . وربما كانت أصغرها . فان مساوى أخرى أدهى وأخزى . تنبعث منها لمعتنقيها . تاتي على منبع الشمم في الانسان . كما تاتي على اغلاق الباب الواسع الذي لايزال مفتوحا لكل من أقبلوا على الاعمال الحرة . ثم لايزالون يشاهدون في عملهم رؤوس الآمال ومغارس الاحلام . ومجاني الاماني . فيسعون سعي المجدين . فمن فائز فوزا اثر فوز . ومن مدرك أوائل مناه مستمتع منذ الآن باواخرها التي يتراءى له أنها منه على قاب قوسين أو أدنى . فتمضي الحياة كلها حياة متدفقة بحرارة العاطفة . وحياة الشعور . وفيضان السعادة . فأين هذا من حياة الموظف الجامد الذي يجمع كل آماله في مرتبه الشهري ثم لايبارك له فيه .

ـ كما هو مشاهد لاينكره الا غبي ـ كما يبارك في الذي يدر من الاعمال الحرة على أصحابها . زد على ذلك ما أصيب به الموظفون الحضريون في هذا العهد من التبذير والاسراف الذي لايتسع لغالبه مرتبه الذي لابد أن يكون ضئيلا ازاء المتطلبات اليومية . فلا يزال بين تبذير وتطلع الى تمام الشهر . حتى ينقلب الدهر . فيخرج خاوي الوفضة . يتعثر في أذيال الاقلال أو الاعواز الكلي . ونظرة واحدة في أحوال الموظفين . ثم في أحوال المدفوعين عن وظائفهم . تكفي في تأييد هذه السيئة الفظيعة التي توجت بها مساوي الوظيفة . فقد شاهدت أديبا كان موظفا سنوات في دار المخزن بـ (الرباط) ثم انخرط في وظيفة أخرى . تدفقت عليه فيها الدراهم من مشروعها . ومن غير مشروعها . ثم عزل . ولم يمض الا قليل حتى كان يرحمه من كان يغبطه وليس هذا الرجل بوحيد في ذلك . بل نعرف ازاءه آلافا مؤلفة . ومتى ليموا على أن لايجمعوا دراهمهم البيضاء لايام عزلهم السوداء أجابوا بأنهم كانوا من وظائفهم في سكرة . ثم لم تجيء الفكرة . حتى طارت السكرة . وربما لايفلت من هذا الا القاسيون الذين مرنوا منذ أكثر من ألف سنة على الوظيفة فانهم على الاقل يحسبون للعزل حسابه منذ اليوم الاول الذي توظفوا فيه . فيؤدي ذلك غالبهم الى أن يتخذ الوظيفة ممرا لامقرا . فيملاون منها الجيوب بالاقتصاد من مرتبهم . فيخرجون بحقائب بجر . وان كانوا لايسلمون من همزات من يرمون بعضهم بأنهم يعتسفون حتى يجمعوا ما يجمعون . وايا كان . فانهم يتملصون غالبا من هذا الوصف المنشوء الذي تسدله الوظيفة على أربابها . فيتوقون بذلك أحد الضررين . ان لم يمكن لهم الاتقاء من الضرر الآخر الذي يلمزهم به اللامزون .

على أن الشنار العظيم الذي تملأ به الوظيفة دماغ صاحبها هو الجنون بالتوظيف دائما . فلا يرى نورا بعدما يسد عنه باب الوظيفة . وان نال في بيته من الاحترام ما نال . فهذا (فلان) الغني الكبير الذي أسكرته الوظيفة من يوم كان جلس على دست الوزارة . لم يهدأ قط قلبه . ولا طابت حياته . ولا سكن نبضه . منذ أعفي من الوزارة . مع أن ما ناله من الحظوة المتناهية في التجارة . ومن البسطة في المال . حتى كان يعد في طليعة أصحاب ما"ت الآلاف بين الاهالي . فكان دائما يتخذ الوسائل . ويترجى من أرباب الامر والنهي أن يعود اليه مقامه الوزاري . ولم يزل على ذلك الى أن هلك . مع أنه في محيط يغبطه عليه حتى الوزراء الذين يتمنى مقاعدهم بأحر التمنيات . وهذا أيضا العلامة الكبير الوزير (فلان) رحمه الله ورضي عنه . مع ما يتمتع به من مكانة تتذبذب دونها مقامات أمرائنا فمن دونهم . لم يزل منذ أعفي

من منصبه يأمن بكل مافيه من آمال فياضة أن يصبح في يوم ما صاحب كلمة نافذة في الوظيفة . كما كان فيها قبل . ولم يكن رحمه الله بالذى يجهل ما للأعمال الحرة . وهو صاحب الدعاية الواسعة ازاءها . الا ان الموجة التى تموج دائما على افئدة ذائقى الوظيفة تموج على فؤاده ايضا . فلم يستطع أن يتملص من ضمتها . وقديما قيل في الوظائف : (نعمت المرضعة . وبئست الفاطمة) وقد قيل لبعض عمال بنى أمية : اسرع اليك الشيب . فقال : ما ذاك الا من توقع اللحن من فوق المنابر . ومن قعقعة البريد خوف أن يحمل الى العزل . ويذكرون أن المولى سليمان . ملك (المغرب) الشهير . كان عزل قاضيا عن عمالته . فداعبه قائلا : كيف ذقت مرارة العزل ؟ فأجابه فورا من غير تأمل: أذاقك الله مرارة العزل في حياتك قبل أن تموت . فلم يطل الزمان بالملك أن هزم الهزيمة الشنيعة في (الاطلس) فذاق هو أيضا بدوره ما هو أمر من العزل . بله الاكبر من العزل . وهو الاسر في خيمة بربرى . تدور به البربريات يتمسحن بأذياله . وسبحان مقلب الاحوال لا اله الا هو .

ذلك ؛ الا ان الأمر الامر (١) . بل كان أشد من الصاب والحنظل ما يقاسيه الموظف المسكين أيام توظيفه من الذل والهوان في كل فرصة . فيوبخ امام رؤسائه تصريحا أو تلويحا . او توجه اليه كلمات تحمل في أذيالها ما يستشعر به المدرك النافذ البصيرة استصغارا واحتقارا . أو يومر بأن يقف موقفا لايقف فيه الا الاعوان والجلاوزة . فان أنس لا أنس انني كنت يوما صليت الجمعة في مسجد في (الرباط) فرأيت واقفين في باحة واسعة . ونساء أوربيات مصورات يلتقطن بعدساتهن صور أولئك الواقفين وقد رأيت أحد المفكرين بين الواقفين . فرحمته وتمنيت على الله أن لايحرجني طوال حياتي الى مثل ذلك الموقف . فقد أحني رأسي لعالم أو صالح أو لسيدى محمد بن يوسف الملك المحبوب (٢) واما لأرباب الرياسة غير هؤلاء فذلك مما لاتحتمله نفسي . ولا فض فو الشاعر الجاهلي . اذ قال :

واستف ترب الارض كيلا يرى له ... علىَّ من الطول امرء متطول

نفسية الشعراء والوظيفة

أنفس الناس كلهم من جميع الطبقات . مجالاتها لاتتجاوز مهبات الرياح حول هذه الكرة الارضية ومدرجات هذه العوالم السفلى . واما نفوس الشعراء الذين يكون مدار شعريتهم على الخيال . فمجالاتها فوق السبع الطباق .

١) أمر امر بالكسر : شديد .
٢) لاتنس أن هذا كتب ١٣٦٠ هـ

لا يتناجون الا مع الافلاك . ويرون مقاماتهم مع الاملاك والملائكة . وربما لايرضون حتى بالملائكة والاملاك . هكذا خلقوا . وعلى هذا جبلوا . تعال وتسام ونخوة . لايرضون بمن فى الارض . وربما يتعالون حتى لايرضون حتى بمن فى السماء .

أولم تسمع الشاعر الذى يقول :

لى همة عالية فذة — طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت — الى امتلاك سدرة المنتهى

وكذلك الشاعر الذى يقول :

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى — وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال شيئان حرما — على الغنى : نفسى الابية والدهر
اذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه — مواقف خير من وقوفى بها العسر

وكذلك الشاعر الذى يقول :

فلا تحسبن المجد زقا وقينة — فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وان ترى — لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما — تداول سمع المرء انمله العشر

وكذلك الذى يقول متعاليا على الدهر وصروفه :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى — وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا
ولكننى لا أرهب الدهر ان سطا — ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر كفه — لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد عزمى يترك الماء جمرة — وحلية حلمى تترك السيف مبردا
واظما أن أبدى لى الماء منة — ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل — رأيت الهدى ان لا أميل الى الهدى
وانك عبدى يا زمان واننى — على الرغم منى ان أرى لك سيدا
وما أنا راض ان أرى واطىء الثرى — ولى همة لاترتضى الافق مقعدا

كذلك نفسية الشعراء التى تطير على أجنحة الخيال الى السماوات العليا . ترى نفسها فوق هذه العوالم . بل فوق تصرفات الزمان . فمتى مد حادث من الحوادث اليه يدا . يكاد يعزم أن يمد اليه كذلك بدوره يدا .

واما نفسية الوظيفة . فخنوع وذل واهطاع وانقياد . يلطم صاحبها من خد . فيدير عن رضا الخد الآخر . حتى لاتطيب له الحياة الا تحت هذا الاستمرار حتى اذا فقدها تراه يبكى عليها . فمتى حينئذ تتلاقى ماهية الوظائف فى مذلتها . بماهية الشعراء فى عزتها . فمتى رأيت أحد أولئك الشعراء

الكبار النفوس مسوقا الى وظيفة . فاعلم أنه مسوق كما يساق المحكوم عليه بالاعدام الى المقصلة . فانظر كيف كان المتنبى مع ممدوحيه . سيف الدولة فكافور . فابن العميد وأمثالهم . تراه لايزال يريهم أنه لايرضى بالخنوع والذل والاهطاع والانقياد والائتمار . ولا يتطلب الا أن تناط به امارة ليمثل الدور الذى توافقه همته . وكبر نفسه . ثم لم يزل يتعذب فى حياته حتى قتل تلك القتلة التى لولا نفسيته . لفاز فى هروبه ونكوصه بالحياة . ولكن أنى يرضى بذلك .

(وبعد) فليس هناك الا طريقان اثنان لا ثالث لهما : اما أن يكون الموظف كسائر الناس . يماشى الحياة . ويتكيف بالظروف . ويدور مع الدهر كيفما دار . فهذا يمكن أن يستريح ضميره فى الوظائف . فلا عليه ان وقف مواقف الائتمار . وأدى بالامتثال كل ما طلب منه بكل انقياد . واما أن يكون عزوفا أنوفا . لايرضى بأى ذل . ولا أن يمسه أى ضيم . فالمماة عنده ولا الانقياد للنوكى والجهال والرؤساء المتعجرفين . فهذا كان الواجب عليه أن يقنع بكسرة ولو مكرّجة (١) . وبشملة ولو مرقعة . وان يصبر لما يصبر له الاحرار من نكبات الدهر . وصدمات الافلاس . والخمول بين الناس . وما أحراه أن يكون صوفيا خالصا . يلقى وراءه كل الهموم للمستقبل . ويستمد السعادة من قلبه لا من لباسه . ولا من مركبه . ولا من منزله . ولا من الوقوف من الناس له سماطين . فذلك بعض مصداق ما قاله الطغرائى :

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا	فكن عبدا لمالكه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا	كما تهواه فاتركها جميعا
هما سيان من ملك وزهد	ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشىء	سوى هذين عاش بها وضيعا

فلا يقولن قائل ان مقالة الطغرائى انما جاءت كبلسم لمن تعالى الى السيادة الدنيوية فحيل بينه وبينها . فان المقصود الواضح من أبياته أن كل من منع من العظمة الظاهرة . فلا طريق له الا أن يعتنق الوجهة الاخرى التى فيها أيضا عظمة أخرى ظاهرة لا ريب فيها . فسواء منع من العظمة الظاهرة الدنيوية مانع من الموانع. أو منعته منها نفسيته التى لاتطيق الذل والاستخذاء على أن كثيرين ممن رمحتهم المراتب بعد انقيادها لهم . يجدون فى الرجوع الى الله . وفى الزهد ما يجدون . حتى ان بعض شياطين الملوك كتب يوما الى من يهدده من بعض كبار رؤساء النواحى فى ايالته : لئن لم تستقم لاتركنك تعمر الصف الاول . يعنى انه يعزله ويزيل عنه نعمته . ثم لايجد المعزول

---

١) الخبز المكرّج بكسر الراء المشددة : الفاسد الذى تعلوه خضرة .

راحة الا في الرجوع الى باب الله . وحقا باب الله هو الملجأ الوحيد لكل مصدوم . مادام يومن بالله . وليس من الملحدين الذين ينتحرون متى صدموا

(هذا) ما سنحت كتابته حول الوظيفة . فان صادفت فيه أيها الاخ فذاك . والا فقد ملأت به فراغي . على أن الايام هي التي ستريك كيف الوظيفة التي تقدمت اليها . والمستقبل كشاف (١)

٢٥ صفر ١٣٦٠ هـ

ثم كتب الي الاديب البونعماني بعد رجوعي من (الرحلة الثانية) من رحلات : (خلال جزولة) سنة ١٣٦١ هـ

فضيلة استاذنا . وولي نعمتنا . العلامة الاديب الكبير . الفقيه سيدي محمد المختار . حياكم الله من عنده حياة طيبة مباركة :

بينما أنا في أسبوعي هذا أسبح في بحر من الاشواق اليكم عند ما تتوارد ذكريات مراكشية على ذاكرتي . اذ بموزع البريد ألقى الي بكتاب عرفته في عنوانه قبل فضه . قرأت الكتاب وقرأته وقرأته . وكل سطر منه يبعث مني مبعثا عجيبا . من نواحي متعددة . وخصوصا عند استعراض تلكم الخزائن التي يعلم الله ما ذا ظفر به الاستاذ من كنوزها . واعلاقها النفيسة . ولاشك أنكم ترجعون في هذه الرحلة الى (الغ) أو الينا بما لم يرجع به منقب ولا مؤرخ قبلكم . فهنيئا ثم هنيئا . بل مرحى ثم مرحى . ورسالتكم التي أشرتم اليها لم تصلني بالكل . وانما وصلني هذا الكتاب المؤرخ بشوال ـ ١٨ ـ سلمه الى البريد في : ـ ٢٧ ـ منه . واني لمتأسف جدا على ضياع ذلك الكتاب . وما تضمنه من رسالة (نجوى الصديقين) (٢) وأما النقيب الزيداني فلا بأس عليه . وقد سأل عنكم جدا . وهو على فراش مرضه من أيام حادثته . كما يسأل عنكم كل من ينتمي للعلم والادب في

---

١) عجبا من الانسان وتصاريف الدهر . فقد رأيت أيها القارىء نظرتي الى الوظيفة . ولو أطلعت علي من فجر الاستقلال الى الآن . فماذا عسى أن أقول بعدما صرت موظفا . فاللهم سلم سلم . واجعلها وظيفة نفع للعباد والبلاد لا وظيفة انتفاع شخصية . على أنني وأنا الآن في السنة الثامنة في الوظيفة لم يمس قط أحد كرامة . ولا سامني بخسف . والا لترب ونفضت يدي . ومن لطف الله أن وظيفتي كلا وظيفة . من جميع النواحي . علو مقام رسميا . مع خفة الكاهل من المسؤوليات . وقد وقفنا حيث لامدخل ولا مخرج .

والله يختار لنا ما لانختاره لأنفسنا . أكتب هذا في حجة ١٣٨٢ هـ .

٢) الرسالة لم تضع والحمد لله وقد ألحقتها بالرحلة الاولى. وقد طبع الجميع

هذه الديار . على اختلاف طبقاتهم . والله يجمع الشمل على أحسن ما يرام . انه سميع مجيب . ولا أدرى هل وصلكم العدد الثانى من مجلة : (الثقافة) المغربية . التي يصدرها الاستاذ : أحمد بن غبريط مع الاستاذ علال الجامعي تلميذ صديقكم المرحوم مولاى الصديق العلوى . فان هناك كلمة : (أيام عكاظ بـ (تازاروالت) لطلبة مدارس (جزولة) في موسمها الصيفي أيام المحفوظ الادوزى . وعلى بن عبد الله الالغى . ومحمد بن مسعود البونعمانى. واضرابهم في عهد شبابهم . كما صدرت مجلـــة : (الرسالة المغربية) أخيرا فى لون معجب .

(وبعد) : فليت شعرى . ماذا وجدتم فى خزانــة (ءازاريف) هل هناك من جزء من أجزا' (مناهل الصفا) . وكأنى هناكـم بكتب فيها من الرسائل السوسية والقصائد . ومطلق الآثار التاريخية . ما يبعث استاذنا النشيط على تأليف مؤلف جديد يستحق أن يسمى باسم : (جوف الفرا)(١) ما شاء الله . ما شا' الله .

ثم لا بأس أن أذكركم بأن عيد العرش يكون فى : ١٨ نونبر الفرنسى. ولا أكره أن تشاركوا فيه بقصيدة طنانة متوسطـة (لا يشتكى قصر منها ولا طول) (٢) .

هذا اذا أمكن لكم . فان أمكن فعجلوا بأن تكون عندى فى : ١٤ أو ١٥ من الشهر . بخط بين بامضائكم . منكبا ذكر ما يستغنى عنــه . ومصرحا باحتياج (سوس) الى تجديد الحركة العلمية . وشدة شوقه لزيارة مولانا المؤيد . وهكذا . ثم لا بأس بقطعة صغيرة لخليفته فى (سوس) مولانا الحسن على يدى بحول الله . وسلموا على الصنو الاكبر . سيدنا الخليفة . حفظ الله الجميع . وعلى الانجال . والى اللقاء بحول الله .

٢٧ شوال ١٣٦١ هـ

الجـواب:

الاستاذ الاديب الكبير . والشاعر المفوه . شقيق الروح سيدى الحسن البونعمانى .

---

١) استغللت هذا الاقتراح فسميت بهذا الاسم مجموعة أدبية أمشاجا مما ينبسط اليه المؤرخ . مما يتبقى من الاثار عن مؤلفاتى السوسية .

٢) شطر من قصيدة بانت سعاد . وأوله :

(هيفاء مقبلة عجزا' مدبرة)

الآن توصلت برسالتك . واليوم ثاني ذي الحجة . لان الاقدار حالت بيني وبين موافاتها في الموعد الى (أكادير) ثم لم تصلني من يد الى يد الا اليوم .

ايها الاخ :

لم أكد أقرأ رسالتك حتى تناولت هذه الصحيفة منها . لاكتب اليك . وانا لا أزال تحت تأثير قراءتها . ولم أجد من تطلعي الى محادثتك وقتا متسعا . لاتناول ورقا آخر من الغرفة العليا . فقلت : لاكتب الى الاستاذ بلا تجمل ولا تكلف . ولذلك تخطيت تلك الحذلقة المتعاهدة في المراسلة العصرية .

اما الرحلة الجزولية وما ظفرت به فيها . فان كل ذلك مسطر عندي. وها انذا الآن أقيد أيضا في (رحلة ثانية) ما ظفرت به من جديد .

وأما ما ذكرته مما يتعلق بكتاب (مناهل الصفا) فلم اظفر منه الا بخمس صفحات فقط من (الجزء الاول) كما في (الرحلة الاولى) التي جمعتها اثر رجوعي من ذلك السفر . نعم ذكر لي بعض من لا أثق به كثيرا أنه رأى نسخة من (مناهل الصفا) في جبل (درن) وانه يجتهد في التوصل بها . ويظهر ـ والله أعلم ـ انما هو كلابس ثوبي زور . فقد سمع أن الباحثين فقدوا الكتاب . فتبجح بأن له علما بوجوده (١)

وعادتي في رحلاتي : تتبع المخطوطات من مؤلفات السوسيين . فأصفها وصفا شافيا . واما المخطوطات من غيرهم فلا أعيرها أهمية كبرى . ما لم تكن من النوادر . أو من الغريب وجودها في (سوس) كما اتتبع دفات الكتب حيث يألف السوسيون من قديم : كتابة التاريخ للوقائع والوفيات . وكم وكم جمعت من المجامع . من دفات الدفاتر . والكتب العادية من هذه الفوائد ثم انظم غالب ذلك في سلك (الرحلة) وادع ما يتراءى لي أنني أجد له محلا في (المعسول) وهذه الرحلات سميتها (خلال جزولة) (٢)

واقول لك : انني الى الآن لم أجد مؤلفا خاصا لانعرفه للسوسيين . الا بعض قصائد ورسائل . ونتفا من هنا وهناك . وكذا لم أقف على تاريخ مغربي آخر . لا في (أدوز) ولا في (ءازاريف) وقد ظفرت برسالة لعلي بن

---

١) علمنا بعد ان جزءا من الكتاب عند العلامة كنون بطنجة . فرحلت اليه حتى طالعته . ولعل الله ييسر في الباقي (ثم ظهرت نسختان من هذا الجزء نفسه) .

٢) هي أربع طبعت كلها اليوم .

محمد بن عبد العزيز والد سعيد بن علي الشاعر الحامدي . كتبها الى أستاذه ابرهيم بن هلال المشهور يستجيزه أودعتها كتاب (مترعات الكؤوس) . كما وقفت على آثار أخرى مثلها لاباس بها وقد وقفت على نسخة من (أزهار الرياض) فترجيت ان أجد فيها اتماما للنقص الموجود فى سائر النسخ . فاذا بها كغيرها فى البتر . كما وقفت على (ديوان)(١) لأحد ملوك بنى الاحمر وهو من الاعلاق الخطيرة . وفي تلك الخزائن من مؤلفات السوسيين فى الفنون كثير وثير . وكذلك وقفت على مجموعة فهرست لأحد علماء (تاتلت) فادخلتها فى ترجمته فى ١٦ من (المعسول) . ومجموعة أخرى لأحمد بن ابرهيم الادوزى فيها رسائل كثيرة لعلماء أهل الحادى والثانى عشر . للجزوليين .

ثم اننى أشفق على هذه الخزائن ان تمتد اليها الابصار . وخصوصا أبصار من تعلمهم من الذين لايبقون ولا يذرون . وان لم يجدوا الآن دس كتاب فى السراويل فعلوا . فاما نحن فقد أرانا أرباب الخزائن حتى أصدرونا ضاربى الاعطان . بكل ما فى أيديهم . والحمد لله على الانفة حين لم نختلس ولو ورقة . واما غيرنا فبودنا أن لايتسرب اليهم أدنى خبر عن هذه الخزائن الآن . وعن محتوياتها . ولذلك لا أذكر انا بلسانى عن هذه الخزائن الآن ما فيها من الكتب العادية فى النحو والفقه . وأحرص على أن لايرى الرحلات التى أبين فيها كل مارأيت . اشفاقا واحترازا – ان المحب بسوء الظن مولع – فقد أحبنا هؤلاء الكرام . فأرونا كل شئ . أفنكون لهم كقدار لثمود (٢)

وأما الثقافة التى نشرت فيها (سوق عكاظ) بـ (تازاروالت) فمن اين تاتينا الى (الغ) . وأما كون محررها تلميذ صاحبى مولاى الصديق . فربما انتفع به بعدما شدا . واما الذى تولى زرعه حتى أخرج شطأه فى حلقة صغيرة من أترابه . كانت من نصيب ابن خالتك هذا فى (الزاوية الناصرية) بـ (فاس) فاسأله فانه حاشا أن ينكر . أم يعطى الميت الازهار . ويرمى الشوك على الاحياء . فانه هو والسيد الطاهر الفاسى الذى هو اليوم فى كتابة المجلس فى (القرويين) توأمان اذ ذاك . فاعرف ولا تكن من الجاهلين . كما ان عبد الغنى القاضى اليوم فى أحواز (زطاط) كان هو وأخى ابرهيم صنوين فى المدرسة (البوعنانية) عندى . أو مثلك يحتاج الى أن نؤلف له معجما فى

---

١) هذا الديوان . أخذته ومنحته للعلامة الاخ كنون بـ (طنجة) فقدمه للطبع بـ (تطوان) فطبع . وجدته عند العلامة سيدى عبد الله الايغشانى .

٢) قدار كغراب : اسم الشخص الذى عقر ناقة صالح عليه السلام فى بنى ثمود فهلكوا بسببه (ثم ان هذا العذر زال اليوم)

صحابنا . أم كنت لاتزال على ما قلت لى يوما فى (الرميلة) بـ (مراكش) مازحا ـ وفى المزاح يذكر كثير من الحق ـ انك أنت أستاذ كثيرين منـا . وانا فى مقدمة من يقر بذلك . ولكننا لانقر لك بين الناس حتى تنال مرتبة دنيوية تتذبذب دونها الآمال . وتستوقف لأشعاعها الابصار . فيتعلق اذن بأذيالك . فيمت اليك الماتون بكل ما يجدون . وهل يجد أهـل جيلنا الا سبب التلميذية تقربا اليك . وبصبصة بين يديك . فاذ ذاك فقط نقر لك بانك استاذنا الكبير . هكذا كنت تقول . فلا ادرى كيف أكون أنا فى هذه المراتب التى يتنافس فيها المتنافسون . ويتزاحم حولها بالمناكب المتطلعون. مع ما أعرفه من نفسى من أنفة وعزوف . وتأفف عن مناصب أراها مشغلة عن المعالى . لا مدرجـة الى المعالى . ومرزاة لنفسيـة متطلبة المجد لا مرقاة لمتطلبى المجد .

ان كان منزلتى فـى الحب عندكـم   ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى (١)

واما قصيدة العرش . فيا حبذا لو وصلتنى الرسالة فى ذلك الابان . اذن لصدعت وأرسلتها (عجزاء مدبرة هيفا' مقبلة) واما الشريف الخليفة السوسى فقد لاقانى أمام قصره بـ (تيزنيت) صاحبه الاديب بنانى . كطلب منه للقاء فرأيت منه الحاحا فى الجلوس ساعة عنده . فاعتذرت باعذار حاضرة . وانا اثنيت له على الشريف ثناء يبلغه اليه . وأما مخاطبته بقافية على يدك فمرحبا ولكن فى فرصة أخرى . ولعلك تزور (سوس) فنتلاقى هناك . ان هدأ هذا الاعتكار الذى وصفه الباشا الشنكيطى غاية الوصف فى شطره :

(وكيف يسلك هذا الجو معتكرا)

هذا وقد كتبت عن الامزوغاريين وعن الايفرانيين . لما مررت بهم فى رحلتى ما يقر عينك كثيرا .

واحب منك أن ترسل لى مـا أمكن عما يتعلق ببودميعة فـى مجموعة «ديكاسترى» وبادر . فان للتأخير آفات . والحمد لله على سلامة ابن زيدان من مرضه . وقد أمضيت أياما حلوة مع الاستاذ ابرهيم ابن العم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

(أقول) كانت هذه المراسلة قبل أن أسرح الى الحواضر مختتم ١٣٦٢ هـ

---

١) دار الزمان دورته فأغضى الزمان فاذا بالمختار وزير . واذا بكثيرين ممن لم يأخذها عنه يزعمون أنه من تلاميذه . . . «امنا بالله» . وقد يصبح الناس يوما آخر فاذا بالمختار غير وزير . فماذا يكون أيضا عليه ازاءه ؟

مع الاديب سيدي الحسن التناني

في صبيحة يوم من الايام السعيدة . حين كانت السعادة لاتزال تلاحظنا عيونها . وتلحفنا أجنحتها . دخل علىَّ شاب نحيف . يميل الى القصر . عليه سحنة بداوة . وهيأة بدوي صار يتحضر . فافضى الىَّ بعد ما سألته كثيرا عمن هو . فاذا به من الطلبة المجاورين في احدى مدارس الحاضرة (مراكش) وانه يتتبع دروسه في المسجد اليوسفي على العادة . وقد ذكر انه من الاسرة الشريفة آل الشيخ سيدى ابرهيم بن على التنانيين . وانه كان لازم الاستاذ سيدي أحمد الكشطي في بلده ما شاء الله . حتى أخذ عنه كثيرا من المبادئ ثم بدا له أن يستتم في الحاضرة . فاختار (مراكش) على (فاس) لقربها من بلده . ثم شكا الىَّ قلة ذات اليد . وانه لايجد ما يستعين به . وحين سمع انني آخذ بأيدي أمثاله . قصدني الآن . هذا ما قال . فرحبت به . ولم أكن أظنه الاَّ أحد الطلبة من شذاذ الآفاق الذين لايكاد النبوغ يلم بهم . فاذا بنا تكشفنا منه عن أديب طموح . فلم يكد يجد اعانة من عند أحد التجار ألحقته به ليعلم ولدا له (١) حتى رأيت مله نابغة . فكان ذلك هو السبب حتى جعلته من أخصائي . وكثيرا ما أرافقه الى محلات . هذا هو سيدى الحسن التنانى النجيب الذى يؤدى القلم اليوم بيننا واجبه .

كنت كتبت الى ولدى هذا الاديب الشاعر العبقرى . سيدى الحسن التنانى الذى سافرت معه الى (أبزو) ثم الى (دمنات) مختتم ١٣٥٥ هـ ما يلى :

أهذه الشمس الصافية المتلألئة في هذا اليوم الصاحى . وفي هذا الجو الذى يقطر غضارة . هي بعينها ما كنا قضينا بها أياما معسولة بين الرياض الاريضة في (أبزو) وبين الحدائق الغلب في (دمنات) مختتم سنة ١٣٥٥ هـ أنا ونابغة شعرائنا الجدد . ملهم جبل الاطلس . ومفوه قبيلة (ايداوتنان) الفريد . فلئن كانت هي هي بنفسها . فاين تلك الطلاوة الخلابة التى كانت تكسوها حينئذ . اذ نحن نظل من روض الاديبين : أبى العباس وأبى زيد البزيويين . أو نحدق في ابهاء دار أديب القواد : أبى حفص الدمناتي . أم ينقصها اليوم ذلك الوصال من الشمل المجتمع اذ ذاك . قبل أن يضرب الدهر ضرباته . ويتموج بنا جنبات عبابه . وللوصال وحده رونق براق .

---

١) هو أحمد بن كيران هذا الذى تولى اليوم الكتابة العامة في التجارة . ثم صار من أكابر الرجال اليوم . وقد كان والده الحاج المختار ابن كيران صاحبي . وطلب منى أستاذا لولده فقدمته له .

ولو كان فى الاكواخ . فكيف به تحت الصروح الممردة . وبين الغصون المزدهرة .

ايه . هذا فصل ربيع ١٣٦٠ هـ وذاك فصل ربيع ١٣٥٥ هـ . وهذا عهد حرب شديدة تقلقلت فيه كل أركان العالم . وانهارت فيه عروش . واضمحلت فيه دول . وانقلبت فيه الدنيا الى دنيا اخرى . وذاك عهد كان مستقر الاركان . مطمئن الجوانب . صافي النطفة . معتدل المزاج . ساد فيه التفاهم . وانتظم فيه عقد كل وصل . ويميس فى روض يتملى تحت اغصانه كل من كان يمت الى أحد بمودة . حتى كان اذ ذاك غريب (الغ) اليوم سعيدا قرير العين . يناجى مع صاحبه ورفيقه التنانى ربة الشعر . تحت سماء الرياض البزيوية الموثقة . فمرت ثلاثة أيام اختلست من غفلات الدهر . كأنها عرس استتم كل أنواع الحبور . بل كأنها خاتمة عصر سعيد متوج بكل الامانى العذبة . فتلك أيام الاحد والاثنين والثلاثاء . ختام مسك لعهد ما مثله عهد . صفا واخلاصا . واناقة ورونقا . ثم لم يطلع بعدها ضحى الخميس حتى كان ما كان . فكأن القدر اراد أن يزيد التحاما بين قلبي أديبين نحويين مخلصين . فجمع بينهما فى تلك الايام منفردين . يرافقهما ديوان شوقى . فيناجيهما بوساطة (السينية) المعارض بها : سينية البحترى . فكان مسجد (دمنات) الكبير مجمع الثلاثة فى ساعة خلا فيها المسجد من الطارقين . واليوم طلق (١) والبهجة سائدة . والاطمئنان يلحف بأجنحته الذهبية . ربما كان ذلك المجلس الادبى هو الوحيد من نوعه . ظفر به ذلك المسجد فى كل أطوار حياته (٢) ثم بعد أن تملى الادب من الرفقة بما تملى . وأودع من أفئدتهم ما أودع . دارت دولة الفراق للاشباح فقط . ليتحقق على لسان الدهر أن ذلك الالتحام الذى تم هناك تحت لواء الصفا . لن يجد الانفصام اليه بعد من سبيل . وان تطاولت الازمنة . وتداولت السنون . فتسقط العروش . ولتنسف الشعوب . وليكن كل ما يكون فى العالم . فكل ما كان مما ختمت عليه الايام الثلاثة . لن ينسى أبد الآبدين .

حييت يا خزانة المدرسة من (أبزو) حييت حييت . فلقد كنت أدرت علينا ذلك النهار الذى اعتكفنا حول دفاترك الفريدة . ونفائسك الفذة . كأسا دهاقا من سعادة لا يذوقها الا المستهترون أمثالنا بكل كتاب غريب قد يقع فى ايديهم ثم يجول فى اذهانهم انهم ظفروا بضالة علمية . كثيرا ما تجوب أفلاك الباحثين بحور العالم فى التفتيش عنها . أو تقطع

---

١) لا حرارة فيه ولا برودة .

٢) بل مرت فيه دراسات فى كل الفنون .

الموامى (١) الفيح تطلعا الى مصادفتها فى بعض الخزائن المتبذة فى بعض الخزائن المجهولة فى بعض أنحاء الكرة الارضية ـ لاسيما حين اكتشفنا هناك كتاب (العميان والعرجان) للجاحظ ـ فكنا نعد هذه السفرة اليك أيتها القرية البزيوية . سفرة رابحة كل الربح . بما شاهدناه من بنات دفاترك فى خزانتك الميمونة . ومن أين للذين يتتبعون حركاتنا ويحدقون حول أسفارنا بحماليق أعين خزر . أن يدركوا مقدار أوهامهم فينا نحن الذين لم نكن الآ متشبعين بالروح العلمية وحدها . على انهم يرون منا ما يتوهمون وما أكثر أوهام الجهال فى جوانب المغرمين بالعلميات . وكأنى ببعض من كنا عندهم فى تلك الجهة . أو ببعض من رآنا هناك يحزرون بعدما وقع بنا ما وقع اننا انما قمصنا لتلك الناحية قموص الفرقين الرعاديد (٢) والواقع أننا لم نكن نحس اذ ذاك بأى شئ . بل اشتقنا الى مناجاة الطبيعة الوسيمة فى (أبزو) فطرنا اليها نناجيها بالقصيدة التى مطلعها :

خمائل (ابزو) لا خمائل جلق وأجوادها لا آل كل محلق

الى آخرها (٣)

فأين آثار ما يتوهمه المتوهمون من تلك القصيدة ومن أفعالنا يا ترى . أم خلب الفرق والجبن افئدة هواء . فصار أصحابها يتطايرون شعاعا (٤) كلما سبق اليهم وهم . حتى اذا رأوا غير شئ ظنوه رجلا فيحسبون كل صيحة عليهم . فبينما نحن فى قوافينا . وبين نفائس كتبنا . اذا بهم ينصبون الحبائل ويهيئون الوسائل .. ويستصدرون الظهائر والقرارات . أم انما حداهم الى ذلك الدهر المعتاد أن يخون الادباء فى كل جيل . فكأنه ريع من اننا نعرف للابزيويين الكرام مكانتهم المسجلة بأقلام الادباء وبأقوالهم . فيدب الينا بما كان يدب به الى كل أديب . ولكن هيهات هيهات . فها نحن أولاء نفوق فى الوفاء السموأل بن عاديا . ونشيد على بعد بذكر كل كريم يعرف حق الادباء على رغم الدهر الخؤون . فقد أجلت بصرى يوما منذ سنتين فى سراويل تتقطع فوجدت منى جيشان القول . فسجلت تأوهات مختلفة ـ سامحنى الله ـ فجرى فى القصيدة ذكر كرام (أبزو) ومطلع القصيدة ـ وهى كلها فى (الجزء الثاني) المتقدم ـ :

يا لى من دهر على عدا لا سبدا ابقى ولا لبدا

---

١) الموامى : جمع موماة وهى الفلاة .

٢) قمص الى الشيء : نفر والتجأ اليه . والرعديد : الجبان .

٣) تمام القصيدة فى (الرحلة الثانية) من كتاب (خلال جزولة) .

٤) تطاير شعاعا بفتح الشين : متفرقا .

وهكذا نحمد الله على أن صرنا نفي لأودائنا من بعيد . ثم لانرجو وراء وفائنا أجرا . ولا اثر ثباتنـا على العهد ثوابـا . لاننا نقول ونفعل للوفاء لا للكسب . ولحفظ الصداقة . لا للتظاهر والذلاقة . لان لنا والحمد لله نفوسا أبية تستلذ (هاك) ولا تستسيغ (هات) .

ثم ان الصلة بذكر (أبزو) والتغنى بأشجاره الباسقة تتسلسل من زورة حظيت بها فى أول صفر ١٣٥٤ هـ فقد قلت اذ ذاك القصيدة الزائية التى توجد فى (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة) ومطلعها :

اهـذى جنان الخلد أم هذه (أبزو)   منى كل نفس لو يدوم بها الفوز

ايـه أيها الأستاذ الاديب . . .

غرقت معك فـى (أبزو) وفى أوصاف (أبزو) وفى ذكريات (أبزو) تلذذا بذكر تلك الزيارة معك . التى تركت فى نفسي ما لابد أن تتركـه أيضا فى نفسك . لانها آخر أيام سعيدة قضيناها معا . قبل أن تفرق بنا السفينة . وتدور بنا طوائح الزمان . ولا أحلى من ذكرى ساعـة كنت فيها مع من يضمك واياه اخاء متين . وأدب خالـص . وسلامـة أفئدة . وطهارة صدور . فما لهج الشعراء بـ (نعمان الاراك) ولا بـ (السفح) ولا بـ (وادى العقيق) ولا بكل الامكنة التى كانت تضم بأجنحتها أيام السرور والوصال . الا لكونها تبعث من الاشغفة ما تحاول الايام بتقلباتها عبثا أن تمحوه من قلوب أهل العاطفة والشعور . اذا به أرسخ من نقش على حجر .

(وبعد) فقد كانت أخبارك تتساقط الى على قلتها . فقد كنت توصلت عنك اثر مقالى بما بعثت به الى من بنات جيبك . ثم يصلنى عنك اشتغال بالتعليم عند (فلان) وغيره . الى أن بلغنى اتصالك بمن تاوى اليوم الى ظله مبتهجا . فابتهجت لك بدورى . لانى أعلم لون الحياة التى كان يحياها مثلك الغريب الخفيف الذيل . فى أنظار الحضريين . وفى أعـين المدلين بثرواتهم وبوظائفهم . فاذ ساعدك الدهر . فصرت مغتبطا مغبوطا . استراح لك منى من كنت جزءا كبيرا من همه . وأنا جد عالم أريحية رب مثواك للادب والشعراء فلعلك تؤسس بوساطته لمستقبلك . آخذا كل حذر من أن تتجر بوساطة الادب . وأهل الادب الى خمار يغطى فكرك . فيفر منك درهمك الذى لايقدر قدره الا مثلك الذى كان منه أيام اعوازه ما كان قبل . وأرجو لك . بل أكاد ألح عليك أن تتأهل بسرعة . وان تتصل بمن تعتمد عليه فى هذه الفترة العصيبة التى يجتازها (المغرب) وربما كانت هوجاء . شديدة العاصفة . فان وصلت بالقراءة الى هذا المحل . فقف كثيرا وأطل التأمل . واعرف

كل ما اريد أن تعرفه من كلامي بايماء . ولاريب انك تدرك انه لايصلك مثل هذا عن أحد . من كل من تمتّ اليهم بمودة ايا كان . بعد مـا فقدت والدك . واذ كنت جعلتني حينا بمثابة والدك . فها انذا أمثل دوره بكل شفقة وحنان . واليوم السعيد عندي : يوم أعرف انـك أسست لحياتك . واستقر بك القرار . وما أسهل ذلك على مثلك اليوم . وأنت في مثل تلك المكانة . ولا تطمح أن تحس ببشاعة كل ما اشير اليك أن تتجنبه الا بعد أن تتحمل مسؤولية الاسرة . كما انه لايمكن أن يحول بينك وبين كل ما يخاف على نظيرك الا ثقل مهمة الحياة المستقرة . فاسمع من مجرب عارك الحياة حتى بلغ أشده . وعجم الاعواد على اختلافها . وذاق البادين والحاضرين والادب وأهله . وكل طبقة طبقة . فانك ان سمعت بكل انصات لما في كلامي من النصيحة . فستتذوق عن قريب كل الذى احبه لك . وعسى أن يكون شاعرنا النابغة التناني ذا أسرة مرموقة . يقصده أستاذه بالنزول عليه يوم يكتب الله أن يراجع (الحمراء) وما ذلك على الله بعزيز .

وآخر ما اقوله لك : ان الوظيفة ودخول الدراهم في اليد . سكرة غير دائمة . لا تطير الا يوم تزول الوظيفة . فحينئذ يقول ربهـا : (طارت السكرة حين جاءت الفكرة) ولا ينجو من ذلك فيما أعلمه الا الذين يعملون على فراقها . منذ اول يوم دخلوها . فيوكئون على الدرهم الابيض . لليوم الاسود . وما اليوم الاسود الا يوم تنطوى عن الموظف الوظيفة .

اقرأ كل هذا . وامعن فيه النظر . واعلم انني لولا معرفتي بانصافك ومقدرتي قدرك . ما كنت لأدخل معك في شؤونك الخاصة . وأنا هنا غريب عنك . لا اعلم عنك اليوم الا خيرا كثيرا . أحبك معه محبة زائدة . ثم ان قرات كل هذا فامحه من الرسالة حتى لاتقع في يد آخر . لايدرك مقدار النصح . ولا كيف يهتم الاساتذة بالتلامذة . زيادة على ان النصح لاينفع الا اذا كان سرا بين اثنين . فمتى أعلنت النصيحة . فهي فضيحة . وأعيذك بالله ان تسلس قيادك للحياة العصرية الماجنة . التي لايخفى عنى لونهـا . ولا يحملني على الاطمئنان عليك الا ما كنت أعرفه منك من علو الهمة . والترفع عن السفاسف . والاعراض التام الذى جبلت عليه عن الدنايا .

ثم اعلم ان اخاك الذى تدعوه بأستاذك في خير كثير جدا . فقد اطمأن اليوم لحياته اطمئنانا كبيرا . حتى يهدأ العالم كله . وقد كفى كل المؤن . يتقلب في أنواع من النعم . ويتملى بأطيب مطعوم . والذ مشروب . وألين ملبوس . وصناديقه تعج بالكسا المختلفة : صيفية وشتائية . كما ان مخازنه

تزخر بمواد المعيشة . فلا يرهب بفضل الله أعصار هذا الوقت العصيب . والغلاء الشديد . ولا يقلقه الا هيجان الشوق اليكم . ولا يتشكى الا مما يتشكى منه البستى فى بلده (بست) (١) ولكن لعل فى كل ذلك خيرا . وقد شاهدنا من صنع الله بنا من الاحتفاء المستمر . مـا يحملنا على أن نحمد الله دائما . وهذا الذى يميل بنا دائما الى التى هى أحسن . وان كنا لاندرك ذلك الا بعد حين . فكم زعازع هبت زوابعها . منذ انتقلنا من هناك ثم لاتزال فى هيجانها . ونحن هنا تحت ذيول الروح والريحان فى جنة نعيم . وقد كنا نعزف بهمتنا ان نوثر الراحة على ما فيه المزاحمة على الشرف بالمناكب لولا ان سبق الآن لنا فى الازل أن يكون حظنا الراحة . وان نكون من بعيد من نظارة الميدان الذى يتطاعن فيه الاقران . لا من ارباب الطعن والضرب فى ميدان المتطاعنين . فطفح على الفؤاد اطمئنان ورضا بكل ما كان ومايكون . وهل يستمتع بالحياة الا من اطمأن لما تجرى به الاقدار له أو عليه

ديدنى منذ اربع سنوات ونيف . مناجاة اليراع والقرطاس . ومناغاة الكتب التى اجدها حولى . فكنت فى أول امرى كثيرا ما أقرض القوافى . وانا متاجج بالشعلة الوهاجة التى كنا فيها كلنا هناك . فكان القريض تواتينى قوافيه دائما . وان كانت روائعه قلما تزورنى الا لماما ـ على عادتى من قديم فى كل ما أقوله ـ ثم لما دب الفتور بلزوم الوحدة وبالخمول والانزواء صرت أكتب من التاريخ السوسى كل ما يمكن لى . فقطعت فى ذلك اشواطا . وان كنت لا ازال فى الخطا الاولى . لعدم المواد . ولاعواز المعين . وغالب ما لفقته . لايزال منثورا أو فى مسوداته . وبهذه المناسبة . جرى ذكر نابغة التنانيين فـى مؤلف (٢) خاص بادباء (سوس) وعلمائه قديما وحديثا . وفيه هذه الكلمة بين يدى شعره :

(شاعر الشباب الجنوبى . وعندليب رياض الادب الفينانة الاغصان . أنجبته قبيلة مـا نحسب انها أنجبت مثله فـى بلاغته وسلاسة قريضه وحلاوة قوافيه . وهو من أسرة علمية . فقد استولى على تراث الاجداد . ثم زاد عليها الادب علاوة . وذلك فضل الله يوتيه من يشاء .

---

١) قـــال :

وما غربة الانسان فى شقة النوى	ولكنها والله فى عدم الشكل
وانى غريب بين (بست) واهلها	وان كان فيهـا أسرتى وبها أهـلى

٢) هو « المعسول » ١٤

اخذ عن أبى العباس الكشطى التنانى . ثم ربض بـ (الحمراء) وقد ارهف حـده وتفتحت شهيته . فتاتى له هناك وسط أدبى يعرف قيمـة الادباء . امثاله معرفة ما . فحبب اليه أن يغازل ربة الشعر . فلم يعتم ان استهيم بها . وقد حدبت عليه وأرضعته بلبانها . فكان فـى مواصلتها من المغرقين . وهو اليوم لايزال هناك يستتم دراسته . وقد شارك فى فنون شتى . لكن النعرة الادبية لم تترك فى كاسه الطافحة فضلة من قلبه لعلم آخر . ولذلك كان ابرز فنونه اليوم الادب وقرض الشعر . ولا نرتاب فى انسان دام على ذلك الا انه سيكون له بعد اليوم شأن أى شأن . وعاطفته عاطفة الشعراء . تقوده غمزة . لاسيما من مقلة وطفا . ويستثير غضبتـه دغدغة من اهانة . فيستشيط . فيقلب الارض على السماء . وله آثار قيمة عالية النفس . وقد جاء وفق اقتراح بعض الكتاب المغاربة ـ وهو انت ـ : (لا اريد أن تكون لنا فى انتقاء الادب أساليب تعبير محدثة . وتفكير جديد فحسب . بل نريد أن تزيننا طلاوة الطابع العربى من جهة . ومتانة التعبير وخفـة الروح الانشائيـة المحدثـة فى كل الشؤون من جهـة أخرى .) الى آخر ما فى الترجمة بين تراجم أسرتك)

ثم ان ما أرسلته من (كذا) قد وصل متقبلا . وقد فرحت كثيرا حين صدقت فيك الفراسة من جهات : من جهة ما تم لك من النبوغ الذى يشهد به حتى ممالئوك مرغمين . ومن جهـة كونك لـم تتشرب ـ بطيب أرومتك وسلامة صدرك . وسراوة نفسك ـ ما يتشربه كثير ممن ترى هناك . من الاعراض عمن كانوا معهم . قبل أن يبتسم لهم الدهر . فلا يكـاد أحدهم يعطس بانف شامخ حتى يؤتى اليه انه جليس القمرين . وانه من سكـان السماء . لامن سكان الارض . فلتهنأ بكل هذا . ولتتيقن أن من هنا فى غربته يكبرك ويكبر فيك بكل اعجاب . ما تميس فيه من مكانة سامية . ومقام عال ونفس طموح . وهمة عليا . وشاعرية يقل مثلها فى (المغرب) كله . لا فى (سوس) وحدها وكن دائما ذا حذر من كل من اليك . ولا تغتر بابتسام . فاقتد بصنوك المتنبى الذى يجزى ابتساما بابتسام (١) ثـم يصون دخيلة نفسه . (نعم) ان قدر لك وصادفت أحد المخلصين . فلا بأس أن تتخذه نجيا . غير اننى ارتاب كثيرا فى انك تجده . ولو فتشت عنـه تفتيش بخيل ضاع

---

١) قال المتنبى :

ولما صار ود الناس خبا جزيت عن ابتسام بابتسام

وصرت أشك فيمن اصطفيه لعلمى أنـه بعض الانام

فى الترب خاتمه (١) لكن ان أردت عينك الى بعض الحاضرين أو البادين . فقد تجد طلبتك . ثم لا ازال أوصيك بأن تكون دائما على حذر . وانقبض ما امكنك عن المعاشرة الا لماما . تصن درهمك . وماء وجهك ودينك . وتجد وقتا لازديادك بالمطالعة فى التضلع فى الادب .

(هذا) فان وقعت على (روايات) من كل الالوان . فلا تنس أن أستاذك كان مغرما بمطالعتها غاية . يستروح بها للنفس . ويستجم بها من العمل فكنها من الخامل .

وبلديكم سيدى محمد بن سعيد الازيارى التنانى . اوصيك عليه غاية . فانه هناك وحيد . لايجد من ياخذ بيده . فرق عليه ما استطعت وتفقده . فقد ابهجتنى منه مراجعته للدراسة . وانا أعلم انه اليوم يتقدم . فنشطه بكل ما فى امكانك مباحثة وغيرها . فقد زارنى فى السنة الماضية . وفرحت به كثيرا . ومثلك كعمر المقول فيه :

اذا ايقظتك حروب العدا   فنبـه لهـا عمرا ثم نم

لا عمرو المقول فيه :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنـار

ولا باس ان وجدت له رتبية طعام . فربما يحتاج اليها . والحاصل أنت الحاضر . والحاضر يرى ما لا يرى الغائب . ولا تحتاج بعد . ان توافينى انا بشيء من بنات جيبك . فاننى مكفى المؤونة والحمد لله . وان كان لا يأبى الكرامة الا لئيم .

اخى . بل ولدى . بل شقيق روحى :

وداعا الآن . الى أن نلتقى ان شاء الله مرة أخرى . واحب منك ان تجيبنى عن ابن المعلم . وابن فارس . وشوقى . وعرفة . ما يصنعون اليوم وكيف أحوالهم . وهل وفقوا الى مراتب الشرف . من اتمام دراستهم . والمحافظة على مراكزهم . وصون الاخلاق عندى أهم شيء فى أصحابى . ولا يعلم الا الله كم قاسيت فى مثل (شوقى) ذودا عن حوضه . وصونا لشرفه . ثم لا أدرى هل أثمر جهدى فيه شيئا . فهل تتوج ذلك الذكاء بالخلق الرصين . والعلم المتين والادب العالى . والدين المخلص . فاذكر لى كل ما عندك عنهم وعن غيرهم باسهاب . فذلك خير ما تهديه الى . لاننى لا أنسى أصحابى . واود أن يكونوا كلهم فى مسلاخ النابغة التنانى . وعندى

---

١) قال المتنبى أيضا :

بليت بلى الاطـلال ان لم أقف بها   وقوف بخيل ضاع فى الترب خاتمه

عن شوقى أنه ارتحل الى (الخضراء) ثم لا أدرى بعد ما فعل الله به . فلا تنس كل هذا . فقلب أستاذكم لايزال يرفرف من اجلكم سنة ١٣٦٠ هـ كما كان سنة ١٣٥٥ هـ . وما كان لله دام واتصل .

انني أناجيك منذ الصباح وهذا الآن الزوال . وهذه الساعات عندى من ألذ ساعات أقضيها منذ شهور . ولعلك أنت أيضا تذوق وأنت تقرأ كل هذه الرسالة الساذجة . ما يذوقه أستاذك حين يكتبها (ومن القلوب على القلوب دلائل) . فستتوصل بالرسالة . وربما يجول فى ذهنك كل صاحب لك تتوقع أنه الكاتب اليك . ثم لايخطر لك ببال : انه استاذك هذا الغريب . الا حين تفضها فتلمح منها ما كنت تعرفه منه الى اللحظة الاخيرة التى فارقك فيها .

فوداعا وداعا . والى الملتقى أيها الشاعر النابغة . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ويقبل يديك ولداى : عبد الله وسعيد (القادم الجديد) اللذان نتمنى على الله أن ينبتهما نباتا حسنا . الى أن يتوصلا منك بدورهم بما تتوصل به اليوم من والدهما من النصح الخالص ان شاء الله تعلى .

لا أستبلغك السلام الى أحد . لانك تقرأ الرسالة وحدك . ثم تحتفظ بها فى قمطرك الى أن يحين اظهارها واظهار عشرات من اخواتها بحول الله

وكتبت اليه ايضا :

والله لانسى اصحابي

عنى بكأسك أيهذا الساقى ... حسبى كؤوس المدمع الرقراق

انى التذذى بالمدامة بعد ما ... أخذ الاسى بمجامع الاطواق

عرك النوى قلبى المحطم بالذى ... والى من الارعاد والابراق

ما جال طرفى فى بهيج منذ أن ... أخنى على الدهر بالاطراق

بينى وبين العيش ما بينى وبيـ ... ـن بنى (الرميلة) ولدتى الاعلاق

انى تطيب لى الكؤوس فاغتدى ... فى عيشة البهجات قبل تلاق

انى اذن ــحاشاى ــ انسى منهم ... زمنا طويلا قرة الاحداق

بهم عرفت الرشد كيف سبيله ... ودجا الليالى من سنا الافلاق

وعشقت مكرمة الشغوف على الورى ... (والمكرمات قليلة العشاق) (١)

والله لا أنساهم ما دام جو ... ر الدهر يعقب صحبة بفراق

---

١) من قطعة قديمة .

الشاعر المفلق سيدى الحسن التنانى . ينبوع الشعر الحى . والادب العربى العالى الفريـد .

ايه . . . هذه أربع سنوات وربع أخرى تمضى . والله يعلم كيف مضت وقد انقلب فيها العالم كله من جانب الى جانب . وتبدل فيهـا وجـه الكرة الارضية . وتحولت فيها رسوم التخوم بين الدول . وانهار فيها ما انهار من عروش . وذاب فيها ما ذاب من شعوب فى شعوب . لكنها أتقدر ان تؤثر فى أفئدة كانت مرتبطة فى أزمنة غير قليلة بما ارتبطت بـه من اخلاص . والتحام قلوب بقلوب . فقد كنا جماعة غير قليلة . تعارفت تحت رايات الادب وتقابلت وجوهها تحت أغصان المعارف . فبقيت ما بقيت . وعين الدهر عنها نائمة وصروف الاقدار عنها معرضة . حتى اذا دار الزمان بأهواله . التفت اليها التفاتة صيرتها ما بين مشرق ومغرب . وان كان لم يستطع ان يؤثر الا فى الاجساد . واما القلوب التى بها تتصل حلقات الادباء . ويتلاحم ذوو المعارف . وتتناجى بها الامانى . فانها بمنجاة من كل ما يمسها . ولا ادل على ذلك من هذه الخمسين شهرا الماضية . فقد برهنت عن عجزها على اى تأثير فى بنات الصدور . فلا تزال الضمائر اليوم . كما هى عليه أمس وما ذلك الا بكون تعارفها مؤسسا على غير المادة التى تنهار وحدها بما أسس عليها .

أخى . . بل ولدى . . . بل يا شقيق روحى . بل هو الذى منى وأنا منه

اننى كنت التقط عنك من فلتات الانبـاء . مـا كنت فيه منذ ضربنا الدهر ضرباته . حتى عرفت منذ زمان التحاقك بجناب يعسوب (الحمراء) ككاتب . فرجوت لك أن تتملص مما يسمونه حرفة الادب . ان عرفت كيف تؤثل وتقتصد ولا ياتى على بنات جيبك . ما ياتى على جيوب الاريحيين من الادباء الذين لايكادون يفلتون من الاعين النجل . والخدود الحمر . والحواجب المزججة والاصداغ المعقربة . والثغور المفلجة . ولعلك توفق حتى تمثل ازاء ذلك ما نادى به ابن جزى :

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسبى حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظرى اليها محافظـة على عرضى ودينى

وما أخسر الادباء الخالعى العذار . الذين ينفذون بنود ما قاله صريع الغوانى:

هل العيش الا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والاعين النجل

وكيف يفلح فى ميدان الفضيلة أديب يتتبع آثار ذلك الصريع :

صريـع غـوان راقهن ورقنـه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

وكل رجائي أن تكفكف من عنان نظرك لئلا تقع في الهاوية . ثم لاتجد لك منقـــذا :

وكنت متى أرسلت طرفـك رائدا لقلبك يومـا أتعبتك المنـاظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(وبعد) : فقد وصلتني هديتك على يد ابن العم الاستاذ مع سلامك . فتذكرت تلك الرحلة التي رحلتها معك . قبل يوم النفي بقليل الى حدائق (أبزو) فـ (دمنات) وقـد كنت حررت اليك رسالة منذ عهد قريب . فهل توصلت بها . واتبعت ما فيها .

دمت للادب بلبلا صداحا . والسلام .

مفتتح ٥ ـ ١٣٦٠ هـ

وكتبت الى هـذا الشاعر التناني أيضا بعدمـا فارقته في (الحمراء) يوم زرتها ١٣٦٢ هـ فذهب الى بلده (ايداوتنان) فاذا بمرض السل هناك الـح عليـه :

شفا" فقد أشفى العلاء بما ألم بجسم براه الله للمجد لا الألم
شفاء فيشفي الشعر من برحائه فقد كاد يقضي بعدما مسك السقم
سمعت وما أضنى الذي سمعت به صماخي بما أذكى الجوانح بالضرم
بانك فوق الفرش ملقى كانما رمتك العيون النجل باللحظ من أمم ١
متى يا ترى القى محياك ثانيا نضيرا كزهم الروض في كمه ابتسم

أخي العزيز . بل ولدي الذي به افتخر افتخار من رأى في فلذة كبده نبوغا خفاق الاعلام . وعبقرية فذة في الافلاق (٢) فيكاد بالاغتباط بولـده ينطح الافـلاك .

(هذا) أصحيح انك جئت بعدي الى الجبل التناني بعدما قدمت من الاعذار ما قدمت . حتى حرمت مرافقتك عن مضض . أصحيح أن ذلك الضنى بلغ بك الجهد حتى سقطت طليحا . فوا أسفا على بلاغة ضنيت بضناك . وعلى فصاحة انحبست بانحباسك هناك . فقد كدت لاأصدق ماحدثني به الركبان فتذكرت قول اخيك ابن الحسين :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكـذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فحفظ الله مهجتك من كل أذى . ومصح (٣) ما بك حتى القاك ثانيا مشرق

---

١) من أمم بفتحتين : من قريب
٢) أفلق الشاعر : اذا أتى بالفلق بالكسر فالسكون وهو : العجيب .
٣) مصح الله داءك : أذهبه

الحيا . بسام الثغر . خفاق الاجنحـة . فى جواء (١) الادب العليا . فانما الادب جسم أنت روحه .

٢٠ رمضان ١٣٦٢ هـ

ثم بلغنى ان المذكور لحق بربه ببلده : ٩ شوال ١٣٦٢ هـ بعـدما اوصى لى باضبارة فيهـا أشعاره . فرحم الله تلك العظـام . والحقنا واياه بالسلف الصالح . وغفر لنا وله . وقد حرصت على سوق كل ما اخترته من اشعاره فى ترجمته من « المعسول » الآ بقايا تركتها لتكون زينة لديوانه يـوم يطبـع .



١) الجو ورد فى المعاجم التى راجعناها . جمعه بالجواء لا بالاجواء كما شاع

مع الاخ مولاى احمد المنجرة

احييك من أعماق الفؤاد من منفاى هاهنا أيها الشريف الكريم الاعراق الطيب الاخلاق . الذى مازج الاخاء الصافى بين قلبينا منذ العشية التى تعارفنا فيها عرضا .

اننى الآن اتمثلك حاضرا بين يدى . ووجهك طلق كما هو دائما . ولسانك رطب بكل جميل كما جبلك عليه من يجبل أمثالك الفضلاء النبلاء من طينة غير الطينة التى منها غالب الناس .

لا أزال أتذكر تلك العشية المباركة التى صادفتك فيها فى متجر صاحبنا التاجر محمد بنانى فى (قاعة ابن ناهض) حين كنت مارا فى احدى عشايا الاربعاءات فى مفتتح ١٣٤٩ هـ فنادانى الاخ الغازى . وقد لمحنى فى الشارع . فقدمك لى مع اخوانك الاماثل . وقدمنى لكم . فكانت خير ساعة بذرت فيها بذرة نافعة فى (الحمراء) وان كنا جميعا نجهل اذ ذاك ما فى طيات المستقبل . من تعاوننا على بث المعارف فى تلك المدينة الطيبة المباركة . اخوانا متساندين . ورب أخ لم تلده لك أمك .

تمر الايام على تعارفنا ونحن نزداد صفاء وثباتا . وامعانا فى الصالح العام . وما السعى وراء نشر مجلة (الفتح) ولا وراء نشر الثقافة بوساطة نشر الصحف وغيرها . وفتح الكتاتيب . وفتح عيون الطلبة . وصقل أفئدة التلاميذ . وزحزحة الذبول المسترخى على عقول الخاصة والعامة من المراكشيين . الا من بعض ما كنا نعمل فيه اذ ذاك . وما رائدنا الا أداء ما فى الامكان من الواجب الذى نحس به ملقى على كواهلنا .

كان مولاى أحمد المنجرة فى مقدمة من كانوا لى خير أعوان فيما انتدبت له من فتح الكتاتيب التى تضم الى سيرها القديم كل ما فى الامكان من الانظمة الحديثة . ومن الاخذ من مبادىء العلوم العربية وما اليها . فتتحول مدارس ابتدائية . فكان هذا الشريف الجليل يتحمل كل ما فى طاقته من أعباء فى هذا السبيل . رغم أشغاله التجارية الكبرى . فكم فتح من أعين . واسمع من آذان . وجلا من عقول . وأدر من جيوب . ومد من دعاية واسعة يتوقف عليها ما أمكن أن يدرك فى مثل تلك البيئة من نجاح . ثم هو مع كل هذا لايتصدر . ولا يحب أن تشير اليه الاصابع . شأن كل العاملين باخلاص يتموج فى أثناء صدورهم المفعمة بالايمان الذى هو الايمان حقا . وهل ايمان المسلم الا ما ظهرت به أعمال . واهتدى به ضالون .

كان مشرفا على مدرسة خاصة جعلناها لأبناء الاعيان . وهى التى تسمت بعد' بـ (مدرسة الحياة) فتولى تنظيمها . ثم وجدنا من الاخ الاستاذ ابرهيموخلفه سيدى بريك خير مدركين بالمعينه كل مايتطلبه الوقت. فتبناها الاخ ويسير بها الى الامام خطوات واسعة . كانت اذذاك من الاعاجيب . حين كانت كل الاعمال انما تقوم بالتضحيات لا بالمال . وللتضحيات نجاح موقت وكان من طبيعة الحال أن لايدوم مثل هذا العمل . الا ما دام رجال التضحية يتوافرون . وما أقل اذ ذاك رجال التضحية فى هذا السبيل . ويكاد يكون انبثاق النجاح غير مرجو . لولا أمثال هذا الشريف . ولو كان لـه أمثال كثيرون لكان النجاح أعظم وأعظم . ولكن على قدر الرداء تمتد الرجل .

كان العمل المقصود يتوقف اولا على الامكنة . فأين مـا يؤدى منه كراء المكان . كما يتوقف على الاساتذة المخلصين . وأين الاساتذة المخلصون وعلى ايجاد الروح التى تحمل الآباء . حتى يقدروا هذا العمل قدره . فيدفعوا بأولادهم اليه . وكيف تبث هذه الروح فى ذلك الوسط الذى كان اذ ذاك غفلا مما يصور هذه الناحية التصوير المطلوب . الحافز على الاندماج فيه . و (مراكش) اذ ذاك ـ وقد تبدلت اليوم حتى كان ذكر ذلك الوقت ومـا يسوده شبه خرافة ـ ساذجة فى هذه الناحية . لاتزال تسدر تحت الخيال القديم . ثم بعد أن تجتاز كل هذه العقبات . توعزنا الكتب الدراسية للصفوف . وغالب التلاميذ فقراء مدقعون . واما التشجيع اللازم للدراسة وتكييف الجو المؤثر . ثم الطمانينة من جهة العيون الذين يقلبون الحقائق . ويشوهون المقاصد أمام (الاستعلامات) الفاتحة آذانها . الآلفة أن تبنى على كل حبة قبة . فهذه أمور عظيمة وعقبة كأداء . من ذا يستطيع أن يتنكبها او يتسلقها . ثم ان هذا كله الذى كنا نفتح له أيدينا . ونفرغ فيه جهودنا ونضحى بسببه كل ما فى الامكان من التضحيات . كان دائما المولى أحمد فى الطليعة فى كل شيء . انفاقا وعملا . وبث دعاية . ولفت وجوه لم تكن تلتفت لولا لفتها .

كان يمت بالنسب الى الامراء السعديين الامجاد فتسربت الى شرايينه محبة العلم والادب. واكبار الدين وكل ما اليه . ثم كان لوالده المولى الطاهر العابد الصالح اثر ظاهر عليه . حتى نشأ فى منشأ التواضع والدعة . لايطبيه منصب . ولا يغويه مال . ولا يستفزه جاه . ولا تنسيه محبة العلم واهله كل مـا يخوض فيه من ادارة تجارية كبيرة . للسيد محمد بنانى : احد تجار المغرب المتمولين الكبار . فكان المولى أحمد وان انخرط فى سلك اهل التجارة لايزال له اتصال تام بالعلم واهله يجرى فى مصالحهم . ويفرغ

وسعه في انهاض من قعد بهم دهرهم من الطلبة المعوزين .

أذكر أن الاستاذ سيدى محمد بن عمر السرغيني . كان تسور عليه ليلا . فذهب ببعض متاعه . فارتأيت مع رفقة أن نقوم له باكتتاب . فقام المولى أحمد مع أفاضل من التجار بجمع ما تيسر . حتى اذا نض ما نض . ذهبت بـه مع أناس من أفاضل الاساتذة . حتى قـدمناه للاستاذ . ولـم يصحبنا المولى أحمد . تجنبا منه كل تظاهر . ديدن العاملين المخلصين الذين يتفقون ثم لاتعلم الشمال مـا تنفق اليمين . واذكر أيضا أن أفرادا غـير قليلين من الطلبة الافاقيين المدقعين ممن يحلقون حولى فى (الرميلة) كان يسعى لهم حتى تتيسر اعانات دائمة من عند كرام . ثـم لايظهر اسمـه بينهم . ولا يتبع ذلك بمن .

كان أخذ فى (القرويـين) حتى شدا . ثم الجأته ضرورة الحيـاة الى معاطاة التجارة . فبقى بـ (مراكش) عزبا ما شاء الله . حتى اقترن بشريفة فاسية لم تنشب أن تقدمت الى الحياة الدائمة . مغادرة وراءها ولدها سيدى الغالى واذكر أننى كنت دائما أتناول عندهم بعض الوجبات . فيخبرنى المولى أحمد بأنها تفرح بى كل ما زرت الدار بحسن ظن منها نحوى . ووقفنا على قبرها فى سيدى مسعود بـ (الموقف) فى مشهد مؤلم . رحمها الله . وأقر الاعين بولدها سيدى الغالى . وأتذكر أننا حين عققنا عنه حضر والده مولاى الطاهر . وسيدى محمد التادلى . ورجل درقاوى جزار . وأنا رابعهم فضاحكت مولاى أحمد والد الصبى . فقلت له : أحسب أن هـذا الولـد سيكون صوفيا . فهذا جده مولاى الطاهر والتادلى كلاهما صوفى كبير . وهذا الجزار أيضا . وأنا وأنت منتسبان للصوفية . فالدرقاوية هنا طنبت ووطدت أركانها . أفلا يدل هذا على شىء . ان كان الفال يظهر له تأثير . فقال : ان الذى يهمنى أنا منذ الآن . كيفية تعليم الولد . فأين التعليم عندنا فى المغرب . وأين الكفاءة من كل الذين انتدبوا اليوم الى هـذا الميدان . فوالى تأوهات فقلت : لعـل الحال يتغير قبل أن يدرك الولد وقت التعلم . غير أن السنين سرعان ما توالت . فهذا سيدى الغالى الآن فى طور التعليم الابتدائى . فأين المدرسة التى يرتضيها له أبوه بـل الاساتـذة الاكفـاء المرضيون (ثم انه وقع فيه خلل برىء منه فتزوج فولد له . ولم يحصل كثيرا)

آه من هذه الذكريات . فما أمض وقعها الآن على فؤادى . فقد عشنا حتى شاهدنا فى الاخيلة آثار من كنا نأنس بهم . ونحيا بمعاشرتهم . قد استحالت كما تستحيل مرابع الاحباب بعد البين .

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى   منازل من يهـوى معطلـة قفرا

من لي بان ارى ثانيا المولى أحمد . وكل الاوداء الذين كانت أيامي معهم في(الحمراء) مواسم وأعيادا . ومن لي بأن أعيش حتى نرى البين يتقلص ظله من بيننا . فننتدي أيضا كما كنا :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وحتى ننشد :

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة اذا كان من بعد الفراق تلاق

هكذا جررنا أذيال الاسف أحقابا . ثم حملنا انفسنا على التصبر والتأسي بالذين كان الدهر لعب بهم كما لعب بنا أعصارا . ثم بعد هذا وذاك . لايزال الدهر سادرا في غلوائه . مصما آذانه عن كل الدعوات التي نرسلها من ثنايا الاشفقة حارة . ولكن مع كل هذا لم يبلغ بنا اليأس مبلغه بعد :

عسى الكرب الذى امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فان لله ألطافا بالعبيد . وربما كان اليوم المنتظر أقرب منا من حبل الوريد وفي منتهى الشدة مبتدأ الفرج . وقد يبدل الله ما نحن فيه برحمته من حال الى حال ما بين اغماضة عين وفتحها .

كانت دار المولى أحمد المنجرة آخر دار رأيتها بـ (مراكش) قبل أن اغادر تلك المدينة صبيحة ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٥٥ هـ فقد سمرت عنده مع أبي المزايا العلامة ابرهيم الكتاني . شقيق الروح الى وسط الليل . فصاحبني الى منزلي بـ (الرميلة) ثم ما استيقظت مبكرا حتى اخذت سيري الى السيارة التي غربتني هذا التغريب الذي لا أزال فيه . افلا يدل هذا الاتفاق الغريب على أن كل من في (الحمراء) يتصدر منزلتهم في الفؤاد هذا الخليل الذي هو آخر من وقعت عليه عيني ليلة النفي .

كم وكم وكم ودود لي هناك يتمنى لو أتيح له الاتصال بي بالمكاتبة وان فينة بعد فينة . ثم يعوز غالبهم من ذلك ما تيسر لهذا الاخ الصفي الذي أبى له وفاؤه وشمم شرفه الخالص أن ينسى اخا له في أقصى (سوس) فكان يتعهده كلما وجد فرصة . لابنت اللسان فحسب . أو بنت اليراع فقط . بل ببنت الكيس التي لايسخو بها الا من كان في مثل مسلاخ مولاي احمد المنجرة الشريف الاصل . كان يود لو يوافيني بكل ما في ضميره مما كنا نروج فيه حول العلم واهله ـ لاحول شيء آخر كما يتوهمه المتسكعون في غيابات الاوهام الخابطون في دياجي الاغلاط ـ لكن لايتاتى له الا كلمات قليلة مجملة كهذه الرسالة القصيرة :

منه إلي

أدام الله حياة سيدنا الاستاذ الفاضل روح العلم . وقطب الادب . وسلام عطر . يحف جنابكم من كل الاخوان المتعطشين لمحياكم . ولا تعطش الظمآن للماء .

(اما بعد) فماذا عسى يقول لكم أخوكم ابو الغالي بعد هذا الفراق الطويل . وهذا الشوق المتواصل . وهذه اللهفة الشديدة . التي لايزيدها بعد المسافة وطول العهد الآن ضراما .

ليس لنا ما نقول الآن ما قاله قديما زعيم الصبر والثبات والايمان بالنصر : نبي الله سيدنا يعقوب : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

عزاء في ركن العلم والعقيدة والايمان . الذي انهد منذ أيام . العالم الجليل سيدي عبد الرحمن بن القرشي الفاسي . وفي أخينا السلفي الذي سبقه منذ شهور . والذي اسفت لمصابه جميع الاوساط : الاخ الكانوني .

اما بقية الاخوان . فالكل بخير عموما . وعسى الله أن ياتي بالفتح أو امر من عنده . فنصبح بحول الله من المنتصرين .

٢٤ ـ ١ ـ ١٣٥٨ هـ

مني إليه

لا أحسبك تراني في المنام كما أراك أنا في المنام دائما . وفي اليقظة ان تمثلتك . فتمثلت خير أخ لي هناك . كان أول من عرفته فعرفت منه كل فضيلة .

ودادك غال يا أبا الغالي . ما مثله لعمري من يعتق الاخوان والاوداء بعدما استرقهم باخلاقه . فيقبل عبد الله صنوه الغالي من هنا قبلة حارة يتعطر بها الجو . ويطيب بها عمر كل واحد منهما .

ايه . قد مضت سنتان تامتان . ولم تزدني الآن تعلقا بالاوداء الاخصاء امثال أبي الغالي الذي كانت داره آخر دار وطئتها القدم في الليلة الاخيرة كما كان أول أخ مستفاد من (الحمراء) عشية يوم في فندق من بين الفنادق الفاسية . ويا رعى الله دهرا متى تذكرناه تذكرنا صفاء وعيشا أخضر .

ليت شعري كيف انتم . وكيف حالتكم . وكيف كل من كان بيننا وبينه الفة . ولكن مر الايام ولاء قد يجد كيف يسرب النسيان والسلو الى

قلوب اناس . ولكن قلب أبى الغالي وأمثاله . حصين لايزال يخفق لأودائه اليوم . كما كان يخفق قبل سنتين .

قد وصلني ما كانت اخوتكم دسته الىَّ . فمثلتم من المواساة دورا عظيما في صيف السنة المنصرمة . ولا أقدر أن أجازيكم الاّ بعقد الفؤاد على انكم خير ما يدخر للشدائد . ما دام الاخوان ينفعون في الشدائد .

ها أنتذا بقيت وحدك . فذهب أخوك الكاتب . وغادرك أبو سالم الاول ثم الثانى (١) ولم يبق لك الاّ أولئك التجار . فهل يمكنك أن تعيش معهم وحدهم . حقا بقى لك الاخ العربى الصميم (٢) الذى أهديه آلف آلف سلام طيب . ولن انساه أبد الآبدين .

أيقنوا أنه سيأتي يوم ان شاء الله . وأطال الاعمار . نجتمع فيه ونتراد خبر هذا الشوق اللافح المضطرم فى الجوانح . فياسعد الاوفياء اذن

كيف حال آكل الكسكسو بلا لحم (٣) فهل فقده اليوم . وهل يرسل بصره ثم يرتد حسيرا . فلا كسكسو الزاوية . ولا طواجينها بلحم أو بلا لحم

اذكرونا مثل ذكرنا لكم   رب ذكرى قربت من نزحا

انني فى سلامة وعافية . الاّ ما كان من الاشتياق اليكم لا غير . فانني منه فى مقيم مقعد :

لايعرف الشوق الاّ من يكابده   ولا الصبابة الاّ من يعانيها

أيها الشريف قبل عنى يد والدك الولى الصالح . واطلب لى منه الدعاء الطيب . واطلب منك أن تجيبنى فى الحين على يد هذا الرسول الامين عن كل شيء . فاكتب له كل ما يجول فى خاطرك . واذكر لنا كل ما أمكن ذكره فما فى كل يوم نجد رسولا مثله . ثم اطو الرسالة واخبارها الاّ عن نفسك ومن هو كنفسك . فلعلنا نلتقى عن قريب بحول الله . وانا خال من كل خبر مطلقا عن الاخوان . فاحك لى ما أمكن — واعرف معنى ما أمكن — اننا كنا تعارفنا عن صفاء . ولذلك بقينا كما كنا . وحالتى المادية لابأس بها والحمد لله :

خبز وماء وظل   ذاك النعيم الاجل
جحدت نعمة ربى   ان قلت انى مقل

فواشقاه اليكم أيها الاخوان .

كتبه عن عجل أخوكم : محمد المختار

---

١) ابرهيم بن على الالغى . وابرهيم بن أحمد ابن العم
٢) العربى بنيس : محتسب (مراكش) اليوم .
٣) هو عبد الهادى مكوار .

وكتبت الى الشريف أثناء رسالة - ذهبت عني الآن - ارتجالا من (الخ) ٤ - ٥ - ١٣٦٤ هـ :

أبعد بني الحق الصراح مرام ... وتحلو بذوق الشاربين مدام
فكيف يطيب العيش من دون وصلهم ... لمثلي ويحلو لي لدى مقام
يراد سلو القلب عنهم ودون ما ... يريد العذول يستطاب حمام
هم كل من أبغي فان فات نيلهم ... - ولا فات - فالدنيا على حرام
عليهم من أعماق قلبي تحية ... معطرة أنفاسها وسلام

منه إلي

. . . وأنا كذلك كثيرا ما اراك في المنام . واقضي معك ليالي . واعجب ما رأيت عنك : انني أخبرت بموتك . فذهبت للجنازة صحبة من ذهبوا . ووجدنا بباب دار الجنازة أناسا كثيرين يستقبلون الذين جاءوا للتعزية . فعجبت من حضورهم في جنازة (المجرم) مع أنهم أبعد الناس بعد السماء من الارض . عن طريقه التي يسلكها . وصرت أقول : ان المحقق أن هؤلاء القوم . لايعرفون شخص الهالك حقيقة . فقد غلطوا في الحضور . والا فكيف يتصور أن يعرفوا المتوفى ثم لايعرفون مبداه . لأنهم اناس ذوو مراتب ورواتب .

ثم انني دعيت لالقاء التحية الاخيرة عليك . قبل نقلك الى نعشك . فدخلت عليك وأنت على المغسل . فلما اهويت لأقبل جبينك فتحت عينيك وصرت تضحك ضحكا كثيرا . وتهزأ بمن يقولون انك ميت . فانتصبت قائما تحدثني في فرح كثير . فعند ذلك رفعت صوتي مناديا في القوم : ها هو ذا انظروه . انه ليس بميت . ها هو ذا يهزأ منكم . ثم استيقظت تحت تأثير هذا النداء المرتفع فلا تسأل عما حصل لي من الفرح بحياتك . بعدما اتفق الناس على موتك فصاروا يغسلونك . فهل رأيت قط مثل رؤياي هذه .

وفي رؤيا أخرى : جئت الى (الخ) صحبة المقيم العام «نوكيس» واناس آخرين . لأجل تسريحك . وفعلا رجعنا بك راكبا في سيارة المقيم . بعد ما انعقد اجتماع الحت عليك فيه بتقديم مطالبك . والدفاع عن حقوقك لدى المقيم . وأنت واجم لاتتكلم . وأنا أمعن في غمزك بأصابعي في فخذك وأقول لك : أطلب من المقيم . فانه جاء لقضيتك . ثم اننا رجعنا بك صحبتنا في فرح وسرور لايكيفان .

اما حضورك في قلوبنا يقظة . وتمثيل ما مر بيننا من صحبة صادقة فذلك شئ قار ماثل أمام أعيننا لايكاد يفارقنا لحظة .

في كل ساعة نجرى ذكراكم . ونتصور محادثتكم . فيلتهب الشوق في الجوانح فنأمل رؤيتكم في كل وقت انا والاخوان المخلصون . مثل العربى فهل تسعدنا الايام بذلك يا ترى . ومتى يا رباه .

أما والدتى التى كانت تحبك محبة صادقة . فعظم الله فيها اجرنا جميعا . فقد لحقت بربها من شهور . فقد ذهبت ولم تسعد بعد برؤيتك . ورؤية ابن عمها ابى المزايا (١)

وأما النجل عبد الله فالمولى سبحانه هو المسؤول ان يقر به العين وأن يجعله طبق رجاء والده فيه وكفى . ووالدته كثر الله تيهها ودلالها عليك (٢)

هل العيش الا ان تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والاعين النجل

ووالدى يدعو لك دائما . وأما أنا فيعلم الله وحده مقدار شوقى الى حديثك العذب ومجالستك الممتعة . فوا أسفاه على هذا الفراق الممتد .

وأما صاحب الكسكسو بلا لحم فهو الآن يرتجى بكل جوارحه لو وجدك ويانس بك . ثم يسلم لا في الكسكسو بلحم وبلا لحم . فتقبل فائق احتراماتنا جميعا أيها الاستاذ .

صفر ١٣٥٨ هـ

مني إليه

ألف ألف تحية على مقامك . يا من جاءت هذه النوائب التى دارت فأملت بغاية الافصاح انه من أوفى الناس للناس . وانه الخل الصفي الوفى الذى لاينسى أوداءه الغرباء المنفيين . وان تطاول العهد . ودارت سنة فسنة !!!!

كاين من أوداء هناك . يودون لو يجدون الى متسربا . كما أود لو أجد الى مكاتبتهم بابا . ليمثل بيننا الوفاء العالى المنزع طورا عظيما يبقى خالدا ما بقى الاخاء يمت بين الناس برحمه . وما دامت الصداقة تمازج بين القلوب ثم تقترح أن تبقى كذلك . وان زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض اثقالها . لكن أبى الله الا أن تبقى هذه الصفحة منشورة لقليلين لعلك كنت في طليعتهم يا من وفى بقلبه وبيراعه . وبجيبه وفاء سموأليا لاينسى أمد الدهر :

---

١) الاستاذ ابرهيم الكتانى . وكان اذ ذاك معتقلا .

٢) يشير الى القصيدة البائية الموجودة فى الجزء الاول من (الالفيات) .

كذا فليكن بين الاخلاء ذو الوفا   بماذا تجـازى يا اخا كله صفا
ومن لم يكن وفاؤه فى اخائـه   فعرفانه نكر ووجدانه عفا

(اما بعد) فماذا اقول لك يا أخى عما يكنه الصدر . ويغلى به القلب ويجيش به الفكر . ويدور فى الخلد . فان قلت ان شوقى فياض اليك وان النوى بلغت بحز مديتها مبلغا عظيما . فان ذلك كله تعرفه ـ ومن القلوب على القلوب دلائل ـ وان قلت اننى أتشخص دائما وجودك ـ أنت وكل من تعرفهم من الاخوان المخلصين ـ معى مناما ويقظة . فذلك ما تجده ايضا أنت وهم من نفوسكم ـ كما كتبته من رسالة جاءتنى فى مثل هذا الشهر فى السنة الفارطة ـ وان عجت الى اننى بعد كل جيشان أحس بشدة غليانـه أرجع أمرى الى ربى مفوضا مستسلما . موقنا أن الخير فيما كان . وان الله لايفعل بعبده الا خيرا . وهو الذى سبقت رحمته غضبه . فان ذلك ايضا ماكنت تعرفه منى غاية المعرفة . بين كوارث كانت تعركنا هناك فى(الحمراء) لايحس بها الا أنت وقليل ممن لهم شعورنا الخاص . فلم يبق عندى اذن ما احدثك به من جديد عن أخيك الا أن أقول لك الجملة المعهودة فى الرسائل : ان الاحوال كلها بخير وعلى خير . ناكل طيبا ونشرب طيبا . ونلبس طيبا . وأزيد اننى لا احس حولى بحسود ينسج الاحابيل . ولا احترز من (عين) يداخلنا لايمكن لنـا ان نتجنبـه فنقيه فى كل مدارج الاحاديث ـ كما كنا هنالك مـع بعض من تعرف بـل اننا هنا فى حالة صوفية هادئة . يعلوها التؤدة والوقار . والاحترام والاجـلال وتقبيل الاعطاف . ثم السعيد من صادف منى ابتسامة له . او كلمة واحدة وقلما يصادفها منى كثيرون ممن يحومون فى زاويتنا . لان القالب فى واد وانا فى واد . ثم اننى مع كل هذا لاخليص لى يفضى الى بكل شىء حتى أعرف ما عسى أن يكدرنى مما لايخلو حول بشر ايا كان . كما اننى اليوم متعود على هذه الحياة التى تدربت عليها منذ ثلاث سنوات .

فقلت لها يـا عز كـل مصيبـة   اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

حقيقة لا أعدم أحيانا من أفضى اليهم ببعض شىء . او يفضون الى ببعض شىء غير ان ذلك تعلوه سذاجة سميكة . اما من آثار الاحترام الذى يكون اطارا حول مثلى . كفقيه وقور مظلوم غريب تشير اليه كل الاصابع . كما تشير الاصابع من الفلكيين الى مدارات الافلاك . ثم لايدركون منها ـ وان أمعنوا بانظارهم ومكبرات مراصدهم . واشارات أصابعهم ـ الا ظواهر تافهة . لاتسمن ولا تغنى من جوع . واما من آثار كونى غريب الزى لايزال على وسم الحضر ـ وعلى عينى النظار . حتى ليشده البدوى الذى يلقى على أول

مرة طرفه . فيقول : من هذا الانسان . ثم لايزال يجول هذا السؤال فـي نفسـه . حتى يجد من يفضى اليه عنى بما يعرفه عنى كل أحد من جيرانى واقاربى وسكان قريتى . بل طار عنى كل مطار .

انني أحيا حياة فردية ما كان أولى أن يحياها من كان صوفى النحلة لم يتشرب بعد روح الاجتماع . ولم تمتزج قبل محبة المحادثة مع اخوانـه ومحبة مباحثتهم بقلبه . فهذه الحالة غاية ما يتطلبه من ياوون الى الخلوات . ويتزوون فى المغامرات . لتصفو نفوسهم . وليجدوا مختلى لأفئدتهم . حتى لايسمعوا بحس ذباب . ولايطرقهم طارق خاص :

عوى الذيب فاستأنست بالذيب اذ عوى وصوت انسان فكدت اطير

آمنا بالله وبتصاريف الاقدار . فيعلم الله ـ وأمثالك من المطلعين ـ انني امرؤ خلقت للعلم وحده . وأجد فى المباحثة فى مسائله كل سؤل . وانا كاديب تغلب علىّ المفاكهة والموانسة والابتعاد عـن التجهم والقطوب . كذلك كنت ازمانا . ثم لما دار الدهر دورته . انعكست القضية فأدانى الحال حتى غلب علىّ الانقباض والاختلاء وحدى . ودفترى على ركبتى . والدواة عن يمينى . واليراع يتحرك فى أصابعى . من مطلع الشمس لغروبها . ثم تبتدىء السلسلة أمام السراج . فلو كانت عندى هرة . لصح فى ما قاله أحد الادباء قبلى :

يقولون كيف حالك قلت خير تقضى حاجة وتفوت حـاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
سميرى هرتى وأنيس نفسى دفاتر لى ومعشوقى السراج

تشابهت الايام فـى نظرى . وتماثلت الشهور فى حسابى . فقلما أعرف تغير الجو . أو استدارة الفلك . الا بانتقالى من مقعدى فى الصيف الى مقعدى فى الشتاء . كما انني أصبحت لا أرجو يوما استبدل فيه معتادى من ألفة الكتابـة ومناغاة اليراع . حتى فـى الاعياد فانها عندى أيام كسائر الايام . لانني لا أرى فيها الا عبد الله وأم عبد الله . وصبيان اخوتى . والمنقطعين الى الزاوية . فلا جديد يهتبل به . أو يشتاق اليه . ولا مترقب يتطاول اليه بالاعناق فالدهر كالدهر والايام واحدة . وهل تحس لأحدها من شية :

خليـــلى لا فطـر يسر ولا أضحـى فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

لاتحسب أيها الاخ انني وسط هذه الحياة أكون دائما ـ كما تتخيل ان قرات هذه الاسطر . قياسا على نفسك أنت الذى لاتزال فى ذلك الوسط ودام لـك وسطك الهنىء ـ بائسا حزينا مكتئبـا عبوسا قمطريرا مكفهر

الاسارير . مسود الحياة مرير العيش . فان الواقع أنني بعدما وطنت نفسي على اختيار ما اختارت لي الاقدار . وما كان سبق به القضاء في الازل . يفجر الله لي أحيانا في وحدتي منابع من الانس متنوعة . فتارة اناغي القوافي . وتارة اراجع وأكتب وأؤلف . ومرات أكب على تصحيح غلط وقع لمن قبلي ممن كتبوا حول رجال هذه الناحية فيكون مجتمع هذا : افقا يشع بالسعادة علي . وأنا أتنقل من هذا الى ذاك . تنقل المتجول بين أصص الازهار المختلفة الالوان . الفائحة الريا . المصطفة في المنتزهات . فأجد من الروح والطمانينة والابتهاج وسكرة ما انا انجح فيه ما يخيل الي أنني أسعد الناس في هذه الحياة . وقد قلت في هذا :

كيف يشكو الاديب في الصدر ضيقا ... ولديه دفاتر الآداب
فهي نعم الاصحاب ان خانه الدهـ ... ـر وانأت من لقا الاصحاب
صيقل العقل نزهة الاعين الزهـ ... ـراء مشهى الآكال والاشراب
بل رياض ترف بالزهر الضا ... حك في الكم من بكاء السحاب
تتملى منها بما هو أحلى ... من رضاب المفلجات العذاب
متع العيش كلها مستمما ... ت لمن يغتدي جليس الكتاب

ذلك ويزيدني انشراح الصدر . وبهجة القلب . وقرة العين . كفاية الجيب التي تحصل لي من كرام انا مدين لهم بحياتي كلها في هذا المنفى . فلئن عشت لهم ليرون مني على رؤوس الاشهاد شكرا يملأ ما بين الخافقين (ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله) :

قل لبني الدنيا الا هكذا ... فليفعل الناس مع الناس

(وبعد) : فقد كنت طوال هذه السنوات كثيرا ما تثور علي نفسي وتنازعني بالذكريات لمن هم شمالي الاطلس . وكنت أجد دائما وعودا بذلك فكنت أتوقع انفكاك العروة بما يريده الله . والى أي جهة يريد . ولكن لما جاء سبتمبر السنة الماضية بما جا من الحرب . أدركت أن السياسة تقضي بابقا ما كان على ما كان . الى أن ينجلي الميدان . فكفكفت من غلواء الرجاء . عازما على الصبر الى الوقت الذي يريده من له حقيقة تصاريف الاقدار :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ما كنت قط شاكا في أن الله أراد بي خيرا كثيرا في كل ما فعل . وهذا هو باطن عقيدتي منذ صبيحة ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٥٥ هـ ولكن النفس الامارة . والطبع البشري . قد يجيشان كما يجيش موقد القطار بالبخار والدخان . ومن هذا قواف لي غير قليلة . لم تكن الا بنت وقتها وزفرة حينها . ثم ترجع تلك العقيدة الى موضعها :

شكـوت وما الشكوى لمثل عادة ... ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

وقد يقرأ قارىء تلك القصائد فيحسب أننى أذوب جزعا . وأترنح هلعا . وأكاد أفيظ فرقا . وأتميز حزنا . مع أننى كما قال القائل :

تنكر لى دهرى ولم يـدر أننى ... أعز واحداث الزمان تهـون
فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه ... وبت أريـه الصبر كيف يكون

وكما قال بعض السوسيين . وهو اخوك :

كم من مصائب لا يقر لها الحليـ ... ـم تقض منه فى المضاجع جانبا
يمسى ويصبح فى هموم لم تكن ... لتغادر الجلمـود الا ذائبـا
قابلتها وجها لوجه ضاحكا ... فكأننى لاقيت منها صاحبا
أوسعتها صدرى الرحيب فلم ابل ... منهـا بموج ليس ينفك صاخبا
بتجلد الجلد المنجذ لا يقلـ ... ـقله المصيب وان عذابا واصبا
حتى أرى منها الفكاك واننى ... مازلت مرتفع الجبين مغالبا
عنى فانى من دريت وان تسل ... كل البطاح مقانبا وقواضبا

اخـــــى :

ان فى الكوارث للانسان مسنا شحاذا . وان فـى ميدانهـا وتحت عركاتها تجارب عظيمة القيمة . وأرى أن كل من لم يعركه الدهر . ولـم تضغطه الحوادث . ناقص الرجولة . ضئيل التمييز . ضعيف الحزم . فاتر العزم . فائل الرأى . لاينبغى أن يعتمد عليه فى المهمات . ولا أن يستند اليه يوم تدعو الايام نزال . فانه سرعان ما يظهر منه ما عسى أن يظهر من خور فى جهة من الجهات وان كان ابن جلا . . .

ان لم يكن فى الحوادث الا تربية الصبر فى الانسان . والرجوع به الى الايمان الحقيقى الذى فطر عليه أولا لكفى . وما تربية خلق الصبر ولا الرجوع الى الايمان الصافى . الا من الدعائم الكبرى للمرء فى هذه الحياة المفعمة بالجلاد المستمر من المهد الى اللحد :

فيا مرحبا بالخطب جاء يدوسنا ... اذا كان بعد الخطب نظفر بالحق

واما ان اعتبرت تجربة أودائك . وادراك مقدار كل واحد منهم فى صدق الود وصفاء الاخوة . ومتانة الاخلاص . لتعرف منهم من هو مثل المولى أحمد الشجرة الكريم . فانها بمثابة المصفاة التى تميز بين الزبد وبين ما ينفع الناس (فاما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض)

جزى الله الشدائد كل خـير ... وان كانت تغصصنى بريقى
وما شكرى لها مدحا ولكن ... عرفت بها عدوى من صديقى

وأقول عودا على بدء : اننى بكل خير . الا ما يهزنى اليكم من الاشواق التى تهب أحيانا كالاعاصير . ولكن بقدر هذا الشوق . يكون فرح اللقاء غدا ان شاء الله . فقد قلت :

بقدر مرارات الفراق لدى النوى — تكون حلاوات التلاقى لدى الوصل
فلولا الظما ما استعذب الماء شارب — ولولا الطوى ما لذ طعم لدى اكل
كذا مضت الدنيا وأحوال أهلها — تواطأت الاضداد فى الترك والفعل

كان من الصدف أننى قرأت فى (السعادة) صبيحة اليوم الذى توصلت فيه برسالتك خبر رياسة الاستاذ ابن عثمان على الجامع اليوسفى فلم أملك أن ابتهجت لشيئين احدهما أننى - والحق يقال - أرجو من سعيه فى ترقية تلك الكلية ما لم أكن أرجوه من كثيرين غيره هناك شيبا وشبابا لانه ذكى . جال وعرف كيف يؤدى مسؤوليته . لينال الفخر والشرف . وما هذا بمتوفر فى غالب الذين يعيشون اليوم فى (مراكش) وثانيهما اننى احسست بشمم ملأ ما بين جنبى حين لم أنفس عليه منصبه الرفيع . مع أن كثيرين ينفسونه عليه من أقرانه . فقلت : الا تحمد الله يا مختار حين مسح قلبك مما تكتظ به أفئدة كثيرين من الناس .

وأظلم خلق الله من بات حاسدا — لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقد رايت فى (السعادة) أيضا أنه أول من فتح الادب فى (الحمراء) وأحيا دراسته . . وانه . . وانه . . وانا أتيقن أن المحيى فى الحقيقة لـ (الحمراء) هى تلك الاعمال التى كان لك فيها أيها الشريف يد طولى . ومواقف مشهورة . وآثارها لاتزال ماثلة قائمة تؤدى عملها . وهذا ما يعرفه كل احد - وما يوم حليمة بسر - ونحن اليوم مسرورون بالنظام وبرئيسه الجليل يسر الله على يده ما كنا نبتغيه من أمثاله المثقفين الفضلاء والرجل ذو تأثير وذو شعور حى وهو عندى - واكرر هذا - أفضل من كثيرين غيره . ولا ينبغى لى أن اغمط الرجل حقه . وان كان ما بينى وبينه - على ما يقوله الناس - غير صاف . لان لكل واحد منا وجهة . ويكفى أننى حين كنت فى (الحمراء) لم يكن لى منه ولا من غيره عدو يقاوينى امامى . بل الكل يسلس وينقاد . ويتكلم بالجميل . واما ورائى فلينضح كل اناء بما فيه .

لقد أطاعك من يرضيك ظاهره — وقد أجلك من يعصيك مستترا

واننى لأحس الآن من نفسى انها تسامح كل احد مسها بسوء عمدا أو غلطا ومن لم يعذر الناس فليس من الناس . وقد قلت قبل اليوم :

أغض وسامح واعرض — فلا نام معاذر
فليس يحيا سعيدا — من لم يكن جد عاذر

(ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم)
(ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)

تحبب ذوى الاضغان تسب قلوبهم ... تحببك القربى فقد ترقع النغل
فان ظلموا بالكفر فاعف تكرما ... وان غيبوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذى يؤذيك منه سماعه ... وان الذى قالوا وراءك لم يقل

يجب علينا كمسلمين مهذبين أن نحمل أعمال الناس محامل حسنة وان لانقابل من عسى أن يسىء الينا باساءة أخرى . والا فنحن اذن لسنا برسل الخير . ولا ببرد الرحمة . ولا بشاعبى القلوب المنكسرة . وان كان ينبغى لنا أن لا نلدغ من جحر مرتين . . .

ايه . . . أحسبنى طولت عليك ايها الاخ بعبارة بدوية ساذجة كانها مقتبسة من ترسل القرون الوسطى . فسامحنى فى هذه الكلمات . فانت الذى اقترحتها . وجعلتنى من البخلاء بالكلام - فى رسالتك الاخيرة - كانك نسيت اندلاق لسان اخيك فى تلك المجالس التى كان يسمر فيها معك او نسيت ان اليراع أخو اللسان . فكل من الف لسانه أن يطيل . فاحر بيراعه ايضا أن يطيل .

أعزيك فى الوالدة التى نبأتنى فى السنة الماضية بانتقالها الى جوار ربها . فاننى كنت دائما أجلها كأم . ولا تنس أنها كادت يوما تكون لى بنتها أم أولادى . لو كان ذلك مقدرا . فليرحمها ربها . وليبارك الله فى الوالد وفى ولده الجديد الذى يزعم والدك أنه افضل منك . نعم ؛ ربما يكون افضل ولكن هل يكون أكرم - هيهات !!!

ثم ان ولدى عبد الله المستتم الآن سنتين ونصفا . يقبل أخويه الغالى والغازى الجديد . وأختيه : مارية ولطيفة . ويود لو يجد أجنحة ليطير اليهم ليداعبهم بلهجته السوسية الشلحية . ويداعبوه بلهجتهم الفاسية العربية . ثم اننى أقول ارتجالا مضمنا للبيت الرائع :

أحن اليكم كلما عن ذكركم ... ولا خير فيمن لا يحن لدى الذكر
فياليت لى ريشا أحلق فوقكم ... كما حلقت من فوقكم سبق الطير
تمثلكم فى منظرى الشمس فى الضحى ... أو الروض ان وشته واشية الزهر
(فيا شوقهم زدنى جوى وصبابة ... ويا سلوة الاحباب وعدك فى الحشر)[1]

واما أم عبد الله التى ذكرتها فى رسالتك من صفر فى السنة الماضية . طالبا من الله أن يكثر تيهها ودلالها علىَّ . فان دعاءك مستجاب . فلا تسل عما فعلته لواعج الهوى باخيك من صيادة القلوب :

---

[1] الاصل - موعدك الحشر -

ته دلالا فالحب قد أعطاكا وتحكم فالحسن قد ولاكا

فكلما أجلت منها النظرات في الوجنات . تتابعت الزفرات يأخذ بعضها بذيل بعض :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

وكأنني بالمولى أحمد المنجرة قد سقى من الشريفة القادرية أيضا بمثل هذه الكأس :

لا تخف ما فعلت بك الاشواق واذكر هواك فكلنا عشاق

أمثل هذا (الاحماض) ـ كما ذكرت في رسالتك ـ هو الذي تريد أن أتلهى به في هذا الوقت العصيب . أم تقول انني كاذيب لايمكن أن أخلو من هوى يتخلل مسالك الروح :

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني نسيم الصبا من حيثما يطلع الفجر

(هذا) وان أخاك لو كان في عصاه سير . أو كان يجد من السعة ما يتمنى لألقى اليك كل عجره وبجره . ولكن نكتفي الآن بهذا . ولعل فيه كفاية . ويكفي من العقد ما أحاط بالعنق .

١٥ ـ ٢ ـ ١٣٥٩ هـ

منه إلي

حضرة الأستاذ الكريم : محمد المختار . حفظكم الله ومتعنا بحياتكم وسلام عليكم ورحمة الله . ما ضحكت الارض من بكاء السماء . وما حنّ حبيب الى حبيبه . فابتهج ليوم يتيسر فيه اللقاء .

نذكر اللقاء ونكرره في كل فرصة . وبودنا لو تسمح به الايام . فذلك أعظم ما يؤمله الخل ويرتجيه . وينتظره بفارغ الصبر ويشتهيه .

عزيزي ؛ ماذا عسى أن أقول لك . وماذا أحكيه بعد رزيتنا العظمى بالاخ الحاج حماد التازي رحمه الله فلقد كانت رزيتنا فيه عظيمة ومصيبتنا به شديدة . فانا لله وانا اليه راجعون .

(وبعد) فكيف حالكم وكيف حال الاهل والنجل عبد الله حفظه الله . والى اين وصل في الدروس . فهل تمتعه بحنان الابوة . ويمتعك بمرح الطفولة . وأرجوكم أن تقرؤوه سلام أخويه : الغالي والغازي معا . وأما أحوالنا نحن فالكل بخير الا ما كان من الشوق اليكم . ففي كل يوم يكثر ويزيد .

والرجاء منكم أن تجيبونا ولو بكلمة . وهى منكم غاية البخل . وما عهدى بكم بخلاء (١)

٥ ـ صفر ١٣٥٩ هـ

مني إليه

أبيت الا أن أتمثل من صفاء الوداد ومن الكرم السعدى لا الحاتمى ـ وقد نسخ الاول الثانى تدفقا ـ ما تركتنى به أحجم عن أن أراسلك من جديد . لانني وقعت فيما قاله المعرى :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط فى الخصر

يشكركم الولد عبد الله . وأم عبد الله . وأبو عبد الله غاية الشكر . الذى تصرح به الالسنة . وتطفح به الجوانح . وترقص به الافئدة . وتتبختر فى رقمه الاقلام .

أفى كل يوم هدية جديدة . أفى كل يوم تتنوع فى الذى تواليه . فقد اكتسينا كلنا من كساك . وامتلأت جيوبنا من دراهمك . كما انشرحت صدورنا من هذا الوفاء الذى يقل مثله . فرويدك أيها الاخ . فوالله انى لأسبح فى بحر احسانك حتى كدت أغرق فيه . وليس هذا بتملق . ولا بعبارة مستزيد يسر الحسو فى الارتغاء . ولكنها كلمة شكر فاض بها القلب فخطها اليراع . ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

توصلت بكل ماجاءنى فىأول هذه السنة . حتى الثمانون ـ وبلغتها ـ كما توصلت بكل ماجاء مع الحلوا' . وكما توصلت أخيرا بما جاء على يد سالم ولا أحتاج الى ذكر ذلك تفصيلا .

بم ذا أجازى يا رباه أفراد شعبى . والمخلصين من اخوانى . فقد مد الىَّ الدهر برثنه مد المستطيل المستأسد . الذى يريد أن يقضى علىَّ قضاء مبرما . ثم بادروا الى ما حولى . فوقفوا مصطفين يدافعون من كل ناحية حتى وقف الدهر وقفة المغلوب .

تغطيت من دهرى بظل جنابه فعينى ترى دهرى وليس يرانى

انى لأعجب منى ومما يدر علىَّ من أيدى اخوانى من ألوف الدراهم . لامن المئات فقط . فالتفت الى ما حولى . فيرتد البصر مغتبطا مما يحفنى من نعم الله المتزايدة . فاللهم حمدا وشكرا. اللهم حمدا وشكرا. اللهم حمدا وشكرا فليحى الوفاء . وحسن العهد . ومتانة الاخا' . وصفاء ما بين القلوب .

---

١) هذه الرسالة كانت أتت قبل الرسالة الكبرى المتقدمة .

في هذه السنوات . مر بيدى ما لايعرفه الا أنا وحدى بعد الله الذى لاتخفى عنه خافية. وأود لو كنت في الحقيقة في مكانة استحق بها هذا الاعتناء الزائد . والاستظلال بهذا الظل الوريف . أم انما كان هناك وفاء دارت منه كؤوس مترعة على اخوان الصدق . فارتاحوا بسكرها الى ما لم يطف حوله حتى وفاء السموأل المضروب به المثل .

أيها الاخ : انني أكتب اليك الآن في غرفتي وحدى . وأفضيت اليك بما كنت أفضي اليك به لو كنت ازائي تحدثا . وأنا اوقن أن كوني في هذه المنزلة مما يزيدك اطمئنانا على أخيك من هذه الجهة على الاقل . الى أن يدور الفلك بما نقترحه دائما من انطواء البين . ونشر الوصل .

ليس عندى جديد أنبئك عنه . لان حياتى على لون واحد . الا ما كان من مرور موسم الفقراء الذين يفون كلهم لأخيك ابن شيخهم على نمط وفائك أكنت من الفاهمين . فالنجل يقبل أخويه واخته . ويترامى في احضان ابى الغالى وأم الغازى . لينال حظه من الدلال عليهما .

استغفر الله . عندى جديد لابد أن أخبرك به . وهو انني أصلحت محل سكناى اصلاحا يمكن لو دخلت اليه وأنت ابن المدينة الفاسية أن لاتفقد فيه من مواد الحياة المألوفة عندك ما ترتاح اليه . نظافة وحسن هواء وضربت هذا فالا لعل الدهر يعاكسنى على عادته معى فانتقل عنه اليكم . كما وقع لى عندكم . فلم أكد أتم ما اشتغل به عندكم اصلاحا حتى لوى بى عنه وقديما قال الشاعر :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

اننا نجيل أعيننا في الجو وقد اسفر النهار . وننتظر طلوع الشمس لتحل النافلة . فمتى نصلى الضحى منى .

ألف سلام على صهر أهل (الجديدة) رزقه الله أولادا صالحين . وعلى صاحب الكسكسو. فواشوقاه . وعلى الوالد حفظه الله . وعلى أبى عرفة وولده وغيرهم .

٢٥ ـ ٧ ـ ١٣٥٩ هـ

مني إليه

وقد أرسل الى الاخ المنجرة . كتابا مع هذا الحامل فوجدت في دفته الاخيرة نتوءا تحت ورقة ملصقة بها . فاذا تحت الورقة أوراق حمراء انتفخ بها الجيب وانتفى بها الفقر الذى كان معلنا عنه في قطعة اولها :

يا ليت شعرى والافكـار دائرة بعض الاحايين بالآمال جمعاء (١)

فقلت مرتجلا :

تاب الزمان فعـاد الجيب منتفخا من راحة بمعين المال سحاء
أفضى الكتاب بذيل فـى مجلده نبع أمانى لى جمعاً كتعاء
ذيل تلوت به الاوراق قانية ذوات ألف كما الوجنات حمراء
فيها البلاغة للتالى مجسمة لازلت للورق المحمر تـلاء
أتلوبها النثرجزل اللفظ يرقصنى معناه ؛ أو قطعا فى الشعر عصماء
كذا كذا فلتكن كتب الصداقة؛ لا كتب ترى بينها الاسطار جوفاء
القلب فى الجيب من يبغ القلوب يمل المجيب يلف القلوب فيه جمعاء
اليوم عاد جبين الدهر منشرحا بل وجهـه كله قـد عاد وضاء

كما قلت أيضا يوما آخر فى مثل هذا الموقف الـذى أتوصل فيـه بروح الحيـاة :

الحمد لله زال الفقر والكمد وانزاح عنى الاسى والضيق والنكد
كيسى تدفق والاشغال مؤنسة والكتب تسند والتاريخ لى عضد
قـد استرد جبينى بشره فغدت روحى تطيب بما نفسى له مدد
انى من اليوم فى بشر وفى فرح ممـا سيبدو به للقارئين غـد
فالحمد لله حمدا دائما أبدا حمد الالى من ثنايا قلبهم حمدوا
لولا أدكار يعنينى لما التفتت عينى ؛ ولاجال فيما لا أرى خلد
لكن قلبى أبـى الآ الوفـاء لمن ان زايلونى يزايل روحه الجسد
لاكنت يوم أرى فى القلب من وهل عنهم وطيف ذهول دونهم يرد

٢٦ ـ ٧ ـ ١٣٥٧ هـ

منى إليه

ليتنى اتوصل الى مكاتبتك فـى كل حين . فاننى ـ والله يشهد ـ لاجد فيها من اللذة والغبطة ما لايجده الظمآن فى الماء الزلال . ولا العاشق الولهان فى الوصال مع غيد ملكته الصبابة بهن . فمنذ اسابيع رقمت اليك مكتوبا ربما وصلك قبل هذا . وربما كان هذا هو السابق . وايا كـان فلنحمد الظروف التى هيات بيننا هذا الاتصال . وخصتنا به دون كثيرين ممن يشتاقون الينا ـ نحن المبعدين ـ ونشتاق اليهم غاية الاشتياق .

ان العالم اليوم فى تموج هائل . والافكار فى بلبلة من جراء نتيجة ما يتلظى به الجو . وأخوك فى غرفة هادئة ساكنة . لايطرقه الآ أم عبد

---

(١) قطعة مرت فى (الجزء الثانى)

الله وعبد الله . وخادم صغيرة تدور بنا . فأشاركهم أحيانا فيما هم فيه . وأحيانا انفرد بنفسي أمر أمام خيالي ما نحن فيه جميعا : أنا ونحن وأنت وانت وأنتما وانتم وانتن . وهو وهي وهما وهن . مما لايخفى عن أحد . وأقول : ليت شعري : كيف تطلع علينا شمس الغد . وما هو حظنا فـي المستقبل . فهل يمكن لنا يوما ما أن نجول في الاسواق التجارية كما نريد وأنت تدري المقصود بهذه الاسواق .

حقا . لقد استولت علىّ هذه الافكار الهائجة . منذ هذا الوقت في السنة التي يختمها هـذا الشهر . حتى انني انتبذت حتى عن مسامرة الدفاتر ومناجاة المحابر التي يلهج بها وحدها الفؤاد . فلم أكن قط أستطيع الانتباذ عنها . وان كان ما كان . غير انه أتى الوادي فطم على القرى ..... ثم انا مع هذا ممنوع من كل ميدان أجول فيه بكل ما أوتيت من حـول . مع انه كانت لي قوة . كنت أعدها لمثل هذه الساعة .

بحسبي هذه الكلمات اليك . لتدرك ما فيه أخوك الغريب الذي ضاع راس ماله . فكيف بالربح الذي كان ينتظره . ثم هو مع ذلك ممنوع من معاطاة اية تجارة كيفما كانت . ومدفوع عن مخابرة اي صاحب مركز تجاري كبير من التجار المعروفين بمعاملة مثلي . فلله الامر من قبل ومن بعد .

ليت شعري كيف أبو ليلى (١) وصحبه . أما تبسم لهم الزمان . أما يرتجي فتح الباب لهم . أم لاينفك الدهر الخؤون متماديا في غلوائه . عادته مع كل التجار أمثالهم الذين انقلب عليهم الدهر . ولعبت بهم تصاريفه .

لقد فرحت كثيرا باتصالي هذه السنة – منذ أسابيع – بكثير من أنباء تلك البيئة . خصوصا مايتعلق بفلان وفلان . كصاحب ابن أبي سليمان (٢) الذي كان فاسيا حينا . ثم أزير مع صاحبيه ما أزير . وقد كنت في جهل عميق من كل ذلك . كما كنت في جهالة أعمق من غير ذلك . وان أنس لاأنس ابتهاجي بثبات التجار على المعاطاة في دكاكينهم مع ما يصيبهم من عـدم اقبال على سلعتهم . لانني أعلم أن اليوم خمر وغدا أمر – كما قال الشاعر الضليـــل .

كيف أبو عرفة ونجيبه . وصهر (الجديدة) الذي أنا اليه في ألف شوق . رزقه الله سلالة طيبة . وأعاد اليه الكسكسو بلحم أو بلا لحم . فليت

---

١) علال الفاسي الزعيم

٢) هو الملاَّخ صاحب الحاج محمد بن داود الفاسي . وصاحباه مولاي عبد الله ابرهيم . وعبد القادر حسن .

شعري متى أرى الجميع . فانهم بلا ريب لايزالون كما أزال أوفياء للمودة الصافية التى كانت كؤوسها تدار بيننا دهاقا . يوم تروج التجارة . وتفتح لنا أبواب الارباح على مصاريعها .

ارتجي أن لاتفصم ما بينك وبين صاحب ابن أبي سليمان . وهل حقا راج على يده وعلى يدى صاحبيه ذكر لي بين ذكر التجار الذين أبعدوا بالافلاس عن متاجرهم . افض الى بذلك . وهل حقا أذيع قط اسمي بين الاسماء الذين . . . أفض لي بكل ما هناك . ودع الايجاز . واخبرني أهناك خبر عن صنوى وكيف مركزه هناك . لقانا الله في ساعة سعيدة .

ان عبد الله الآن وأنا أرقم هذا يقفز قفزات المرح . ولم يبق له الا الغد ليستتم ثلاث سنوات ٢٣ ـ ٨ ـ ١٣٥٩ هـ وقد اعتدنا أن نقيم له عيدا كذكرى ليوم ميلاده . وحيث لايمكن لأخويه الغالي والغازى أن يشاركاه هنا في الخبز واللحم . وأنواع الاطعمة . فها هى حلواء بلدنا ـ تمر ـ يصل الاخوين . كحظهما من مادبة الحفلة . وسيلبس الجبة والفوقانية اللتين اتحفاه بهما . كما انه لاينسى اختيه مارية ولطيفة . وابن الاخ الذى يتجلى واقفا ازاءهم في الرسم .

أسلم على الوالد المبارك . وأتطلب منه الدعوات الطيبة . فلأمثاله في حياة التجار حظ وافر . بل لولاهم لما قدروا أن يقفوا مواقف لايقفها من لم يتصلوا باصحاب الارواح الكبرى . ولله الحمد .

لازائد عندنا جديدا . الا أننا في قفر بعيد عن العالم . لا نبأ يصل الا بعد أن يبلى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) على أن الجاش قد يجيش فاقول :

أريني سلاحى لا أبا لك انني ... أرى الحرب لاتزداد الا تماديا

فهل أرى مواسم التجارة . فأسواق الربح تمر أمامى . وأبقى بافلاسى في منتبذ حرمت فيه حتى الامانى التى هى رأس أموال المفاليس .

بودى أن لو أطيل . وبودى أن لو أمكن لي أن أكتب بالعبارة التى تستحق ن تحمل أفكارى التى . . . ولكن . . . وهل نعيش حتى تبتعد من عباراتي كلمة لكن . . .

ان احتج الى شيء فانما أحتاج الى مالكة مسهبة منك تضم كل شيء تذكر فيها ما أمكن من أحوال التجارة التى تعرفني مهتما بها . والسلام .

٢١ ـ ٨ ـ ١٣٥٩ هـ

وكتبت اليه ابشره برفع الحجر عني في (سوس) :

ايه ؛ هذه ستون شهرا قد تصرمت كلها كما ترى بينا شتاتا وفراقا ممضا وتقضت كلها بصدور تلتاع أشواقا ملتظية . وذكريات متى جاشت فكانما جاش بركان هائج من براكين احدى الجزر اليابانية التى كانت تهيج بالبراكين . فتذهب ببعض ديار . ثم صارت اليوم تهيج ببراكين تذهب بأم فامسم .

أترى الزمان يميل اليوم الى تقريب شقة هذا البعاد فصار يبرهن لنا عن ذلك بما تلقيته في : ١٣ ذى الحجة الماضى من أن الحجر مرفوع عني في المنطقة السوسية . مشفوعا ذلك ـ رسميا ـ بأن الباقى من الفرج المنتظر ربما يبزغ فجره يوما ما وشيكا . . .

في الوقت الذى تلقيت فيه هذا تجلت لى الحقيقة المرة . من أن طى هذا النوى لم يكن اليوم الا في يد الزمان وحده . والا فماذا أصنع لو أزيلت كل السجوف الآن . والعالم كله متاجج اللظى . مسود الافق بهذا العيش المكفهر . أترى مع ذلك نجد روحا ومتعة ـ كما نريد ونشتهى منذ زمن بعيد ـ لو أتيح لنا اللقاء . ام كيف يصنع اليوم بالنقلة مع أن الحياة كدرة . وأوجه المعيشة متقطبة . ثم أعود فأقول : يا ليت اللقاء كان على أى حال كان وعلى أى لون تلون به . فنظرة واحدة ممن يحملون لى في صدورهم ما أحمل لهم . تكفى وحدها ان لم أفز بغيرها في كل حياتى .

أقول لسياف تمطى بسيفه	الى وقد أهوى الغرار الى رأسى
تزحزح قليلا كى أفوز بنظرة	تقوى لدى وقع المهند أمراسى
فقد طاب لى الموت الزؤام بنظرة	أفوز بها من وجه منبع احساسى

ماذا أريد من المنطقة السوسية يا للناس . أهى التى لى فيها أوداء بررة . واخوان مازجت مودتهم شغاف قلبي . وبلدان هى عندى جنة الفردوس منها ريشت قوادمي . وعذرت سوالفي . لا أتذكرهم أو أتذكرها حتى أصيح صيحة تكاد تقطع النياط شوقا لافحا عظيما . . .

(وبعد) فكيف أنت أيها الشريف . وكيف سيدى الغالى وصنوه . والسيدتان ووالدتهما . وكيف الوالد المحترم . بل كيف كل الاخوان من الطائفة الناجية ـ التى أشكرها كثيرا من أعماق فؤادى . وأدرك أن كل ما كان انما هو من جهودهم الجبارة ـ فالمرجو أن يكون الجميع مثل ومثل عبد

الله وصنوه سعيد . بخير كثير . فهذه شهور انقطعت عنا الاخبار . ولعل رسالة وصلت مكتوبة فى شعبان . اليك والى الاخوان . وانما قلت – لعل – لان السبل كادت تنقطع بانقطاع السيارات . فاللهم الطف بالعالم . فقد جرى أننى أرسلت شيئا كهديـة للانجال . فاخبرت الآن انـه لم يصل لانقطاع السبل وقلة الوراد علينا فى جهتنا . والى الله المشتكى .

أمـا حياتنا فى الصحـة وفى أسباب المادة فبخير كثير نشكر الله . واخال أننا اليوم أوسع منكم وأرحب كنفا فى ذلك . فقد تيسر لنا ممـا نتوقف عليه ما ربما يعسر عندكم . وهكذا تغبط الحاضرة اليوم البادية . حيث الخضر والحبوب وأنواع الادم . ومناسج كل عائلة تتوفر فيتوفر معها كل ما يحتاج اليه زيادة عن الوقود الذى لايباع . واللحم الموجود (وان تعدوا نعمـة الله لاتحصوها) .

دعنا من المـادة. فان ارتياح القلب نحوها وبهـا قصير الامد لايطول وحيهل بنـا الى الاخوان والى الاخـوة . فهناك اللذة الدائمة . والمتعة التى لاتتناهى . فكيف سيدى السعيد ونجله واخوان (الرباط) – ممن تعرف – والفاسيون الاحرار . بـل كيف سيدى بريـك والشريف ابن ابرهيم . وصاحبه . وابن أبى سليمان وخليله . فلكل واحد منهم فى صدر هـذا الغريب ما له . فمتى يحصل اللقاء . وينطوى البين . ويتحدث عن أمـور وأمـــــور .

طالما تزاورنا فى عالم الارواح . حين تغمض العين عن هذا العالم الكدر الذى لو لم يكن فيه الا الفراق بالاجسام لكفى . وحيا الله عالم الارواح. فانه لابعد ولا فراق . فكل ما تفكرت فيـه يمثل أمامك او تمثل امامه فى الحـين فمنذ أيام رأيتنى فى زمرة منهم : سيدى بريك الاستاذ الكريم . والتاجر صهر (الجديدة)(١) وابن أبى سليمان مع صاحبيه . وأنت معنا . وشاعر الشباب رد الله غربته . فلا تسل عما مضى لنا من الانس . فقال واحد منكم لى وللسيد الغريب هذان أنتما قد فزنا بكما بعد جهد جهيد . وقد مر كل ما مر . فلم يكن ذلك الا شرفا مؤثلا . فهذان فلان وفلان . واشير الى رجلين ممن كان يستمتعـان تحت كنف الوظائـف . لايـزالان مستحقرين مغمورين كانهما فى سكان القبور . . .

هكذا نستمتع فى عالم الارواح بما حرمناه فى عالم الاشباح . وما كان لله دام واتصل . كما يقول الصوفية . والحمد لله .

---

١) العربى بنيس . وشاعر الشباب : عـلال . وهو السيد الغريب .

ثم انني لا أبكي في غربتي هذه الا على مدارسة العلم . فقد دب النسيان كثيرا الى معلوماتي كما يدب الشيب الى ذقني وعارضي . فاذا رأيتم أخاكم بعد اليوم ان شاء الله . ترونه فاتر الاستحضار . كليل الحد في المعلومات كما سترونه اشمط بالبياض المنتشر كثيرا في سواده . فخمس سنوات لم تمض بغير تاثير . وهبني تتبعت سنة اخواننا الحالقين . فغادرت الوجه بلا سواد ولابياض . فماذا أصنع بغضون الجبين . وهل عندي الا ان اطرق في المحافل رغم انفي متى ركض أقراني أفراس البحوث الجمازة . آمنـا بالله .

(وبعد) فأسلم على (الحمراء) وعلى جوها وعلى كل من فيها . فكل مراكشي الي حبيب . واستودعكم الله الى ان يحين اللقاء . والجواب الضافي ياتي مع الحامل . فانه أمين . ومتى ورد ياتي معه كتاب من كتبكم فانه يوصله وقد زارنا هذه الايام مع أهله من اتباع الوالد رحمه الله والى الله .

١٧ ـ ١ ـ ١٣٦١ هـ

مني إليه

وكتبت اليه من (أكادير) بعدما سرحت في (سوس) :

ايه ؛ ها أنذا أواجه أمواج البحر في (أكادير) فاسرح العين في مجاريه فيخيل الي أنه يحاول أن يتشبه بما أحس به في نفسي حين أتمثلكم أمامي كأنما هذا الاطلس الشامخ قد طوى أمام عيني .

ماذا يتموج في أثناء صدري . ما هذا الخفقان والهيجان اللذان يقلقلان فؤادي الآن . وأنا أمد الى مصافحتكم يدي من بعيد . أهـذا ما عبر عنه الشاعر العربي اذ يقول :

وأعظم مـا يكون الشوق يومـا اذا دنت الديـار مـن الديـار

فليت لي أجنحة خفاقة . فاندلق في أجواز هذا الهواء الافيح . فانقض على حضرتك أيها الشريف . ثم استحيل امامك الى مختارك الذي تعرفه . فاضم الى الغالي والغازي وأختيهما .

خلس الابتهاج في هذا العصر الذي اكفهر فيه العالم نادرة . ولعل ما أنا فيه الآن . وأنا أشاهد من بعيد منبثق فجر الامل في اللقاء من تلك الخلس التي تتسرب من بين أصابع الدهر العبوس . كما يتسرب الماء من بين شقوق الاصابع لمن يمسك الماء بكفيه .

لاقيت كثيرين منذ خرجت من عندكم الى الآن . وما منهم الا من يرى من أخيكم طلعة طالما تمنى أن يفوز بالرؤية منها . ولكن هل أنـا وقعت

من بين تلك الوجوه الكثيرة التى مرت أمامى من يتحرك بهم شغاف القلب . وتنبعث بهم الحياة فى . أم لاتزال الطلبة محجوبة عنى فى شمال الاطلس .

الحق أقول : اننى الآن فى مجمع ضم ثلة ممن يمتون الىّ والى قلبى برحم مبلولة . واخاء متين . ولكن المنية لاتزال بعيدة عندى . والامل الذى كنت أتلطع اليه لايزال منى الى الآن مناط الثريا .

ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا
اجد لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الامانيا

ولكن يرحم الله بنت يوسف بن تاشفين اذ قالت :

هى الشمس مسكنها فى السما فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الطلوع ولن تستطيع اليك النزولا

(وبعد) فما أقول لك بعد . الا كثرة الشوق كما يخبرك به قلبك الآن وأنت قد وصلت هذا السطر الاخير . فان اجتمعتم مع الاخوان فذكرتمونى فان ذلك بحسبى الآن . وقد تنفع الذكرى الغرباء .

٦ ربيع الثانى ١٣٦١ هـ

مني إليه

وكتبت اليه بعدما سرحت فى (سوس) فقمت فيه بالرحلة الاولى ثم بالثانية التى وصلنى فيها الاستاذ ابرهيم ابن العم .

الاخ الشريف ابن مولاى الطاهر حفظه الله :

عليكم السلام يا أبا الغالى والغازى . وعلى مارية ولطيفة . و . . . ورحمة الله وبركته . آنسنا ابن العم هذا الشهر كله . ووجدت منه ووجد منى ما افقده منكم وتفقدونه منى . فلعله كان أسعد منكم . فظفر بما لم تظفروا به كلكم أجمعون .

قد افضى الىّ بكل شىء . وافضيت اليه بكل شىء . وحدثنى بكل التفاصيل التى غابت عنى فى هذه السنوات عن شخصياتكم جميعا . فذكر عنكم جميعا ما أنتم أهل له من حسن وداد واستقامة فى المحجة .

كثيرا ما يرد الىّ من بنات يراعك ما يرد . ولكننى أعلم أنه لايمكن لك الا أن تسلك مسلك أهل الاجمال . ولكننى اشكر لك ذلك الاجمال الذى كان عندنا اذ ذاك فى مكانة عليا .

كيف الاولاد وكيف أصحابك التجاريون . كصهر (الجديدة) وغيره . واما التاجر أبوكم الاكبر فانه بلا ريب عندى سكران طافح بارباحه التى لاتذر له فراغا يتنازل فيه الى أن يسأل عن ذلك الطويلب الذى كان يتعشى عنده كثيرا فى تلك الغرفة العليا . والحقيقة انه فى واد ونحن فى واد . فانفتنا - والحمد لله حمدا كثيرا عليها - لاتدعنا ننزل الى مدارجه . وما كان - وفقه الله - مشتغلا به لايترك له وقتا ينظر به الى ما كنا نزاوله . وامثاله فى الحقيقة ينبغى أن يتركوا على ما هم عليه . ليتأتى لهم من المزاحمة فى الاسواق ما يتأتى . والا فهل ينتظر من مثلى أو مثلك يا أبا الغازى أن نمثل تلك الادوار مع أن ذلك العمل فرض كفائى . الا أننا هكذا نعذرهم ونقتنع بانهم يقومون بالواجب فتحسن نظرتنا اليهم . على حين انهم متى رأونا يحسبوننا ممن يتبصبصون حولهم ليتمصصوا . فاضطررنا الى الانفة والتكبر عليهم حتى فى المحادثة . فكانت الهوة بيننا . وهم هم الذين تسببوا فى حفر الهوة . وليسامحنى الله . فكم مرة قابلت صاحبك بجفاء منصدر عن هذه الانفة ثم يغضى عنها كأنه ليس بمعنى . وأيا كان . فلا نكون الا بهم . ولا يكونون الا بنا . فمتى تآلفنا . فذلك أول سير الى المدى المطلوب . وايا كان فنعم الرجل فيما بيننا وبينه حين كنا هناك .

(وبعد) : فقد نسيت . فملأت اليك الرسالة بهذا الهراء . ولكن ما أصنع . فهكذا قدر أن تكون رسالتى اليك . فاصبر . فعهدى بك من الصابرين . وأما أصحابنا هناك فسلم عليهم سلاما طيبا من أعماق الصدور والسلام . فى اواخر ١٣٦١ هـ

مع الاخ سيدي بريك الاستاذ الجليل

هذا الاخ ممن كان في طليعة اخواني المراكشيين . طالما تجاذبت معه بينهم - أو وحدنا - أهداب المذاكرات العلمية . أو أحاديث الاخوانيات وكان من دماثة الاخلاق . ولين الجانب . وطيب النفس . وسلامة الصدر في درجة نادرة . كجل من كنت متصلا بهم اذ ذاك . وهل كنت أفضي بذات نفسي الا لأمثال سيدي بريك الاخ الوفي الصفي (ثم الصوفي الكبير) .

كان تعارفي معه بواسطة الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرزاق الفاسي . وذلك في احدى زوراته لـ (الحمراء) حين كان لايزال مرابطا في (القرويين) للأخذ . ثم اشتبكت الاواصر بيننا اشتباكا تاما . وكان موضع ثقتي في كل شيء . حتى كان وحده هو المرشح عندي لادارة المدرسة التي يغادرها صنوي سيدي ابرهيم . فقبله الجميع حين أفضيت اليهم بما أتوسمه فيه من أهلية للعمل المثابر . والنهوض بما يناط به . وهذه المدرسة أسسناها بالنظام العصري . حين لم يمكن لنا ذلك في زاوية (الرميلة) وهي مدرسة أدت الخير الكثير لـ (الحمراء) في أطوارها المتعددة .

استقل سيدي بريك باعباء المدرسة استقلالا كبيرا . فسار بها بين الاعاصير . وقد جمع همته كلها في تثقيف تلامذته . بكل ما أوتيه من حنكة وادارة متزنة الخطوات . فأمكن له أن يستمر عمله حتى شاهد الثمار يوتيها غرسه غضة طرية .

تقلبت بي وبالاخوان الدواليب . فكان ما كان في سنة ١٣٥٦ هـ . فاقفلت بذلك كل مدارسنا الا ما كان من المدرسة التي كنت فيها في (الرميلة) بـ (الزاوية) والا مدرسة سيدي بريك هذه . فان الحكومة تتربص بها الفرص لتسدهما بدورهما . كما فعلت بمدارس الاستاذ المسفيوي . والاستاذ ابن عبد الرزاق . والاستاذ ابن الفاضل . فهكذا أمكن لسيدي بريك أن يستمر عمله الى اليوم وهو مكب على تنفيذ برنامجه الذي يمشي على خططه .

وما أشد فرحي يوم اتصل بهذه الرسالة منه في هذه الايام . فقلت الحمد لله الذي هيأ لي مثل هذه القلوب المرفرفة بالاخلاص والوفاء لغريب مثل نكبه الدهر في كل ما كان يملكه ويدخره لمستقبله . ولكن من لم ينكب في وفاء اخوانه . فانه ما نكب في اي شيء .

الرسالة :

آه . آه . وا أسفاه . . . .

رب رحماك وفرجك القريب العاجل . اللهم ارأب الصدع . واجبر الكسر . واجمع الشمل . بصديق الروح . وقرة العين . ومنير الفؤاد . وفاتح القلوب . وموقظ الهمم . ومحيى الافكار . ورسول التجديد والاصلاح من اخترته لتبليغ الرسالة . فاكملت خلقه وشمائله . وابرزته مثالا أعلى للهداية والارشاد . والتضحية والاخلاص . وكل خلق سام من مبادئ الفضيلة والشرف فنعم الرسول المختار استاذنا الكبير .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فبشرى لى بشرى على عناية الله بى . واسعاده اياى بتذكركم لى فى آخر رسالة وردت من جنابكم . حين ذكر اسمى فى أسماء من سألتهم عنهم فيها . وان لم اذكر الا فى آخرهم فشئ فى الجملة خير من لا شئ .

لقد أسعدنى الحظ يوما بزيارة صديقنا ابى الغالى – المنجرة – فى منزله فاذن لى بالدخول . فدخلت . فاذا أمامه الرسالة المذكورة . وهو يجيب عنها . فاطلعنى عليها . كما يطلعنى ما بين آونة واخرى على بعض ما تتحفونه به . فما عرفت باى السعادتين أسر . أباطلاعى على تلك الرسالة الادبية التى تضمنت الاخبار بسلامة احوالكم . واطمئنانكم الى الحياة الجديدة مع ما يتخلل ذلك من النكت واللطائف . والاشواق والمغامز . أم بالعثور على اسمى فى ملحقها . غير أنى حمدت الله على ان جمع لى بين السعادتين وسألته أن يمن علينا بالسعادة الكبرى التى هى جمع الشمل بكم دنيا واخرى . وفى أثناء ذلك طلب الى الاخ المذكور أن أذكر له بعض ما يهم اعلامكم به . فاتفقنا على أن أكتب اليكم بعض ما يهم عن العمل الذى أنا قائم به .

فاعلم أيها الشيخ الاستاذ أن أخاك المبارك (الصديق المهمل) لايزال قائما بالعمل الذى كلفته به . وحملته مسؤوليته . ومحافظا على ذلك العهد السعيد . ما دام به عرق ينبض . وساعيا كل السعى بقدر استطاعته . وبقدر مساعدة الظروف . فى تحسينه وترقيته ما أمكن . رغم عدم ثبات الناس . وعدم تقديرهم . ورغم كل الازمات التى قاسيتها قبله . ومن ذلك انه يحاول جعله رسميا . بادخال اللغة الحية اليه . اذا ساعدت الاقدار . لاشتداد رغبة الناس فى ذلك . وانتفاض النجباء عنا كل سنة بدعوى الرغبة فيما ذكر كما لايخفى . غير أن المشروع كثير العراقيل والقيود كما تعلمون . ولحد الآن ما زال لم يظهر لنا ما يبشر بالنجاح (ولكن على المرء أن يسعى ...)

ونرجو أن تعينونا بدعواتكم المستجابة في خلواتكم ومناجاتكم . فالمشروع من أصله لم يستطع الوقوف والثبات من بين أمثاله أمام العواصف التي مرت به الا لكونه من مؤسساتكم التي أسست على تقوى من الله ورضوان . اما شقيقه الاكبر (١) فما زال أيضا يواصل عمله على ما به من ضعف الكبر والفاقة فالفارسي (٢) يستعين بقائده على تدريب رعيته وفق الله الجميع .

اما أخوك فحاله الشخصي كما تعهده . غير أن الله أنقذه من السكنى في تلك الصحراء القاحلة (٣) التي كانت تمنعك من زيارته . وهو اليوم ساكن بجوار صديقنا المغفور له المرحوم ـ حماد ـ (٤) وقد اختار الله له هذا المحل ليقطع بذلك عذر من يتخلف عن زيارته بدعوى مسافة القصر والشموس المحرقة . اذا رد الله المياه الى مجاريها في القريب . كما هو المامول . وهو يرجوك أن تبتهل الى الله في مناجاة الاسحار أن يرزقه ولدا صالحا لطيفا كـ (عبد الله) قرة العين حفظه الله . واني أهدى اليه قبلا وعواطف . مثل التي أهديت لـ (غازى) واسأل الله الكريم أن يمنحني مثل ما منح السعداء كأبي عبد الله وأبي الغالي . وقد وقف القلم هنا لضيق الوقت . حيث ظهر رسولكم . فلم يبق متسع في الوقت . والى اللقاء المامول القريب ان شا الله . والسلام (الصديق المهمل)

(أقول) ان الله منحه من فضله بعد أولادا ذكورا واناثا . كما هو أمله الوحيد

الجواب :

٢٥ ـ ٧ ـ ١٣٥٩ هـ

ولله ما نسيتك قط . ولا نسيت اخلاصك . وحسن طويتك . وسلامة قلبك . وطيب سريرتك . اللهم الا لو كنت من الذين يعبدون شخصياتهم ولا يرون الا أنفسهم . ولا يكتالون الا كيل (المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) فالتحق اذن بزمرة (الاخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) وحاشاك . وحاشاك وحاشاك . أن يجول ظنك حول رمي أخيك بذلك .

---

١) يعني زاوية (الرميلة) .

٢) الاستاذان عبد الرحمن بن فارس . وابن القائد غير انهما اختلفا أخيرا فغادر الاول المحل، ثم توفي رحمه الله. واما الآخر فلا يزال حيا الآن١٣٨٣هـ

٣) كنا نداعبه بأنه يقطن في حومة (باب الدباغ) ونسميها بالصحراء .

٤) حماد التازى من التجار الكبار الذين يعينون بذات يدهم في مشروعاتنا

توالت الحوادث . وتكونت الكوارث . وطالت السنون . واعتورت مسودات الظنون . واكفهر الجو ما اكفهر . واغبرت الارض وما عليها حقبا غير أن أخاكم لايزال كما تعرفونه عضا بالنواجذ على كل ما تعرفون عنه من الثبات وحسن العهد بكل من له ادنى معرفة . فضلا عن أمثالك الذين كنت فى طليعة مخلصيهم العاملين تحت ألوية الاخلاص . المرفرفة . ثم لايتطاولون الى مدح مادح . كما لايتأففون فيزورون عن أعمالهم منقدح قادح

ليس هنا سوى شبحى فى اليقظة . واما ان انطلقت الروح . وتأتى لها أن تجول كما تشاء . فلا أرانى الا عندكم . فألج عليكم المخادع . واصافح الاكف . وأعانق الصدور . وأشاركم فى المجالسة والمؤانسة .

كان اجتماعنا مبنيا على غير مايبنى عليه اجتماع كثيرين غيرنا . فبذلك توطدت المودة . واتصلت القلوب . وتزداد صفاء اخاء كلما تطاول العهد . وان ضربنا الدهر ضرباته التى شتتتنا هكذا .

(وبعد) فليهنك أيها العامل ثباتك . واكبابك على ما تحملته من منفعة العباد سنين كسنى يوسف . فى شعب يصبح فيهم أمثالك من العاملين كالمصحف فى بيت زنديق . فما الرجال الا باعمالها . وما أعمالها الا بالاكباب عليها حتى توتى أكلها .

أما أخوك فقد أصبح اليوم كما ترى ـ والعيان يغنى عن البيان ـ وهو وان احتفت به نعم المادة . فانه محروم من نعمة لذة العمل . ولكن يا أخى ما يصنع المستضعف المقهور . ان جاء العكس على مراده .

فشكرا لهدية الكتب . وواشوقاه اليك يا من هو دائما من المذكورين السابقين . لامن المنسيين اللاحقين . والعبرة بالواقع لابجرة يراع وترتب سطور .

* * *

كنت حررت هذا الجواب . ثم ضاع بين الاوراق حين اريد أن أودع الرسول . فخططت له آخر فى معناه . فبذلك تسنى له أن يخلد هنا .

فحياك الله أيها الاستاذ وبياك . فالى الملتقى عن قريب ان شاء الله فيزول كل شئ .

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة   اذا كان من بعد الفراق تلاق

من ضمير إلى ضمير

كتبت إلى تلميذ من تلاميذي المراكشيين مايلي

الآن أمدني أيها القلم بأداء بعض الواجبات عليَّ . فينبعث على اسلاتك ما استكن من ضميرى نحو أسرة فاضلة نبيلة . كنت عاشرتها احقابا . وجالستها ليالى وأياما . واتخذت دارها دارى . وشبابها أولادى . وشيوخها آبائى . فقضينا ردحا من الدهر . تظللنا السعادة . وترمقنا عين الدهر بالعناية . فكنا نخوض فى الادب والعلوم . فنتعاطى من المسامرة كأسا دهاقا . ومن المواخاة ومن المصافاة ما يخامرنا أنسا دائما وحبورا . فلم استحضر انني رأيت من القوم الا نظرات طافحة بالترحيب . واحترامات ممزوجة بالتبجيل . ولم نزل كذلك . كأنني بينهم ضيف المهلب شاتيا (١) نتجاذب رغد العيش وملح الآداب . وغرر الاشعار . ونتهادى أفكارا لها قيمتها فى حياتنا اذ ذاك وبعد ذلك . حتى اذا بدا للزمان أن يقلب لنا ظهر المجن . وان يفرقنا أيادى سبا . تخطفنى صبيحة يوم من بينهم الى منعزل ناء عن المراسلة . حتى اذا كان يتراءى اتصال ما بيننا أو رؤية على الاقل . منعت ذلك أيضا بيننا موانع الدهر . فهكذا تفرق شملنا الى الآن . فكأن الشيخ القاضى ابن العربى الدكالى . لم يجلس قط . وبين يديه فى ثويه أولاده أحمد والمهدى وأستاذهم هذا الغريب . فما أعجب تقلبات الدهر فى كل حين .

أكتب الى واحد من هذه الاسرة . وأحس كأنني أكتب الى كل فرد من أفراد الاسرة .

= 1 =

(الـغ) : ١٤ ـ ٥ ـ ١٣٦٤ هـ

على صفحات ذكريات مذهبة . كما تذهب شمس الاصيل رياض الازهار . لا أزال اقرأ فينة بعد فينة ما كان بينى وبين شباب كانوا يحومون حولى للدراسة فى فنون شتى بـ (الحمراء) من خلة صافية . ووداد مكين .

---

(١) :

نزلت على آل المهلب شاتيا ... غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلى

وحنو مني عليهم كأستاذ يحنو على تلاميذ برعوا فهما ودقة شعور . ورقة عواطف . فيبادلوني ذلك بأدب وانقياد . وحسن استماع . وصبر متين . متى رأيت أن ألفحهم بتأنيب . أو أردهم عن مزلة بسوط من زجر شديد - على عادتي في عدم التأني متى عنفت أو عاتبت -

لم تقدر ثماني سنوات ونصف أن تمحو ذلك الأثر العميق الذى كان ذلك النشء يؤثر فى قلبى ومتى حاول النسيان أن يتسرب يومـــا من الدهر فى اليقظة . تمدني عوالم الاحلام . وأطياف ماوراء عالم الحس بصحبة جديدة . تعود بها الذكريات جذعة . كما كانت قبل ليلة ٢٨ من ذى الحجة ١٣٥٥ هـ .

قال لى الاديب المرحوم الحسن التناني . قبل سنتين : انني لا ازال أواخذك مواخذة عنيفة بيني وبين قلبى على عدم اعتنائك بى تهذيبا وترقية وامدادا بروح الادب . وأخذا بساعدى الى المثل العليا . كما كنت تعتني بفلان وفلان وفلان . فقلت له : انني اذ ذاك لم أخف عليك . كما كنت أخاف عليهم . فقد علمت ممن ذكرتهم ميعا (١) منشوه غرارة شديدة نشأوا فيها - كما ينشأ أبناء الاثريا - ورأيت منهم أهلية للتفوق فى المستقبل . فخفت أن تقضى مزالق الشبيبة على جذور ما كنت أتفرسه منهم . فحاولت جهدى أن أؤدى ما على من الحقوق لهم . لحسن أدبهم . ورقة عـواطفهم . وللمعالى التى تنتظر منهم رجالا كالرجال . فلهذه كلها كنت أعنى بهم غاية العناية ويعلم الله كم أقاسى فى تقويم أودهم . وتثقيف صعدتهم . وصون عفافهم وغرس بذور الاخلاق الفاضلة بين جنبيهم . فكنت لا أذر ناحية أعلم أنهم يوتون منها الا بادرت بلفت اعناقهم عنها قبل أن يزلقوا فى مزالق تؤدى بهم الى الهاوية . ثم قلت للاخ التناني : الا أنني أعلم أنك لو كنت تسمع منى ما كانوا يسمعون من عذل لاذع . وتعنيف دائم معهود منى . لايعرف هوادة ولا تأنيا . فى ملازمة كالظل ليل نهار . ومن مواخذة بما لعله لـم يكونوا يتصورونه بعد من الرجولة المدعمة بالوقار . والثبات والصمـود توا الى المعالى . لما رأيت منك ما رأيته منهم مما بهرنى . من صبر عجيب . وحلم كانوا به كالصخرة الرابضة على سيف البحر . تتكسر عليها أمواج المحيط المزبدة فى كل وقت . ثم لا تتحلحل عن مكانها . ولا تتأثر فتحول عن حالها . وبمواقف الصبر يظهر الرجال . ولم تفتهم منى الا الضرب . واما العتاب المر . فانه عليهم يتراكم دائما بأدنى سبب .

---

١) ماع يميع ميعا لا ميوعة كما شاع . لان المعاجم لم تذكر الا (ميعا)

كنت اتخذتهم سمارا . وأصيرهم رفقاء . وأجعلهم جلساء . وأماشيهم وأطالع معهم الدروس . وأطارحهم الاشعار . وألقى عليهم ما عسى أن يجول في خاطرى من معان . وما أتصوره من أخيلة الشعر . فاقبل منهم وأرد . وأناقشهم في بعض ما يرتئونه من استحسان . وأنزل أحيانا عما استحسنه أنا أن اظهروا لى مغمزا من أحد جوانبه . ثم يكونون في كل هذه الاحوال المختلفة خير مثل عجيبة . لمن اراد أن يتعلم كيف أسلاس القياد . وأداء ما يرام منه بكل مرونة .

قد يجلس احدهم امامى احيانا . فيطيب لى أن احل عقدة لسانى . فأتفيهق بكلام يسيل بلا نظام . فيصيخ الىّ اصاخة تدل على أنه يحترم منى هذياني . وان لم يكن مغرورا فيحسب ذلك الهذر الصراح مما يفيد . فما أنس لا أنس أننى مثلت مع أحدهم يوما هذا الدور فوق جدول صغير يجرى أمامنا خارج (الباب الجديدة) فكان مما أقول : سيأتى يوم يكون فيه بعض شبابنا ـ وأعنيه ـ رجلا عظيما . وشاعرا تدوى به الاسلاك فى العالم . وكأنى به يجلس الى بعض أهل ندوته . فيطيب له أن يعيد على مسامعهم من ذكريات صباه . فيحكى لهم عن أستاذ لـه شلحى سوسى شديـد . لايعرف رينا . ولا يرى فى تأديبه ولا فى لومه رفقا . فيقول لهم قد قضى علينا اذ ذاك أن تصول فينا يده صولة جبار . وأن يتسلط علينا تسلط (الفوهرير) (١) على شعبه . فيتدخل حتى فى أنفاسنـا كيف تتنفس . وفى خواطرنا كيف تجول . وفى أخيلتنا كيف تتصور الآمال والاحلام . كأنه يريد أن يخلقنا خلقا جديدا . وان يجعل منا ملائكـة فى العصمة . وصوفيـة فى الاخلاق . وأنبيـاء من أولى العزم صبرا وثباتا . ويريد أن يشق صدورنا فيستخرج منها ما استخرجه الملكان من صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم . يوم شقا صدره . فكان نقيا مما يجول فيه الشيطان من بنى آدم . ويريد أن نكون بين عشية وضحاها علماء أفذاذا لايشق لهم غبار . ولايدركهم مبار . وان نكون فى العفة وغض البصر . والاعراض عن ميادين الهوى مثلا شرودا . يسير مسير الشمس فى الخافقين . ويهب هبوب الريح فى كل جو من جواء الاندية .

هذا مع أن لنا بين دروسنا درسا أدبيا حافلا فى كل خميس وجمعة كأن الادب بكل ما علم من ألوان به تزخر فيه أمواجه . فتستثار المشاعر . وتستفز العواطف . ومن العجيب أن الاستاذ كان أديبا بكل مشاعره قبل أن يكون فقيها أو نحويا . أو لغويا أو محدثا أو مؤرخا . فقد كان فـى

---

١) هتلـر .

دروس الادب غيره في الدروس الاخرى . فقد كنا نقرأ في عينيه . وهو يجول في الادب غير مانقرأه منهما ان كان يدرس الاصول أو البيان أوالحديث وما اليها . فقد كانت أريحية الادب . وتذوق مرامي العواطف . وعواطف المشاعر . تطير به الى عالم آخر غير ما فيه الناس . ولهذا نتأثر بدروسه الادبية . أكثر من تأثرنا بغيرها . ونتفهم مغازيها . ونتشرب معانيها . اكثر مما نكون في الدروس الاخرى . ولو كنا نترك واختيارنا . لما اشتغل معنا الاستاذ الا بالادب وحده . ولهذه العلة بعينها نرى نجاحا في الادب في صفوفنا ساريا سائدا على نجاح آخر . وتحت ذلك الجو نشأ شعراء في صفوفنا . ظهرت بعد آثارهم للوجود . فذاك ابرهيم الالغي صنو الاستاذ وعرفة الفاسي . وابن العربي الجزار الآسفي . والحسن التناني . ومحمد الرداني . وعبد الحي البزيوي . والاستاذ سيدي ابرهيم بن أحمد . ومولاي أحمد النور . وعبد القادر حسن . واحمد شوقي . وآخرون كانوا يستمدون من ذلك الجو . ان كانوا اقروا ـ ولم ينكروا ـ انهم كانوا منه يستمدون . فكل هؤلاء شعراء . نشأوا في (الرميلة) وفي حواشي (الرميلة) ومن هناك نبتت بذور شاعريتهم . ثم تولوها بعد بالسقيا حتى كان لها ما كان .

بمثل ذلك كنت اهذي مع أحدهم ساعات . وهو ساكن أمامي . فيطرق حينا . ويجيل في بصره حينا آخر . كأنه لم يكن يتصور تقلبات الدهر . وان كل جمع مؤتلف ـ كجمع (الرميلة) اذ ذاك ـ لابد أن يعقبه انتثار . وخصوصا في ذلك الوقت الذى كانت فيه النذر في الافق . وافتراق الشمل على الابواب .

= 2 =

ايه ؛ أين مني في هذه الخلوة التي أنا فيها الآن وحدى الذى يقول :

الا في سبيل الحب قلب موله	ونفس تذوب كلما شفها وجد
تجرعني تلك اللحاظ صبابة	وتهتاجني تلك المحاجر والخد
يقول أناس غمهم سكب عبرتي	وطول بلاء في الصبابة يشتد
ألا عد عنها وابتدلها بغيرها	فقد بان منك الصبر واتصل الصد
فقلت لهم والدمع منسكب على	خدودى وقلبي من تحرقه زند
دعوني وحبي انني في تلذذ	وان غويت نفسي ففي الحب لي رشد

ويقـــول :

أبيت سمير النجم والنجم في السما	وتسكب عيناى الدموع الغواليا
أقلب طرفي في السماء لعلني	أشاهد من أهوى وان كان نائيا
وابحث من بين النجوم منقبا	وارجع والاخفاق حظ فؤاديا

ويقـــول :

لا حبذا تلك العيون لأنها جرت علىّ بلابلا وشجونا
ما كنت أعرف قبلها من لوعة حتى غدوت بسحرها مفتونا

ويقـــول :

مرت مغالطة المشوق ببرقع تختال بين أوانس وغوان
ورنت فاقصدت القلوب وألهبت احشاء صب دائم الهيمان
لله عابثة تصيد ضواريا تقتادهم بلواحظ الغزلان
هيفاء تضفى من محاسن وجهها حلل الجمال على غصون البان
ناديت من كلف بها وصبابة ربّاه تلك الهة الانسان

ويقول كانه كان يخاطب استاذه حين يصليه أسواطا من عتاب :

أفى كل يوم أنت توسعنى عتبا وان كنت ما قدمت فى عمل ذنبا
ألا تنثنى عن مهجتى فتريحها أما تتقى - رحماك - فى مهجتى الربا
رويدك لا تعتب علىّ فربما ترانى معذورا فتضطر للعتبى
فهل خلتنى قد خست عهدا وذمة فتؤلمنى؛ أم أنت تستعذب العتبا (١)

ويقـــول :

أشيد بما أقول ولست اخشى سهام الرد من فدم لئيم
فليس يضرنى رد ولكن يد لكم على شهم عظيم

ويقـــول :

لك الله قلبى كم تجرعت من مر وحملتنى أمرا يضيق به صدرى
وجشمتنى غابا تهاب ولوجه أسود لألقى كل فاجعة بكر

ويقـــول :

على أى جنب أتكى فوق مضجعى وأى مكان أصطفيه فاهجع
وكل نصال قد رمانى بها الردى وكل مكان بالكوارث مترع

ويقـــول :

انى لتؤسفنى الحياة وصرفها فاحذر صروف الحادثات حذارا
قد كنت أدرك ما أريد بلوغه سهلا وتخدمنى السعود بدارا
واليوم أنكرنى الزمان ولو درى انى فتاه ؛ لقدم الاعذارا
تغدو تناهضنى الحوادث كلما رمت النهوض ولا أقال عثارا
حتى كأنى للحوادث مجرم وجريمتى : كونى أروم فخارا

---

١) عتبت عليه عتبا بالفتح : لمته لوما . ثم اعتبنى : أى أزال عتبى أى لومى . ومنه العتبى بالضم والقصر : وهى الرضا وازالة العتب .

انى خبرت بنى الزمان جميعهم   فوجدت أدون ما أساوم عارا
فتراهم فـى السلم أسد معارك   ولدى الكريهة يرتضون صغارا

من الذى يقول كل ذلك . ويقدر أن يشي فكره مثل ذلك الطراز المذهب . فقد سقطت الىَّ صحيفة فيها هذه القوافي . فأجعلها سلواى كلما جاش بى شوق شديد لافح الى من كانوا أمس فىالجوار . ثم جاوروا حقبا فى(الخضراء) ثم فى (دكالة الغبراء) ثم ألقوا مراسيهم ثانيا فى (الحمراً) (١) . . .

= 3 =

كثيرا ما أسمع من الذين كانوا يعرفوننى حق المعرفة . ومازجونى حتى عجموا مبداى وطباعى وأريحيتي وسلامة طويتي . وحبى لمنعزل يسود فيه جو واحد . اقدر ان أخرج فيه عن صمتي المعتاد منى فى المحافل المكتظة فأسبح بأريحية فى أمواج الآداب . يقولون : انك لم تتغير (٢) بعد سنين متعددة . عما كنت معروفا به . فقد تغيرت منكثيرين طباع . وتقلبت مبادىء وانقلبت أفكار . وحدثت فى بعض المعروفين بالتواضع عنجهية (٣) وظهر من صغار في الاحساب . ومن ضعاف فى المدارك . تسام الى التصدر فى المحافل . كأنهم موسومون بأوسمة العظمة والفخار . وأما أنت فكما أنت . الا تلين قناتك أنت . أليست لك آمال فى الحياة . ألم تفسح بين عينيك رتبة من رتب الفخفخة تتخذ اليها سبلا مذللة . ألم تستملك ثروة تراها من عند أقرانك . ألم يستول عليك ما ينفسه كل قرن على أقرانه ان رآهم قد تصدروا فى الرتب ؛ وتشير اليهم الاكف بأصابعها . . ألم . . ألم . . ألم . . فقلت : سواء كان ما تقولون صحيحا منى أو غير صحيح . ولا أزكى نفسي . ولا أبرئها من العيوب . ولا من الامانى التى لابد أن تحوم على أنفس البشر . كما اننى لاأرى الاَّ حياة مقلقة مما لاتتوفر فيها السعادة التى أنشدها دائما فى غابر حياتى . فأية سعادة تتراءى لى بعد فى وظائف لايزال من يتربع فيها بين مدافعة تموجات تتكسر حواليه من الاعداء الذين توجدهم له بالطبع مرتبته ـ ولكل مرتبة أعداء لمن يكون فيها . وان كان يحسن ما يحسن . ويدارى ما أمكنت المداراة ـ وبين ترقب عزل . يرى به الموظفون استيصال جذور سعادتهم . ومواد ثروتهم. وهو أساس حياتهم جميعها . فأى عاقل يرتضى هذه الحياة لنفسه . وقد أمكنت له مثل حياتى

---

١) هذه كلها مأخوذة من قصائد لأحمد شوقى
٢) يقول ذلك الاخ عبد الهادى مكوار وسيدى ابرهيم الكتانى وسيدى عبد الجليل بن القزيز .
٣) العنجهية بضم العين والجيم : الكبرياء .

الهادئة الفاضلة ـ بحمد الله ـ فلو أطلع على أهل الحواضر ـ وأنا أتبجح في هذه القرية الجرداء في البادية عيشة طيبة . فيها كل ما يكفي ويطيب ـ لعلموا أن أخاهم . ان حاول استبدال ما فيه من العزلة . وطيب الحياة . والبعد عن أوساط لا أحبها لغيري . فكيف أحبها لنفسي . فسيكون مثله مثل بني اسرائيل الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

انني درست نفسي حق الدراسة من سنة ١٣٤٦ هـ . فايقنت انني لا أصلح للعمل في الميادين الصاخبة . ولا تحت الاعاصير الزافرة . الا في بيئة علمية وحدها . ففيها أقدر أن أؤدي لأمتي العمل المفروض علي . وان أقوم بكل مايقوم به الرجال من مدافعة ومهاجمة ومداراة وانفاق واستعطاف وارغام . واما في بيئة أخرى فقد حرمت من الصفات التي تتطلبها . ومن التلونات التي لانجاح للعامل فيها الا بها . فليس لي همة التفوق بالزعامة على أحد . ولا لي من حب الشهرة ما يدفع بي الى المزاحمات في ميادين الشهرة . وكل ما أحب . أن يتم لوطني ماموله . ثم لا أبالي على أي يد تم ذلك . وانا راض ان اقر عينا بنيل أمتي حريتها . ولا علي أن لم أقم في ذلك الا بما في مستطاعي ـ ولو خيرت لاخترت ـ

(هذا) ما كنت علمته من دراسة نفسي . ثم لم تزدني الايام بعد ذلك الا ايقانا بما أدركته من تلك الدراسة . ورأيي أن كثيرا من الذين يدخلون الى ميدان من الميادين . ثم يتراجعون فيه بعد خطوات عاجزين . لم يوتوا الا من عدم دراستهم لانفسهم قبل ولوج ذلك الميدان . فان لاستعداد الانسان محورا متينا . عليه يدور نجاحه في الاعمال . كيفما كانت . فقد خلقت قنوعا بالكفاف من العيش . لا أتطاول الى ما فوقه . ولا أطمع في مجد لم ينبع من أعمالي الحقيقية . فكل رتبة لم أؤسسها بعملي . فانما هي مستعارة ـ والعواري لابد أن تسترد يوما ما ـ

كادت صيحات التعجب تصرخ في وجهي . حين زرت أمس القريب المدن حينما أعلن بين الاخوان في الحواضر : انني لا أزال مصمما على البقاء في (سوس) ولو أذن لي المسؤولون في الانتقال . حتى تنجاب غيوم العالم فقالوا : كنت منفيا على رغمك امس . أو تحب نفي نفسك بنفسك اليوم عن رضا . فما فائدة التشديدات التي تحاول لرجوعك اذن . وهل في قدرتك أن تترك هنا قلوبا ترفرف شوقا لايابك . فقلت : أما فيما يرجع الى العاطفة . فيعلم الله انني أكثر شوقا . وأعظم رجاء . وافيض هيمانا الى القرب من الاوداء . فهم ميسم حياتي أمس . وهم مستقر آمالي في حياة

الغد . ان شاء الله . فلم يطب لى عيش منذ صاح الدهر بيننا . وضربنا بضرباته . كما انني لا استمد الاماني الا مما أتوقعه من الاجتماع التام غدا تحت شمل جامع . فلا كان من لايقدر اخوانه . ولا ينبض لهم قلبه ان عن فراق .

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

الا أن لحقائق الحياة المرة مرآة أخرى غير مرآة العاطفة . فقد تغير الجو منذ ١٣٥٥ هـ وضاق ميدان العمل . أو سد بالكلية . خصوصا اذا كان عملا حرا . وطوقت أنا أيضا بالاسرة . ومواد العيش في الحاضرة اليوم تزداد حلقات غلائها ضيقا الى ضيق . فكيف يصنع مثلى فى الحاضرة . ولا مدخر عندى ولا وظيفة استمد منها . وذلك القليل الذى كان يكفينى فى الحاضرة قبل . لايعد شيئا مذكورا الآن . فقد أمعنت النظر . ووازنت بين باديتنا وبين الحاضرة . فترجح لى عيانا ان لا أتخطى هذا الذى رسمته . حتى يقضى الله فى العالم أمرا كان مفعولا . وقد صدقت الحوادث حدسى فى هاتين السنتين . فقد تضاعف الغلاء الفاحش فى الطعام والكسوة . فصرت أحمد الله على ما اختار لى . فان ما هنا يكفينى . كيفما كان الحال . وسأصبر ـ على مضض ـ على فراق الاخوان الى أن يفرج الله على العالم أجمع . وعلى هذا القطر . وكل الاقطار التى تشاركه فى السراء والضراء .

الم أتعقل كما ينبغى فى رسم هذه الخطة . الم اوفق لما كان ينتظر من أمثالى الذين لايغلبهم الخيال الساحر الا متى جالوا فى اجواز الادب فان كل من يخلط مقاما بمقام . ولا يوازن بالقسطاس المستقيم . فان مآل غلطه . لا ينصب سعيره الا على أم قفاه . وكذلك وازنت بين منفى قديم ومنفى جديد فى السنة الماضية يوم تقديم وثيقة الاستقلال . واستخرت الله كثيرا ـ كما هو سنة دينى ـ فبان لى ما عزمت عليه . ولا أزال عليه الى الآن . والعبد وان يحسب أنه ينعم فكره . ويمهد طريقه . ويرسم خطته فان وراء يده يدا عليا . هى التى تقوده من وراء الستار الى ما تختاره له . وان جهل ذلك الجاهلون الذين هم فى عمه يسدرون . ويفتخرون بأنهم بربهم كافرون (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

= 4 =

ها أنذا زعموا انني لم أتغير بعد ١٣٥٥ هـ فليت شعرى هل تغير بعدى سكان (درب الزاوية) بـ (الرميلة) أو لايزالون فى رقة الشعور . وفورة الذكاء . وثقوب الفهم . وهيجان العاطفة . وايثار الفضيلة والنظر

الى المعالى . والولوع بالغاية التى يولع بها من لم تغمرهم الشبيبة باغلاطها ولا كسفت أنوار أفكارهم أحلامها . الا يزالون ينظرون الى من أمروا أن يوفوهم التبجيل (١) من عند أمير الشعراء . أم جا' دور الرجولة والعظمة والثروة . فاستغنت الشوارب ـ ان لم تحلق ـ عمن يمسحها (٢) فتصدروا الاندية وتتوجوا بتيجان العظمة . ودرت جيوبهم بالثروة . فنسوا ذلك الزمان البليد المائع الذى يتحكم فيه أناس فى أناس . ويستبهون بهم كيفما يشاءون . فكثيرا ما نرى فى كتب التاريخ ان اناسا من أصحاب العظمة رجعوا على من يسومونهم فى الكتاتيب بالتاديب . فحالوا بينهم وبين رؤوسهم. كما كانوا فيعهدهم الماضى يحولون هم أيضا بينهم وبين مشتهيات آخرين . فجازوهم جزاء وفاقا .

منذ سنتين كنت فى أيام مع المرحوم الشاعر التنانى . فكنت أندد عليه ـ كما كنت افعله ببعضهم قبل ١٣٥٥ هـ ـ فى بعض أمور لايزال يلهج بها فتحول بينه وبين المكانة التى أراها تليق به . فمن معاشرة مزرية . ومعاداة غير محمودة . واشتغال عن المعالى بسفاسف لم أكن أرضاها له . كما لا ارضاها لنفسى . ولا خير فيمن لايرى لك ما يرى لنفسه . فلم أزل احاجه فيما يتخذه هجيراه . وهو سادر فى غلوائه غير مهتم بمستقبله . فلا تزوج . ولا جمع مالا مما يروج فى يديه فى وظيفته . فلم ازل به حتى حججته . فلم يملك جفونه فصار يقر رحمه الله أمامى اقرار النصرانى أمام قسيسه . فوعد أن يستأنف حياة جديدة الا' أن مرضه عاجله . فلحق بربه فوئدت معه شاعريته الطافحة . وكان مما قال لى قبل أن يقر بما هو فيه : ألا تزال تحسبنا اليوم مثل من تعرفهم أمس . فان لنا اليوم مكانة مكينة بين أكابر بنى (الحمرا') فقلت له : عد لى من هؤلاء الاكابر . فصار يعد لى سفلة زار الثراء بعضهم فألبسه حلة براقة . وشحذ السعد لبعضهم مقولا صؤولا . فنال به شهرة . فقلت له : أهؤلاء هم الاكابر فى نظرك . فانى يذهب بك يا صاح . فاين عقلك . وأين ألمعيتك . فهل تقدر أن تنسب لهؤلاء فضيلة . او تزنهم بعمل مجد صالح قاموا به . أو تقدر أن تقول على رغم ما فطرت عليه من حب الفضيلة : ان الفضيلة اليوم موجودة فيما يزن به

---

١) قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

٢) قال الشاعر :

وربيته حتى اذا ما تركته أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
تغمد حقى ظالما ولوى يدى لوى يده الله الذى هو غالبه

الناس . فقال : اما عند عموم الناس فنعم . ولكن لا أقدر أن أزعم ذلك بحسب نظرك أنت وحدك . فأنت فى كفة . وغيرك فى كفة . فهذا الاستهتار بالفضيلة الذى لاتزال تولع بالتنديد به . قد انفردت به وحدك بين أقرانك . فقد انكشف الغطاء عن اعيننا بعد ما تملصنا من قبضتك فرأينا ما كنا لانخاله موجودا . فما هناك الا ذئاب فى ثياب ومجالس غاصة لارونق فيها الا عن طنافس خاصة . وأما ما يدور فيها مما لا أستطيع أن أذكره حياء منك . فانما هو مما يندى له وجه الفضيلة . ويعرق له جبينها الوضاح فقلت له : ان الفضيلة لاتزال فضيلة . وان تمالأ على نبذها الناس . والرذيلة رذيلة . وان تمالأ الناس على التلبس بها . والعاقل هو الذى يدرك ما للفضيلة من تأثير فى الحياتين . ثم لايزهده فيها اعراض العالمين عنها . ثم دعنا من الناس . فما هو رأينا معا أنا وأنت فى الفضيلة . فان اقتنع كل واحد منا بما لها من مزايا فى الخلق والجسم والعقل والدين . وفى الهيأة الاجتماعية . أفليس الواجب علينا أن لانزال متمسكين بها فى انفسنا . حريصين على التحلى بها ثم لا علينا فى غيرنا . وهكذا جلت معه حتى انقلب عن رأيه . وأقر بكل ما كان . فأعلن التوبة . الا أنه قال لى : آه على تلك الايام الفاضلة التى مرت عنا فى (الرميلة) وعلى تلك البيئة التى كانت فيما نعلم فى هذا العهد خير بيئة أخرجت للناس . فان ذلك الاخلاص فى النصيحة لم نر له ثانيا بعد . فلا لوم علينا ان تخطفتنا بنيات الطريق . فاغتررنا بمن نراهم المثل العليا عند الناس . وان كانوا من الفضيلة افرغ من جراب أم موسى .

انما الحياة ما اكتسب فيها الانسان : بر والديه . وبر اهله . وبر ربه . وبر أمته . وأساس كل ذلك لايوجد الا فى الفضيلة . فمن حرمها فقد يكون عظيما فى أعين . ولكنه لايكون عظيما فى جميع الاعين التى تقدر العظمة حق قدرها . كما تقدر أسسها ودعاماتها . فعمر بن الخطاب . وصلاح الدين ويوسف بن تاشفين . عظماء فى جميع الاعين . حتى فى اعين من لايدينون بدينهم . ولا يحبون على مذهبهم . ولكن بطرس الروسى . ونابليون الفرنسى . والحاكم العبيدى . وأحمد الذهبى . وعبد المومن . ليست عظمتهم بالتى تستميل جميع الاعين . وأول من لايرضاها عين المؤرخ المطالعة لكل ناحية من نواحى حياتهم .

ليست الفضيلة بنت التجهم . ولا بنت العزلة . ولا بنت التغفل . ولا بنت الجبن . كما يزعم أصحاب الالسن التى تجول كما شاءت اهواؤهم وأملته خيالاتهم . بل هى بنت الرجولة الكاملة . والعمل المجدى . وبنت

الشرف الصميم . والمجد الاثيل . وبنت الاقدام . فكلما كان الانسان اعلى همة . وأطهر سريرة . وأكثر اخلاصا . وأجد فى العمل . وأثبت فى المبدأ وأثقب ذهنا . وأوسع عارضة . كان أجدر الناس بالفضيلة . لان الفضيلة ثوب ينسج من أمثال هذه الخلال . وكلما كانت الخيوط متينة كان المنسوج منها متينـا .

اذا كان من فى (درب الزاوية) لايزالون يستحلون أمثال هـذه الاحاديث ولايتبذونها ظهريا . ولا يقهقهون منهـا مصعرين للخـدود . ولا ينظرون نظرات الاستهـزاء عند سماعها . فانهم لايزالون كما يعهدون محروسين بعناية من الله . واما اذا صاروا يهزون احد المنكبين أو كليهمـا معـا او يمططون من شفاههم ـ كما هى العادة الجديدة عند المتفرنجين من المغاربة ـ ان كانوا يقراون ذلك هنا . ويصفرون صفير الاوربى سخرية . ويقولون اننا قد تهذبنا . وترقت افكارنا . واستغنينا عن هذا الهذيان . وشببنا عن هذه الكلمات السمجة . وعدنا عصريين مثقفين . وعلت أقدارنا عن التنازل حتى نسمع أفكار هؤلاء الرجعيين الذين لايزالون يرسفون فى أفكار غثة باردة . لم يعد أبناء القرن العشرين يصيخون لهـا . ان كـان ذلك . فان الدولاب قد انقلب . وحرمت قلوبا كنت أتلهف على الاتصال بها دائمـا . خصوصا منذ سنتين . بل منذ سنة فقط . فلم يبق لى الا أن أعزى نفسى . وأبناء جنسى . من صنيع موؤود . ووداد ملحود . وبناء خر على أساسه . فلم يبق منه حجر على حجر .

ولكن أيمكن أن يتغير ذلك الجوهر . ويأسن (١) ذلك النمير . وتعود هشيما أزهار ذلك الروض الاريض . اللهم الا اذا اتصلت به مكروبات من (الخضراء) فاجتثت تلك الاصول التى كانت جذورها فى (الحمراء) وأتت على تلك المبادئ وغيرت تلك السجية . والانسان قد يتغير . وتحدث من بعد الامور أمور .

= 5 =

قام الـيراع فى (الغ) مقام اللسان فى (الرميلة) فكما كان اللسان لايزال فى التدريس هناك . كان اليراع هنا لايزال يسير عـلى القرطاس . منذ الاسبوع الاول الذى حططت فيه هنا رحلى . وساقتنى الاقدار مرغما الى منعزل أحيا فيه حياة أخرى . فتوالت قصائد تحمل فى أشطارها ما تحمله المشاعل بين نارها فأول ما قيل :

---

١) مـاء آسن : متغير

أرأيت الايام كيف تدول والليالي بالسهد كيف تطول
ويد الدهر كيف تلعب بالحـ ـر ؛ طلوع طورا وطورا نزول

فاستمرت الى زهاء مائتي بيت(١) وتوجد هنالكم عند ابن سعيد في الزاوية. لمن يريد أن يرى فيها الزفرة الاولى بعد الفراق . وأما الزفرات الاخرى . فلها يوم آخر ان شاء الله تظهر فيه للوجود . وهي قصائد يتكون منها - لو جردت (الالغيات) - ديوان لطيف . وربما يظهر يوما ما في عالم المطبوعات . فيتخذه الشعراء الجدد موضع تفكهة وتسلية . فيقولون : مرحى مرحى ؛ ابتكار اختراع . . معنى جديد . . تبارك الله . . ثم تلي ذلك بسمات لايدرى الا الله عما تدل . ولكنها تكفي ان كانت كتفكيه شعرائنا الجدد . ان لم يقدر لي أن آتيهم بما كنت آتيهم به حين كنت أقول في القصيدة التي أهنيء بها بعضهم يوم أعرس : ١٣٥٤ هـ ومطلعها :

الى أين ذياك البيان الذي أدرى فما هكذا عودت ان جيت للشعر

أقول فيهـا :

كأن لم أقل شعرا كأن لم تجل علي سماواتـه روحي بأجنحة النسر
كأن لم أكن رب القريض ؛ كأنه خمائل رفت بالغصون وبالزهر
كأن لم أكـن ذاك الذي تعرفونـه أقول فآتي بالحلال من السحر
كأن لم أقف في محفل بفصاحتي فأغدو خضما هاج باللجج الخضر
أثير شعور السامعين كأنما دلفت الى الجلاس في جحفل مجر
أدير عليهم من بياني كأنني أدير عليهـم من مشعشعة الخمر

كذلك كنت أقول في (الحمراء) ثم ارتكس الفكر اليوم في (الغ) ارتكاسا مخزيا . فلم يكد يبض بعد بشيء يمت الى الشعر الا بأوزان وقواف. وياطالما حاولت أن أسمو ثانيا . ولكن يغلب علي ضعف الاجنحة . فلا أكاد أحلق قليلا حتى أسف الى الجو الذي اعتاده أخيرا . وسبب ذلك أنني هنا مشتغل بجمع كتب متعددة تتعلق بـ (سوس) فاروج في أشعار يقبلها التاريخ . وان لم تكن مقبولة في أندية الادب . فتأثرت بها . حتى كادت تستولي علي بيئتها المنحطة . وقد توفي أحد الاساتذة الاكابر (٢) من أشياخ شيوخنا قريبا . فحاولت أن أرثيه رثاء عاليا . فسنح لي هذا المفتتح .

---

١) توجد كلها في الجزء الاول من هذه (الالغيات) وان كانت مشذبة فنقصت عن هذا العدد قليلا .

٢) سيدي بلقاسم بن مسعود التاجارمونتي . والقصيدة في ترجمته في ٩ من (المعسول)

لماذا أعاني في العروض القوافيا ... اذا لا أوفي للشيوخ المراثيا
رزئت بياني ان رزئت يراعة ... تثير رثاء يستجيش المآقيا
أيمضي ابن مسعود وأضحك بعده ... هنيئا ؛ فما للمضحكات وما ليا

هكذا كان المفتتح . ثم بعد أبيات لم أقدر أن آتي برثاء يستجيش المآقي فرزئت بياني حقا . . .

وكذلك توفي آخر (١) من المدرسين أصحابنا الادباء الكبار . فأردت ان اقول فيه مرثية تقبل حتى عند الشعراء الجدد . ولكنه لم ابلغ فيها كل ما أريد . وقد بلغت نحو (٧٠) بيتا . قلتها في نصف نهار . ثم نقحتها في صبيحة يوم آخر . وقد مشيت فيها على نمط الرثاء . ولكن حاولت ان ارفعها جهدي على مستوى الرثاء القديم . ومطلعها :

حياتك لو تدري الحقائق : زور ... وآل على مرأى العيون يمور(٢)
أيفرح بالدنيا ونيل سنائها ... وان كان ملكا من لديه شعور
أيرضى بضيم بالخيال وان يكن ... له رونق من في حشاه ضمير
اقفر يباب ليس ينقع غلة ... لمن كان فيه روضة وغدير
هل النوك الا في امرىء خال انما ... عذاب الحياة جنة وحرير (٣)
فماذا رأى الانسان مذ كان ناشئا ... سوى نكد يطفو عليه ثبور (٤)
حياة تموج بالبلايا جميعها ... اذا ما مضى شر تلته شرور
فليس بمجد في الحياة اذا أتت ... مصائب مال في اليدين وفير
تفتش ما بين الاسى عن مسرة ... تدوم ؛ متى يا قوم دام سرور
حياتك هذي فالدياجي محيطة ... فهل شمت برقا في الحياة ينير
فافراحها حزن وأعراسها عنا ... وآمالها برق الهوى وغرور
فبينا ترى منها سرورا تبينه ... اذا بأمور بعدهن أمور
حوادثها تترى فتعلن حالها ... سوى ان فهم الحادثات عسير
فماذا يرجى المرء بين حياته ... وقد شاهدت عيناه كيف تدور
فاما عطايا الدهر فهي قليلة ... واما بلايا سلبه فكثير

١) سيدي أحمد بن الحاج محمد اليزيدي . والقصيدة في ترجمته في في ٩ من (المعسول)
٢) آل : سراب . يمور : يتحرك ويضطرب .
٣) النوك : الحمق
٤) الثبور : الويل

الى أن قيل في المرثى :

أحقا مضى ذلك المدرس وانقضى ... وكان له نحو الفناء مصير
أحقا مضى من لانظير لـه وهل ... لمن فيه هاتيك الخصال نظير
أحقا مضى من قبل أن تقضى العلا ... به حاجة كانت عليه تدور
فهل أقبروا رغما هناك ذكاءه ... أليس له بين العلوم نصير
وهل بددوا تلك البلاغة في الثرى ... فبـاد نظيـم باهـر ونثير
فكيف نعاه للانام نعاتـه ... ألم يتزلزل عند ذاك ثبير
ألم تتمزع من ذوى العلم والحجا ... غـداة نعوه أضلع وصدور
فكيف ترى أحوال اتباعه وقـد ... دهاهم من أفواه النعاة سعير
أمـا ذابت الاحشاء منهم بما به ... تذوب من أكناف الجبال صخور
الى أين يطوون المراحل بعـده ... فدور جميع الدراسين قبور
فقد عريت أفراسهم وتتابعت ... عليهم وهم في المعرضين عصور
كأن بني (سوس) تقضى نصيبهم ... من الدرس حتى لايثور غيور
عـلى مثلها يجرى أسى وكآبـة ... على الرغم ؛ دمع لايغيض غزير
الا ان من ترويه في العلم نقطة ... وتكفيه منـه قبصة لغرير (١)
اذا العلم في قوم خوى نجمه فهم ... وان انكروا قوم هوالك بور (٢)
فقد نكبوا نهج المعالى ومن يحد ... عن النهج فهو بالضلال جـدير
ومن ليس ذا علم فميت محقق ... وان لم يزره منكر ونكير

الى أن قال في آخرها :

جلائل أعمال تطيب بذكرها ... اذا نسمتها أحرف وسطور
تراث الفتى أعماله في حياته ... وما عنه من بعد الممات يسير
فما أسعد المرء الذى شغل عمره ... لدى شعبه ان يذكروه أثير

ولعلك قرات في هذا البحر والقافية : مرثيتي شوقي وحافظ في (تولستوى) الروسى . وكذلك لاتزال تستحضر بلا ريب القصيدة النواسية في الخصيب : أمير (مصر) وهي التى فيها :

(وتحدث بعد الامور امور)

وهو الشطر الذى اغرت عليـه (٣) غارة شعواء . كمـا اغرت أيضا بغارة ملحاح على شطر آخر من موازنة للنواسية للشاعر القسطلى الاندلسى في ابن أبى عامر وهو :

---

١) القبصة كتمرة : ما تأخذه بأطراف أصابعك .

٢) خوى النجم : سقـط

٣) في قوله : (اذا بأمور بعدهن أمور)

(وان بيوت العاجزين قبـور) (١)

فهكذا والحمد لله أقر بالسرقة . ولا أحسب بعض الشعراء الجدد عندكم فى (الحمراء) يقر بالسرقة فى شعر قال فيه . فيما بلغنى :

ذكـرى تثير مشاعرى وشجونى أكـذا تـذوب حشاشة المحزون

مـع أن ذلك تعلمونه جميعا منى هناك . وقد بنيت عليه هنا قصيدة (٢) أم أننى قد ارمست بالنفى وانقضى أمرى فيما يزعمون . فلم يبق حينئذ - حين ينتهب أقوال الناس - الا أن يسلك الشعراء مسلك المخترعين . فيسجلون فى دفاتر الحكومة ما يقولون . حتى اذا امتدت يـد الى أقوالهم حاكمـوه أمام العدالـة . وقد تذكرت الآن ما حدثنى به الشاعر المرحوم التنانى . قال :

ان الاستاذ (فلانـا) الذى كنت لاتفارقـه هنا ولا يفارقك قـط . تعرض ذكرك يوما فى أحد الاندية . بين من يجلسون اليه . فقال باشمئزاز واحتقار : هو ذاك الطالب السوسى المسمى (المختار) الذى كان أياما هنا . ثم أبعد الى سوسه . ثم مضى فى كلامه . مستصغرا لشأن ذلـك السوسى المسكين . فكأننى ألممت بـ (مراكش) المامـة قصيرة . فـى أيام نكرة من النكرات . ثم لم انشب أن رجعت الى ما كنت فيه من بلاد أخرى . فكأننى لم أقض فى (الحمراء) ما بين ١٣٣٧ الى ١٣٥٥ هـ ولا تستثنى منهـا الا سنون قليلة . قضيتها بـ(فاس) و(الرباط) مع ترددادى دائما لـ(مراكش) وتكون داره - هو - مقيل ومبيتى غالبا . فى كل هذين العقدين من الاعوام وهكذا يفعل الغرور بأهله . فيريدون أن يتناسى الناس غيرهم . وان لايذكروا سواهم . فيا رحمتا لمن ابتلاه الله بمثل هذا الحال النغر . فالحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به كثيرا من خلقه . ومسح صدورنا من أن نحسد أحدا . فيعلم الله أننى لما سمعت بأن المذكور منحه الله ما منحه . قد قلت : انـه سيؤدى الواجب فيما تولاه كما ينبغى أحسن من غـيره . لما أراه منـه من أهلية لذلك الميدان . ولما أعرفه منه من الامعان لكل ما فيه من قوة . ليأتى بنتيجة يحمد عليها . لا يقانى بولوعه بالاتقان وبالسعى المحمود دائما فى كل أعماله . فها هو ذا قد طويت صحيفته اليوم - رحمه الله - أفيعجب القارىء ان قلت له : اننى لم أزد على أن سامحته فيما بينى وبين نفسى . فقلت : يجب علينا أن تكون هكذا على أذيال المسامحة والاغضاء . والا فبالله عليك ماذا تجدى مثل تلك الحياة . فالانسان ان لم يقدر أن ينفع فلا يضر .

---

١) فى قولى : (ودور جميع الدراسين قبور)

٢) توجد فيما مضى من (الالغيات)

واما أن يتعمد الاضرار دائما . ويتعمد ترك المنفعة . فانه لاريب من الذين سبق لهم ما سبق فى أزله . فالله يأخذ بايدينا ويهدينا جميعا حتى نكون عند ظن أمتنا بنا . ويعلم الله ما ألاقى من ذلك الاكبار الذى كان الشعب يلاقينى به . يوم زرت المدن من قريب . مع أننى لا أعمل أى شيء مجد نحوه مما هو واجب عليّ . ومن كان ذا المعية . فانه يلحظ عليّ اذ ذاك ما انا فيه فى مثل تلك المواقف التى لا أستحقها . والحمد لله حين لم أغتر بها ولا خدعت بسببها . والمختار المسكين هو المختار أمس واليوم وغدا - لاتبديل لخلق الله -

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

أو كما قال المعرى :

فليشهد الناس انى جاهل ورع فليحضر الناس اقرارى واشهادى

فالاحمق من يترك يقين نفسه لظن الناس . وبودى لو فتح لى أيضا باب عمل أنفع فيه الشعب بما فى مستطاعى - ولا يكون فى مستطاعى الا طريق العلم والدين - اذن لبذلت ذات نفسى . غير طالب الا كفافا يكفينى ما حييت . ولهذا نفسه أكبر العاملين فى كل ميدان . واقدمهم على نفسى . واراهم سادتى وموالى . ولا أسامح من يحوم حولهم أمامى بمغمز أو يمسهم بسوء . كما هو شأن الغمازين اللمازين. متى عن ذكر عامل من كبار العاملين

= 6 =

سواء ابقيت ياتلميذى أمس ذلك الاريحى اللطيف. والشاعر الرقيق. والسمير الموافق . والاديب المحاضر . والشاب اللوذعى . أم عدت جاسيا صلبا جاف النظرات . غليظ الطباع . قاسى الفؤاد . عربيدا على الجلاس . وكانونا على المتحدثين (١) قد اقتبست من سهول (دكالة) طباعا جديدة . استبدلتها بتلك الطباع اللطيفة الدمثة . فاننى أتخذتك . كيفما كنت - ويعلم الله كيف كنت - سميرا منذ اليوم . فقد افتتحت الرسالة . أكتب كما كنت أفتتح المحادثة معك منذ ثمانى سنين ونصف . فاسترسل بغير تأمل . ولا نظر الى ملاءمة بين حديث وحديث . فقد أحسن التخلص كما يحسنه شاعر مقتدر بين نسيبه ومديحه . وكثيرا ما اقتضب الحديث اقتضابا فاترامى على حديث آخر . وكل ذلك لاتمثل امامك بقلمى . كما كنت أتمثل امامك أمس بنفسى . لتوقن غاية الايقان : ان السنين لم تأخذ - والحمد لله -

---

١) من قول الحطيئة حين يقول فى أمه :

أغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا

من استاذك . ولا غيرت من نفسيته . ولا انه عزم على أن يستبدل ذلك الخلق الذى كنت تعرفه منه . فلا خير فيمن يتجلى فى كل يوم بخلق . ولا فيمن يستبدل دائما خليلا بخليل :

وليس خليلى بالملول ولا الذى ... اذا غبت عنه باعنى بخليل

فأتمنى لو كشف لك عنى سر الغيب . فتراني فى غرفة عليا مفروشة بحصير . وقد مدت على حفافيها زراب مبثوثة . وأولادى الثلاثة عبد الله . وسعيد . وعبد العزيز ـ الوافد علينا أخيرا ـ يمرحون حولى . ويقفز عبد الله ابن نحو ثمانى سنوات هنا وهناك . كما يحاول شقيقه سعيد أن يصنع مثله لو لم تخنه قوة صنوه . وأنا بينهم مكب على مخاطبتك . وأتصورك كما كنت أعرفك ـ ان بقيت بعد . كما كنت أعرفك ـ فلو أطلعت علينا لاخترت أن تقضى وقتا معنا فى هذا الجو الصافى الصحيح . الذى لاتجد فيه ما تجده فى هذا الفصل الحار من (الحمراء) وقد تذكرت الآن أنك زرت (١) قبل : (الغ) معى ١٣٥٤ هـ وأزيدك على ما تعرفه منه : انه الآن ذو حضارة تغتبط بها لو زرته . فهنا سيارة وهاتف ومذياع . وروض أريض وهدوء . وجو يموج بالصحة . وفى مثل هذا الفصل قلت فى (الغ) فيما مضى قطعة مطلعهـــا :

يا طيب (الغ) فى الربيع فما ... لجوه فى طيبه من قسيم
أرجـاؤه الفيحـاء مخضرة ... تقابل الطرف بوجه قسيم
فكلمـــا أسمته نظـرة ... أسمتها بين بسيط وسيم
يموج بالصحة لست ترى ... ذا علـة هناك الا النسيم (٢)

أتنبأ الآن أنـك لاتكاد تقرأ كل هـذا حتى يستوقفك البيت الذى فيه : النسيم العليل . فيعجبك هذا التعبير . فيملك شعورك . وتتمنى لو طرت الى لتحاضرنى وأحاضرك من جديد . أليس كذلك . مالك تقهقه . افلا تقر الآن بصحـة تنبؤاتى . وان فى البداوة لرجالا يعرفـون كيف يستثيرون مشاعركم يا أهل الحضارة :

ومن تكـن الحضارة أعجبته ... فاى رجال باديـة ترانـا

ولا أزيد على ذلك قول هذا الشاعر فى البيت الثانى :

ومن ملك الجحاش فان فينا ... قنا سلبا وافراسا حسانـا

---

١) هذه الزيارة كنت سجلتها فى رحلة (من مراكش الى الغ) ولا تزال مخطوطـة .

٢) توجد كلها فى مقدمة (المعسول)

لأن الكل اليوم فـي الهوى سوا ـ كما يقولون ـ فمـا لبدوى اليوم قناة ولا فـرس .

= 7 =

(وبعد) فهل قرأت مقالة الزيات المنقولة فى عدد ٦٣٨٣ من «السعادة» فقد رأيت ما وصف به معروفا الرصافى المرحوم . من كونه لايزال يلح فى المعاقرة والاستهتار . والمجون . حتى خسر الدنيا والآخرة . فقد كنت استحضر كثيرين من الشعراء الجدد . من الذين يسلكون هذه السبيل دائما فيعز علىَّ أن يخسروا كذلك الدنيا والآخرة . فيالها من عظة وعبرة جاءتنا من (مصر) التى كانت فى بعض أحيانها لاتفيض علينا بعض مجلاتها الماجنة الا بما يبرر المخزيات والتهتك . ونبذ الفضيلة وآداب الدين .

ولا اقدر أن امسك قلمى عن تسطير ما راعنى فى الحواضر حين زرتها من قريب . من تقلص آداب الاجتماع . وقلة الاعتناء بالدين وأهله . فقد ارتفعت الصلاة فى المجتمعات من النشء . وتبدلت الاخـلاق . وانعكست الموازين . فبذلك كثر نفورى من غالب المجتمعات . فالى أين نحن سائرون الا أن الذى لايزال يستمسك به الفؤاد مشاهدة بعـض كبار من رؤساء الشباب . فكرتهم لاتزال دينية. وان كان الاتصاف بالدين العملى. والوقوف مع مشاعره يقل فى الغالب . فقـد رأيتنى أتوسط لما كنت هناك مجالس ممن هم على فكرة واحدة . وهم أهل غيرة وشعور . ثم يصل وقت الصلاة . ويتوسط . ويكاد يخرج . ولا ترى من يهمه أداء فرض ربه . حتى ان بعض من يقف دائما على تلك القدم . فلا يخرج الصلوات عن أوقاتها . لا يزال يتربص غفلة من الحاضرين ليصلى متسترا . أو يعتذر بعذر يخرج به من بينهم ليؤدى فريضته خارجا خوف أن يستثقلوه . أو يقولـوا انـه مراء . وأما العربية فقد ألقيت وراء . فانظر بعينيك الى أين وصلنا فى جيل واحد فكيف بنا فى جيلين أو ثلاثة (١) والى الله المشتكى . وقد اتكلت على الله فى مجالس فأديت ما علىَّ من تنبيه الحاضرين نحو الدين واللغة . ولا أبالى بما لابد أن يقال عنى من الجمود أو من الرجعية . أو من الرياء . وأمثال ذلك . مما يقال عمن يسمونهم أهل القرون الوسطى :

هـذا الزمان الذى كنـا نحذره	فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
ان دام هـذا ولم تحدث له غير	لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

---

١) هذا الحال قد ازداد أضعافا مضاعفة بعد الاستقلال . كأننا استقللنا لنتبذ ديننا ولغتنا . فاللهم سلم سلم .

وقد ذكر لى أن كثيرا من طلبة كلياتنا الدينية على هذه الوتيرة . فما ظنك – اذن – بطلبة المدارس الحكومية . واما المعاقرة . واعتناق مبدأ ابى نواس فيهـــا :

الا فاسقنى خمرا وقل هى الخمر ... ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
وصرح بما تهوى ودعنى من الكنى ... فلا خير فى اللذات من دونها ستر

فهو المذهب السائد بين غالب المجتمعات . الا بين المفاليس او بين جامدين رجعيين أمثالنا الذين يكفرون بقول الاخطـل :

ولست بصائم رمضان طوعا ... ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بقائـم كالعير ادعو ... قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربهـا شمـولا ... وأسجد عند منبلج الصباح

فلو استنشد أحدهم في وصف لأثر من الآثار . لايستحضر الا قول الاخطل ايضـــا :

أناخـوا فجـروا شاصيات كأنهـا ... رجال من السودان لم يتسربلوا ١
فقلت اصبحونى لا أبا لأبيكم ... وما وضعوا الاثقال الا ليفعلوا
فصبوا عقارا فى الاناء كأنها ... اذا لمحوهـا جـذوة تتأكـل
وجاءوا ببيسانيـة هى بعد ما ... يعل بهـا الساقى ألـذ وأسهل ٢
تمر بها الايدى سنيحا وبارحا ... وتوضع بـ(اللهمَّ) حى وتحمل
فتوقف أحيانـا فيفصل بيننا ... غناء مغن أو شواء مرعبل ٣
فلـذت لمرتاح وطابت لشارب ... وراجعنى منهـا مراح وأخيل
فما ألبثتنا شهوة لحقت بنـا ... توابعهـا ممـا نعـل وننهل
تدب دبيبا فى العظام كأنـه ... دبيب نمال فـى نقا يتهيل

وربما ينشد ما هو أعرق فى وصف ذلك . وهو قول أبى نواس أيضا :

ودار ندامى عطلوها وأدلجـوا ... بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاث ريحان جنى ويابس
ولم أدر من هم غير ما شهدت به ... بشرقى (ساباط) الديار البسابس
أقمنا بها يوما ويومين بعـده ... ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس

---

١) شاصيات : مرتفعات . يعنى زقاق الخمور : اى الجلود التى تكـون فيها اذ ذاك .

٢) بيسان : مكان تنسب له الخمر .

٣) رعبل اللحم فترعبل : شققه لتصل النار اليه وتنضجه .

قرارتها كسرى وفــي جنباتها   مهي تدريها بالقسي الفوارس (١)
فللخمر ما زرت عليه جيوبها   وللراح ما دارت عليه القلانس

فان أتأسف فلا أتأسف الا على شيء رأيته في تلك السفرة في (الرباط) وفي (فاس) عن نشء يتسامى الى التضلع في الادب . وله أهلية . الا أنه يفقد من يأخذ بيده . وطالما كرروا على مسامعي تمنيات تدور حول الانقطاع اليهم . ولكن يأبى الزمان الى الآن أن ينزل عند كل أمانينا جميعا . ولعله يبدو له فتزول الموانع عن قريب ان شاء الله .

= 8 =

هناك بين يدي بعـض الغرباء الذين خلقوا من الوفاء لكل من بينه وبينهم ادنى تعارف : مؤلف صغير مسمى : (ذكريات) (٢) الف في مختتم ١٣٥٦ هـ ومما فيه :

نبغ من بين الذين كانوا يأخذون في (الزاوية) بـ (الرميلة) في الادب أناس . في طليعتهم (فلان) فقد تسربت الي وأنا في منفاي هذا جملة من أقوالـه . فكنت كثيرا مـا أتناولها . فأتملى بانشادها . وأشدو بقوافيها . فأجدني في أعلى عليين .

كان والد هذا النابغة أحد من كنت أجلهم غاية الاجلال من أعماق قلبي وكان بسبب مجاورته معنا دارا لدار . اتصال كبير بيننا وبينـه . حتى كانت داره مغداي وممساي في غالب الايام . فكان والداه دائما منبع أنسي وروضة نفسي. وقد اكتشفت من ابنهما هذا نبوغا رائعا بعد التحاقه بحلقتنا غير ان نبوغه مقتصر على فن الادب . وقد أزور عن الفنون الاخرى . فكنت أعتني به في هذه الناحية . فأطارحه القوافي في كل مناسبة . وفي كتاب (الرميليات) وهو كتاب جمع فيه ما كان يصدر من أستاذ (الرميلة) نحو تلاميذه . طائفة مما كنت خاطبته به (٣) وكنت ألقي أحيانا عرق القربة في تقويمه . لأني أحب أن لاتصدر منه أية فلتة يغضى لها غدا متى كان له شأن فكنت أمعن في تعنيفه وتثريبه . ثم يعجبني منه أنه يعرف لي هذا الاخلاص في نصحه . ويقدر قدر ما اريد أن يمثل به دوره في المستقبل . وكان هو بنفسه يحاول أن لايخرج عن المهيع ما استطاع. ويجد القارىء في الكتاب المذكور قصيدة مطلعها :

بأثمار نصحي أو بما قلت من شعري   بأيهما قلبي يرفرف في صدري

---

١) تدريهـا : تختلها .

٢) مؤلف على حدة صغير .   ٣) سيأتي بعض ذلك قريبا .

وهو جواب قصيدة فذة كان وجهها الىّ بعدما عنفته تعنيفا شديدا اثر زلة قاده اليها ريعان الشباب. والبيئة التى قلما يسلم منها مثله من أبناء الاكابر فأجابنى بقصيدة قالها . فنفحت منها اذ ذاك وشجعته على المثابرة على القول ومطلعهـــا :

رويدك يكفينى الذى ذقت من مر فلست اذا عـاودت بالرجل الحر

كانت هذه القصيدة من باكورات هذا الاديب . ثم لـم ينشب أن ترقى . ولاسيما حين التحق بالكلية (الزيتونية) بعدما فارقت (الحمراء) وهذا بعض ما اخترت له من روائعه . ثم كتب بعض ما تقدم من المقطعات . ثم قيل بعدها هذا بعض ما عندى الآن للنابغة الجديد . وأنا والله لاقرأه . وأحس من نفسى فرحا عظيما بمشاهدة أثمار عملى . وادراك غرسى (وكل فتاة بأبيها معجبة) لا أدرى كيف يفتن الانسان بأولاده هذه الفتنة التى تعمى وتصم . فاننى كلما آنست من أحد ممن يمتون الىّ شفوفا . أكاد أطير حبورا . حتى كأنى أنا صاحب الشفوف . ولا يعلم الا الله كيف أكون يوم أقرأ روائع الشاعر التنانى التى تفجر بها ينبوعه بعدى . فالحمد لله الذى أقر أعيننا بهـذه الثلة الادبية الحية . فلأحمد شوقى والتنانى وعرفـة والردانى وابرهيم الالغى . وابرهيم بن أحمد . وابن العربى الاسفى . وعبد الحى البزيوى . واخوانهم من ادبائنا الذين يمتون الىّ أفضل عندى من الوقوع على الكنوز التى مفاتيحها تنوء بالعصبة أولى القوة .

لكن آه من هذا البعد الشديد . فمتى ينطوى يا رباه .

* * *

ذلك ما فى ذلك الكتاب (الذكريات) وليت شعرى أأجرى قط بعض الناس من نفس على طرس ما يدلى به يوم يحتج المحتجون بالوفاء . ويدلون بالشواهد عن التاريخ الذى لايكذب . أو يقولون تلك أمة قد خلت . وقد شب عمرو عن الطوق . فانما كانت غمرة ثم انجلت . فقـد جاء نهر الله فبطل نهر معقل . فهل حوول قط تخليد تلك الاعمـال التى ان تجاهلها حساد . أو تعامى عنها أباعد . فان من توسطها . ورتع حينا فى رياضها . لجدير أن يكبرها فيخلدها . كما حاول من يأباها غمطها ودسها فى عالم العدم . فهؤلاء أدباء (الرميلة) : شوقى . عرفة . الردانى . التنانى . ابن العربى الآسفى . عبد الحى الابزيوى . ابرهيم الالغى وعثمان المطاعى كلهم ذوو قواف . ألا ينبغى أن يخلدوا فى صحيفة (الرميلة) لاسيما ان زيـد اليها مـا لابد أن يكون من عند نبغاء آخرين سواهم . من نثر نضير . أو قطعة لطيفة . فما للهمم تموت فى مهدها . أم تريدون أن نعلمكم ثم نؤرخكم لقد طمتعم فى محال . فالغد كشاف . وهل يجازى الا العاملون .

الجواب :

صبرت لأمر القضا والقدر — وسلمت أمري لرب البشر
فكم ليلة بتها ساهرا — أفكر في الدهر كيف غدر
وهل ينفع الفكر في غدره — وهل يحدث الدهر الاّ الغير
وكم ليلة بتها نائما — أرى الهول في حلمها والخطر
أشاهد فعل زمان بدا — يضعضع من عزمنا ما ظهر
رمى نحونا كل آبدة — فأبدى العداء الذي قد ستر
يحاول جهلا تضعضعنا — ويقذفنا حسدا بالكدر
وما علم الدهر ان لنا — عزائم تفلق صم الحجر
وما ظن أن نفوس الشبا — ب اذا عزمت قد تفل الزبر ١
فلا تستنيم لضيم ولا — تلوذ اذا هددت بالحذر
فكم نالنا اثر نفيك من — أمور لها الشم لا تصطبر
فهذا رموه بزندقة — وذا جعلوه كمن قد كفر
وقد شتتوا شملنا بعدكم — وراموا بذلك نيل الوطر
فمن تاجر يشتري ويبيـ — ـع ومن طالب للعلا بالسفر
وآخر أصبح مستخدما — يفتش عن عيشه في غرر
وآخر في مهمه قد غدا — جليس الحمير أليف البقر
يظل على الجمر محترقا — ويمشي مع الليل نحو الكدر
وقد زعموا أن فقداننا — لشخصكم قد يزيل الأثر
وما علموا أن تعليمكم — وتأثير تثقيفكم قد بهر
وما غاب نجمك عنا وان — تغيبت دهرا وها هو مر
فيا أيها القلب لا تبتئس — فان الامور بوفق القدر
ويا أيها الندب لا تبتعد — فان البعاد مَرير الصدر
فانك كالغيث ان تبتعد — أصبنا بقحط النهى والفكر
فلو بكم قيس كل الورى — لكانوا النجوم وكنت القمر
سقى بلدا كنت فيه العها — د وأبعد عنها العدا والخطر

أستاذي وملاذي ومنقذي من بورة الجهل وأبي الثاني ومشذبي . وصوان عفتي . ومقومي الى الصراط المستقيم :

لم يكد يطرق سمعي نبأ وصول كتابك اليّ حتى بادرت الى استلامه لأرتشف منه زلالا عذبا . بعد ما كاد يقضي عليّ ظما دام سنوات فسنوات كانت عليّ أشد من سني يوسف .

---

١) جمع زبرة كخضرة : القطعة الضخمة من الحديد .

أخذت أقرأ الكتاب . فراعتني منـه تلك البساطة الحلوة . وذلـك الشعور الرقيق . وهاتيك العواطف النبيلة التى كانت تجذبنى اليك . رغم العواصف التى كانت تكاد تصدنى عنك وأنا متبجبج هذه البيئة المفعمـة بالاوباء . والجراثيم السامة .

أخذت اقرأ الكتاب وعيناى ترسلان رذاذا متواليا . يحول بين عينى وبين الكتاب . وحليلتى ازائى . تنظر الىّ نظرات ملئها الشفقة والحنان .

أخذت أقرأ الكتاب وانا اود من كل قلبى أن لاينقضى . وارجـو ان تستغرق قراءتى له مدة تعادل مدة الفراق . حتى انقع غلتى . أو على الاقل حتى أنسى ساعتى . وأرجع قليلا الى الماضى . الى الماضى السعيد . الذى كنت أحيا فيه حياة ملؤها الغبطة والسرور . والصيانـة والعفة . بـل القداسة المجسمة . تلك الحياة التى كنت لا أفهمها ولا أتذوق معناها . الا بعدما حال الجريض دون القريـض .

آه . . . ما أحلى تلك الايام . وما أعذب تلك الليالى . ولكن ما أشد تقلبات الزمان . وما أنكى ضربات الدهر . انه لم يبق لى من تلك الايام الا الذكريات . والذكرى صدى الماضى الحـاكى .

استاذى . . . عجيب منك كيف تذهب بك الشكوك . وكيف تطير بك الظنون . حتى تظن باخلص مخلص لك . وباكبر معجب بك . وأطوع تلميذ وابر ابن : أن يتبدل عن حالته . وأن ينهج غير منهجه . وان ينسى كل خير أسديته اليه . مرغوبا غير راغب . ومطلوبا غير طالب . وان ينبذ كل ذلك وراءه ظهريا . ولو وقع وثبت ان فعلت فانى ـ اذن ـ لنذل لئيم . وما كنت لتربى نذلا لئيما .

لقـد تبدلت الاحوال كلها بعدك تبدلا مبينا . ونسى الماضى بالكلية . وصار كل من تعرف ومن لاتعرف . لايتذكر من ذلك الماضى الا نبذا يسيرة كما يتذكر الطفل أيام طفولته . وانك ربما احسست بشىء فى ذلك حين زرت هذه الديار أخيرا . وشاهدت بالعيان ما استطيع أن أصفه لك بوساطة اليراع . ولكن كنت لا تزال فى (الغ) وانما خطفت هذه الزورة . فان ذلك قد يتراءى لك منه بصيص . تتنور به بعيداً ما وراء الاكمة .

لقد أصبح الاخلاص والاعتراف بالجميل نكرة من النكرات . واصبح النصح جريمة . فينكف عنه من كان أهلا له . قبل أن يعرض عنه ما عسى أن يحتاج اليه . فأين ما كنا نعرفه منك دائما : مخلصا مشوبا بعواطف جذابة . وباشفاق وحنان . وتربية مقومة . وصيانة عن كل دنس . فهيهات

قد طوى البساط بعدك بما فيه . فذهبت الفضيلة بذهابك . وغاب الاخذ بايدي الشباب المراكشي بغيبتك . فها هي ذي الفضيلة كالثكلى الغريبة في حظيرة اللئام . تندب حظها . وتبكي منك ايها الاستاذ من كان يحوطها ويذود عن سياجها . فيا للفضيلة بعدك . فلا ضمير يرثي لها . ولا عزاء لها الا في دموع حارة . وزفرات تتدفع من بين ضلوعها . تسترحم الناس بعدك ولا راحم . وتستعدي على هتاكها ولا معين ولا مصرخ . فلا تجد الا قلوبا اقسى من الجلاميد . اذ لا هم للناس اليوم الا في احدى ثلاث : الخوض في الملايين والملايير . من الذهب والفضة وما اشبههما . والتبجح بالافكار السياسية المعوجة الفارغة . التي ليست بنبع اذا عدت ولا غرب (١) فيقارنون ما بين سعد وغاندي . وبين روزفيلت وستالين . فهذا له صولة وذاك له جولة . والثالثة التي هي ثالثة الاثافي : معاقرة الخندريس ومراشفة كؤوسها . فتجد هذا سكران طافحا . وذاك لم يسكر بعد لقوة مزاجه . واما الدين والفضيلة . والعلم والبحث في فنونه . ومطالعة الكتب النافعة . فاصحابها قليلون . وربعها ماحل . وكل هذه ثانويات عند من يلم بها احيانا . حتى عند كثير من المتدينين . لان التمسك بالدين اليوم والقيام بشعائره . والمحافظة عليه في الجماعة . اصبح وصمة في جبين الحضارة - والعياذ بالله - وعقبة كأداء في سبيل المتدين والرقي .

ما انس لا انس عشية ضمتني انا وبعض الاخوان القدماء . المتزعمين للحركة السياسية هنا في بلد النخيل . فكنا نتجاذب اطراف الاحاديث . الى ان انتهينا الى حديث الحركة السياسية في (المغرب) فهناك قلت لهما : اسمحا لي أن أبدي لكما فكرتي في القضية المغربية . فقالا لي : قل فانا لك من المنصتين . فحينذاك صرحت بفكرتي . وأبديت رايي بكل صراحة . فكان مما قلت لهما : ان الحركة السياسية بـ (المغرب) ما دامت غير مرتكزة على روح الشعب وما روح الامة الا الدين . ما دامت ترتكز على ذلك فانني اراها غير ناجحة النجاح التام المطلوب . وغير بالغة الغاية المنشودة . فلئن برقت من نجاحها بارقة . فلابد ان تنطفيء وشيكا . وتخفق في أيدى العاملين فيها . فان (المغرب) بدو متسع كثير . وحضر ضيق قليل . وما دام ليس هناك ما يجمع كل البادية والحاضرين كتلة واحدة . فلا يمكن النجاح المطلوب وهل يجمع بين كل أفراد المغاربة كيفما كانوا الا الدين . هذا الدين الذي

---

١) النبع كفلس . والغرب محركا : من أشجار البادية . وهو ماخوذ من قول أبي تمام :

تخرصا وأحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

استولى على أشغفة القلوب . وذاق المسلمون حلاوته . ولمسوا كفالته بكل ما يراد منه دينا ودنيا فى هذه الحياة وفى الاخرى . فقالا لى : ما برهانك على هذا ؟ فقلت : برهانى الماضى والحاضر معا . فقد رأينا فى التاريخ أن (المغرب) ما كان له ذكر الا تحت راية الاسلام . فبه صار امة عظيمة . ومملكة يحسب لها جيرانها ألف حساب . وكل الانقلابات التى مضت فى تاريخ (المغرب) لم تؤسس الا على الدين . ولا نجحت الا تحت رايته فى كل الميادين . فمن عقيدة الدين استطاع المصلحون أن يتقدموا بالشعب فى كل حين . وثانيا : العقول المغربية قوية عنيدة . اكتسبت قوتها وعنادتها من طبيعة ارضها . وهواء مناخها . فهى لاتنقاد الا الى قوة أقوى من قوتها. مع ادراكها بالايمان نفع ما ستنتقل اليه من جديد . وقوة الدين وحدها هى القوة الوحيدة التى تتكسر كل القوى ازاءها فى نظر الشعب المغربى . وهذا هو الماضى . وأما الحاضر فاننا نلمس أن الشرط الذى يجعله الشعب فى رأس قائمة الاخلاق التى يشترطها فى زعماء اليوم . هو الدين والفضيلة والعزيمة . وما الى تلك السجايا التى لايمكن أن يتصف به الا المتدينون .

فلم أكد أتم قولى حتى انبرى لى الزعيم الاول ينقض حججى ببراهين مرتجلة . لاتمت الى المنطق . ولا تستمد من العقل السليم . ولا من تجارب الحياة . وكل ما يحوم حوله أن يذكر بعض زعماء اليوم فى الشرق زعم أنهم نجحوا بلا تدين .

(وبعد) فأين منا أفكارك . بل أين الشباب الذين يحملونها . ففى سبيل الله ما قاسيت معنا يا أستاذنا النصوح . المشفق المسدد فى أفكاره ونصائحه لنا حتى نكون خير مثل عليا بالعلم النافع . وبالاخلاق الفاضلة . وبسداد الآراء .

وختاما يقبل يدك ولدك . والى اللقاء ان شاء الله .

نتفة صغيرة عن زاوية (الرميلة)

كنا أمس ـ وما أدراك ما كان أمس من الاعتناء بالعربية ـ نجتهد أن نربي التلاميذ تربية مؤسسة على أسس العربية المتينة . وحين كان محلنا مكتبا قرءانيا محضا أولا . حوفظ فيه على موالاة حفظ القرءان . وخصصنا له أوقاتا في طرفي النهار . وبين ذلك نتدرج بالتلاميـذ في العربيـة . بأسلوب سهل . استطعنا أن نستخرجه من الاسلوب الصعب الـذى كان يولف اذ ذاك اتباعه في الدراسة العامة . ولذلك سرعان ما يتذوقه التلاميذ تذوقا عجيبا . فيستحلون أوقات هذه الدروس . بقدر ما يستثقلون أوقات حفظ القرءان . قبل أن يعرف أحدهم من معاني القرءان بدروسه العربية ما يجعله أيضا يستحلى حتى ما كان يستثقله قبل من معاناة حفظه . ولا أريد أن أبين هنا برنامجنا اذ ذاك . وانما أريد ان الفت نظر القارىء الى الناحية الادبية بين العلوم العربية التى نتعاطاها . فقد كان للادب وللغة المحضة عناية خاصة من اعمالنا . وكتب التلاوة للمبتدئين لاتخرج عن كتب المنفلوطى وعن (نور اليقين) ومنها يستقون لدروس الانشاء الذى يواخذون به كل يوم خميس . فكان كل من رأينا منه تقدما . أو ءانسنا منه كسلا . أو ختم القرآن او فعل فعلة ما محمودة أو غير محمودة . نسجلها له فى قطعة مقفاة . يحفظها فيلقيها يوم ينتدى الطلبة فى حفلة ما . اما فى(النزه) واما فى اجتماع خاص يعقد . زيادة على ما نفعله بالطلبة الكبار الذين جاءونا وقد حفظوا القرآن فانخرطوا فى متابعة الدروس التى نظمت لكل طبقة . وذلك اننا خصصنا كل واحد لحفظ قصيدة كبرى نختارها له . كنونية ابن زيدون . ورائية ابن عمار . والنونية المسماة (كنز الادب) عنـد الاندلسيين . ورائيـة ابن عبدون . ورائية على بن الجهم . ومن المعلقات السبع . ومن قصائد المخضرمين ومن قصائد شوقى وحافظ . وشعراء (المغرب) وقد عددنا هذه المحفوظات يوما . فوجدناها وصلت أزيد من خمسين (وقد التزمنا ترجمة كل شاعر يوم حفظ قصيدته) وهذه هي التى يقوم بانشادها الكبار . حـين يقوم الصغار بقطعهم التى قيلت على ألسنتهم . والالفاظ تفسر . وكثرة الاسئلة والاجوبة تفتح الاذهان . فتستحضر المعانى . والمسابقة بين التلاميذ فـى أجلى معانيها . فاذ ذاك نبغ بسرعة أفذاذ . من البدويين والحضريين . وتفتقت نجابة غالبهم . والفضل فى ذلك كلها لله وحده . على يـد الاستاذ سيدى ابرهيم بن أحمد ومساعديه من كبار الطلبة . وقد فتشت الآن مـا تغرب معى من القوافى التى نقولها اذ ذاك عـلى السنة التلاميذ . فوجدت عندى البعض . وكذلك وجدت بعض مجاوبات مع بعضهم فهذا ما حضر :

بيني وبين ولدى سالم الرحماني التلميذ النجيب

خاطبته يوما بديهة بقولي ١٣٥٢ هـ :

كيف أنت وكيف حالك كيفا ... أنت عندي من أحسن الناس وصفا
أنت شهم والشهم يسبق في المي ... دان يجنى الاثمار يقطف قطفا

وقلت أيضا أخاطبه . مضمنا لبيت عبد الله بن عمر في ولده سالم :

الام عليك سالمُ بن يعيش اذ ... يودك منى من بفضلك عالم
(يديرونني في سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والانف سالم)

وعاتبته في ١٢ صفر ١٣٥٣ هـ بقولي :

ويح نفسي ممن ينكب نصحي ... مع أني أراه روحي وروحي
يعلم الله ما بذلت ولكن ... ما جنى ما بذلته غير شح
يستتيمون للدياجي وان كنـ ... ت الذى استنير فيهم بصبحي
ـما افتخار بانني الصبح لكن ... من تحرى يشيد حتى بمدح
ما يضير الابى ان أعلن الحـ ... ـق وأدى لصحبه محض نصح
ان فروه بكل ظن مريب ... ايلتْ السويق من غير جدح
لاقولن مـا أرى فسواءٌ ... صلدوا أم وروا زنادا بقدحي
واشيدن بينهم سمعوا أم ... اعرضوا بالذى يؤدي لربح

وخاطبته أيضا راضيا بعدما عتبت عليه ١٣٥٣ هـ وقد بعث الىَّ رسالة :

الىَّ فالهجران منى انقضى ... فاليوم أرضى عنك كل الرضا
قد عدت في عيني كما كنت في ... عهدك وضاح السنا ابيضا
رقيتني بالسحر مما وشت ... كفاك فارتد الذى قوضا
أرسلتها رسالة فـذة ... قضت على العتاب كل القضا
فها أنذا في اشتياق الى الـ ... ـوصل كأن قد شب في الغضا
فقد غدا بعد فراقك لى ... قلبى بما أصليته مرمضا
فاسرع الخطو الىَّ فقد ... أشمتني برق الهنا مومضا
بقيت للعويص تفتحه ... بسيف فكر صارم مُنتضى
فلا رجعت بعدها للونى ... لا عاش من عن العلا أعرضا

والقى خطبة طنانة يوما في محفل . وهي بانشائه . فكتبت عليها : ـ ٢٤ ـ ١١ ـ ١٣٤٠ هـ مضمنا لبيت شوقي مع بعض تغيير فيه :

كذا كذا فليخط النثر من كتبا ... وليبذل النصح للاخوان من خطبا
والعقل يظهر في شيئين رونقه ... في النطق ان قال أو في الكتب ان كتبا
(من يحسن الشيء لا يعدم جوازيه ... هيهات يذهب سعي المحسنين هبا)

وخاطبني في صفر ١٣٥٥ هـ بقطعة مختلة الوزن في بعض أبياتها .
فكتبت عليها :

أرى سالما لايعرف المد والجزرا ... ولا مدركا من بين أحجاره الدرا
يجيء الى الاشعار كيما يصوغها ... فيخطيء في المعنى ويخترق البحرا
كمن ضل في الموماء بين هواجر ... محرقة والال يبهره بهرا (١)
فيبقى شريدا قد تحير ما درى ... الى أين في أثناء تيالك الصحرا
ومن لم يرض يعبوبه وحده فلا ... يسابق به والخيل في حلبة تجرى
ومن لم يسن السيف قبل جلاده ... يخنه اذا القرن المنازل قد كرا
يفرط في استظهاره شعر من مضوا ... ويطمع في الافلاق ان انشأ الشعرا
فهيهات هل يجرى الصبي سوى اذا
يدب وهل يحبو اذا لازم الحجرا
(وبعد) فلا أدرى لما النشء كع عن
ميادين فيها ان أتوا يحرزوا الفخرا
ففي اليوم خمر ثم ان زارهم غد ... فسوف يرون الامر حينئذ أمرا
فقد وجدوا مني ولكن بجهلهم ... رموا جانبا نصحي وأقوالي الظهرا
فاستشهد الخلاق والدهر والورى ... جميعا بأني ما ألوتهم خيرا
فان ينجحوا يجنو الثمار دوانيا ... والا فقد بلغت من لدني عذرا

(أقول) : ان سالما هذا اليوم قاض كبير شرعي ماجد وفقه الله لكل مايحبه ويرضاه . وقد استتم في (فاس) حتى تخرج كما تقترحه المعالي

بيني وبين ولدي سيدي محمد بن ابرهيم الدفالي

قلت على لسانه اول رجب ١٣٥٥ هـ

اطير الى العليا بأجنحة البازي ... اذا ما جرى غيري بأجرد جماز
امر كخطف البرق ثمت انثني ... وقد نلت مابين الورى كل اعزاز
يظل أثير الجو في نقل كل ما ... يصم صداه مسمعي كل غماز
الست ابن ابراهيم يعرفني الورى ... بلا سمة أخرى وغيري كالغاز
الم أك رب الفوز في كل مسبق ... ومن ذا أنا ان لم أكن جد فواز
الم أك رب الهمة الفذة التي ... بها صرت في قدر من العلم ممتاز
سلوني سلوني تسمعوا من معارفي ... فهوم أخي طوس وحفظ ابن (شيراز)
أنشر أثناء الدروس مباحثا ... كما فوفت زربية يد طراز

١) الموماء : القفر . والال : السراب .

يصاخ لقولي والعيون شواخص كمايلحظ الصديان سلسال أكواز
تئيض عويصات الحضور كأنما تمس عيون العمى ءايات اعجاز
فيغدون في روض أريض وقد غدوا زمانا على أرض من الجهل أجراز
كذاك أنا يا قوم أظفر دائما اذا جلت في كل العلوم باحراز
الى أن تجلى بينكم ما ترونه قريضا كما يرتنى لدكان بزاز
على أنني ما ان قنعت بما أرى أيقنع يعبوب بسرعة نهاز ؟
ولن يقنعني غير رتبة مفرد يرى عندها كل الصدور كاعجاز

وخاطبته ١٣٥٣ هـ وقد رأيت منه بعض نكوص عن الدروس :

عجبا ومثلي من نكوصك يعجب فمتى حسبت بأن مثلك ينكب ؟
من بعد أن حلقت في أوج العلا أصبحت والانسان قد يتقلب
من ذا يظنك في التواني هكذا أوما عهدت فتى يكب ويداب ؟
قد كنت معروفا بجد دائم ماذا جرى حتى رأيتك تلعب ؟
قد كنت أطمع منك برقا ممطرا حتى تبين منك برق خلب
وعرفت منك عزيمة لا تنثني لكن تجلى منك مرء قلب
قد كنت أمدح منك أى رزانة لكن حكمت اليوم انى أكذب
وغدوت أطرى منك أى تفوق لكن ماموليى لديك مخيب
غيرى 'بعيد' تغره بنجابة (ان هى الا لمحة فتغيب) (١)
هيهات يفترع المعالي غير من يستلثم الصبر الجميل وينصب

(أقول) : ان هذا السيد الجليل كان تتبع دراسته في كلية (ابن يوسف) حتى تخرج . وقد تولى القضاء في (مراكش) حينا . ثم استعفى منه . فاقبل على خويصة نفسه . مع أن مثله في عزوفه امثل من تتحلى به المناصب . ويخوض في المعارف)

بيني وبين ولدى المكي الشريف العمراني

قلت على لسانه ١٧ صفر ١٣٥٥ هـ :

أحوك درانيك العلا أحسن الحوك بخلق كما فاحت نوافج من مسك ٢
تنادى الورى من ذا وقد جئت باغتا فقال ذوو العرفان ذالكم (المكي)
متى كان مثلي خافيا وأنا الذى تفوقت فوق المرزباني والسبكي
وأى عيون لا ترى البند عاليا يرفرف من فوق الصوارى على الفلك

---

١) من قول الشاعر ـ مع بعض تغيير ـ :
على أحوذين استقلت عشية فما هى الا لمحة فتغيب
٢) الدرانيك : نوع من الثياب .

فان تفخروا فالله يعلم أنما — حكيتم صدى مني وفخري هو المحكى

فمن منكم مثلي دؤوبا ولم تكن — له نزغات محوجات الى العرك

فمذ سرت ما أن حدت عن سنني ولا — تعرض لي ريب ولا عنّ من شك

فها هو ذا الاستاذ حسبي شاهدا — بأني سبكت الفخر لي أحسن السبك

شريف أنا من أسرة هاشمية — فلست نميريا ولا كنت من عك

فها أنا ذا حصن حصين ومعقل — يعز عن التثليم فضلا عن الدك

(أقول) : ان هذا الشريف اليوم في عداد القواد الممتازين . ولايزال في الترقي وفقه الله)

بيني وبين ولدي سعيد منو

انه من أسرة (آل منو) قمم الرياسة . ولذلك قلت على لسانه يوم ختم القرآن ٢٣ صفر ١٣٥٥ هـ :

بحزمي واقدامي وعزمي تقدمت — اذا كنت لا ابتاع علقا فلا سمت

سمت الى العرفان حتى وصلت في الـ — ـمدارك ما يهدى الى مثله السمت

نهدت الى درسي بكل جلادة — تمهد لي ادراك ما كنت قد رمت

فوطيء لي بحر من العلم زاخر — تطاوعني الامواج فيه متى عمت

أغوص على الدر الثمين فانثني — بما يبهر الالباب ان منه نظمت

وقد فزت في يومي بأسطع درة — الوح بها برقا خطوفا اذا شمت

حويت من القرءان أعظم حكمة — أحلي بها نطقي اذا ما تكلمت

الا فاغبطوني أيها النشء ان أرى — أجرر أذيال الفخار اذا قمت

اذا فخر الاتراب قالوا فأسهبوا — ففخري الوحيد الدأب حتى تعلمت

خلا للبغات الجو فاستنسرت به — وسوف يرى البازي اذا أنا دومت

لئن ذهبوا في الفخر في كل مذهب — فعن مثل ذاك الفخر من قبل قد صمت

فاني من تدرون نجل أماجد — غطارفة يكفونني الفخر ما دمت

ولكن لي نفسا طموحا تثيرني — لأكسب لي فخرا طريفا فاقدمت

فما مفخري فخر الجدود وانما — فخاري بما أحرزته يوم صممت

الا فليزيدن آل (منو) لفخرهم — فخاري الذي شيدته يوم علمت

فان نال (منو) بالحسام تقدما — فبين طروسي واليراع تقدمت

وان حاز (منو) بالبسالة مجده — فبالدرس في عليا المجادة المت

واذ كان لي أصلا عظيما فانني — كذاك له فرع مجدت فأعظمت

كذاك أنا فرع عظيم ومحتد — عظيم تمنطقت العلا وتعممت

فمن هو مثلي منكم فيقوم كي — يساومني يوم الفخار اذا سمت

(أقول) : ان هذا السيد استحال استاذا حينا من الدهر . ثم كان الآن فى الشبيبة الرياضية وفقه الله وأعانه)

بيني وبين والدى الحسن التيكزيريني الحامى

من أسرة رئيسية ماجدة . توالى فيهـا الرؤساء . ولذلك قلت على لسانه ١٥ صفر ١٣٥٥ هـ :

أى شهم أنا وأى همام   أيكم يرتقى سنام مقامى
أيكون السها كبدر منير   أم يكون الكهام كالصمصام
غازلتنى العلياء فى حضن أمى   فتعاليت قبل سن الغلام
وتقلدت صارمى وأنا بعـ   ـد رضيع فسدت قبل الفطام
صهوات الخيل العتاق المذاكى   ملعبى قبل سلخ أول عام
بين طعن القنا وضرب المواضى   نبتت نبعتى وشب قوامى
ومدامى دم العدا احتسيه   ان تحسيتم عتيق المدام
والبنان الرخص الذى شف قلبى   فى مجال الوغى شفار الحسام
نغماتى التى تطرب نفسى   وقعات السيوف فوق الهام
وعبيرى النقع المثار وقد ضا   قت بخيل الطراد فيح الموامى
خلق قد ورثته من جدود   سادة قادة الخميس اللهام
حلقات تناسقت من معد   بسراة ممجدين عظام
بين باشا وقائد وأمير   كضوارى النمور فى الآجام
ـافة الجزر فى النزول وان كـ   ـان نزال فثافة الانام (١)
أيكم يا بنى اليراع يماشى   قدمى بله ان يسير أمامى
مجدكم صرته لمجدى فصح الـ   ـفخر لى بالسيوف والاقلام
فغدوت الفتى الوحيد الذى نا   ل مقاما يطول كل مقام
ها أنا ذا من منكم أيها الاقـ   ـران قولوا يرد عنى كلامى

وقلت أيضا على لسانه :

الا أيها الشبان قوموا فانتم   بكم تنهض الدنيا الى المجد والفخر
بكم ترتقى البلدان فخرا ومنعة   بكم تطلع الاوطان فى العز والنصر
بكم تطرب الدنيا اذا ما شدوتم   أناشيد عز تبعث الميت من قبر
بكم وحدكم ترقى الشعوب وتعتلى   مفاخرها بين المجرة والنسر

١) لغة فى الانام .

وايديكم اس المعالى فان بنت ... فماشئت من حصن وماشئت من قصر
عزائمكم امضى لدى حومة الوغى ... من الصارمات البيض والذبل السمر
فكم تربة ماتت وهد كيانها ... والت الى جرداء موحشة قفر
نفختم بها روح الحياة اذا بها ... رياض اريضات تفوح عن الزهر
وشعب قضى الذل المميت عليه لا ... شعور لديه فى الحياة وفى الفكر
هززتم بما أعطيتم من صلابة ... حديدية قدت جسوا من الصخر
فقام الى العلياء وثبة عازم ... توسد ترب القبر او رتبة الصدر
اذا العلم والشباب قادا فابشرن ... بنيل العلا رغما على معطس الدهر
فهاكم يدى ان لا أزال مشمرا ... الى ان ارى الشمس المنيرة فى عصرى
فلا حملتنى ارجلى ان ونيت ان ... اغيبر يوم الفخر فى اوجه الغر

وقلت أيضا اخاطبه :

ترقيت أيها الحسن الاديب ... وجل منك مقتدر عجيب
تطول الى المعالى كل حين ... كذلك يفعل اللقن اللبيب
وتسرع نحوها باشد جرى ... وسير سواك للعليا دبيب
دريت المجد فى هام الثريا ... وان بالعزم يحتجن المؤوب
فقمت بهمة قعساء حتى ... تمهدت المسالك والدروب
فسدت وانت بعد صغير سن ... وغصنك بعد أملود رطيب
فكنت مثال جد لست تنبو ... وقد ينبو لدى الهيجا القضيب

(اقول) : ان هذا السيد كان استتم معلوماته فى التعليم العصرى حيث أخذ الفرنسية زيادة على العربية . فهو اليوم كاسلافه قائد بين أصحاب المناصب العليا . وقد جمع بين الطريف والتليد)

بيني وبين ولدي سعيد التمـاني

كنت خاطبته بقطعة استحضر منها الآن :

نظيرك من يفوق فانت انتا ... فحاذر أن تكون غدا سكيتا
اذا مـا لم تكن فـى الجيل فذا ... تشير لك الاصابع حيث كنتا
فلا طرفت عيونك مبصرات ... بلحظك موقفا فيه وقفتا

(اقول) : ان هذا السيد اغتبط وشيكا بعدما كان «اية الآيات فى النجابة» واسرته فى (الجزء الخامس عشر) من « المعسول » .

بيني وبين ولدي سيدي محمد البارودي المراكشي

قلت على لسانه في شوال ١٣٥٣ هـ بعدما نال تأديبا من أستاذه :

شرفت ومثلي بالمعارف يشرف ... ويكرع من بحر العلوم ويغرف
وجئت جوادا في الرهان مجليا ... وغيري بميدان الجهالات يقطف
طلعت على أفق النجابة مفردا ... أطل على الاقران منها واشرف
ألم تر اني والسعود تحيط بي ... فتى فوقه بند المعالي يرفرف
خطوت الى العلياء خطوة عارف ... درى كيف يجني في الشباب ويقطف
فاشرفت في المجد المؤثل يافعا ... ومن لم يشرفه الصبا كيف يشرف
فعزمي وحزمي واجتهادي وفكرتي ... بدور لأبصاري فقل كيف أعسف
فاني (البدوري) الذي تعرفونه
فيا ويح قومي صحفوا اسمي وحرفوا (١)
فان زل حرف من لساني فكم وكم ... أتت كلم وفق الصواب وأحرف
أو ان سؤت والانسان تعروه عثرة ... فما زلت ذياك الذي أنت تعرف
أو ان مسني التاديب فالسمر لاترى ... لدانا اذا لم يعتورها المثقف
دعوني من ذكر الهنات وأقبلوا ... اليَّ لدى خوض العلوم لتعرفوا

(أقول) : ان هذا السيد كان مع أخ له عندنا . فاستتم أحدهما . فصار استاذا . والآخر صار الى رحمة الله . فقد كانا معا مثال النجابة . ولكن كم من نجابة مراكشية موءودة)

بيني وبين ولدي محمد البيضاوي الحاحي الاصل

قلت على لسانه ١٣ صفر ١٣٥٥ هـ : وقد استتم حفظ القرءان :

ارأيتم وقد لمحتم جبيني ... كيف نوري يعشي لحاظ العيون
اتلالا كزبرقان مطل ... غير ان الكسوف لايعتريني (٢)
من يشمني ويكتنه كنه قدري ... يك من سر رفعتي في يقين
قد حفظت القرآن عن ظهر قلبي ... وأنا بعد دون تسع سنين
فحويت الوحي الرطيب كأني ... أتلقاه من يدي جبرئين
فاستنارت أسرتي من سنا الأنو ... ار من غرة الكتاب المبين
أي فخر يا قوم لم أدرعه ... أي أفق من بعد لم يك دوني
قد شأوت الاتراب طرا ومن ذا ... يدعي بعد انه يعتليني

١) يعني حين يقال فيه البادوري . ٢) الزبرقان بكسرتين : البدر .

ان أكن ناحلا شخيتا فانكى صارم ذو مرقق مسنون
فانا صوة الهداية فيكم فاعرفوا الرشد بالسنا من جبينى

(أقول) : ان هذا السيد استتم دراسته فنال الشهادة العالمية . فهو الآن أستاذ ممتاز)

بيني وبين ابن عمه محمد السويري

قلت على لسانه ٩ ـ ٥ ـ ١٣٥٥ هـ :

خلا لكم جو التفاخر فاصفروا وبيضوا جميعا كيف شئتم ونقروا
اذا غابت القبُّ الجياد تسابقت براذين عرج فى الثرى تتعثر
اذا ما ادعى النجم التعالى فما الذى تقول النخيل الشم ان حان مفخر
اَلآن غاب رُبّان السفينة ضببت ضفادعها ارسانها حين تمخر
ولكن عصا موسى تلقف كل ما أفكتم فيخسأ من يمين ويسحر
فهاذا أوان الفخر لو كنت فاخرا ومثلى بأشتات المكارم يفخر
فانى السويرى الذى تعرفونه ومن يعرف البدر المنير فيستتر
ولكن أهل المجد أهل تواضع وصمت اذا ما المستطيلون أكثروا
ففخر اللئام القول. والفخر عند من علوا قمة العلياء فعل مشهر
(وبعد) فهاذا اليوم خمر وفى غد ترون الامور الخالدات ستذكر

وقلت أيضا على لسانه ٢٠ ـ ١ ـ ١٣٥٥ هـ :

انى السويرى الذى تعرفونه سبوقا الى الغايات بالجد والعزم
ألح على جسمى لادراك منيتى فظن بانى بالضآلة فى سقم
ألم تعلموا أن السهام ضئيلة ستنفذ توا عند قرطسة المرمى
فكم من نحيف نال فى المجد والعلا مقاما منيفا طال عن بادنى الجسم

(أقول) : هذا السيد لم يقدر له أن يستتم بعدما برقت منه نجابة وهو الآن فى (السويرة) وفقه الله)

بيني وبين ولدي عبد الهادي الورزازي

قلت على لسانه :

أنا الهادى أنا الهادى فكيف يضل بى الحادى
سلكت محجة بيضا ء لم يضلل بها هاد
مسهلة مرصفة فلا أمت ولا وادى
تاثرت فى مناهجها خطا أقدام أمجاد

بنى ورزازة الاعلـين أهل الصدر فى النادى
مفاويـه اذا خطبـوا وفـى المشتاة اجـواد
فذا عمى وذاك أبـى وهـا هـم كل أجدادى
كسعـدان لمـن رتعوا وصدى للفتى الصادى
فما منهم سوى من أصد روا عـن خـير ايراد
فها أنا ذا سأجمع خيـ ـر أطراف لاتِـلاد
وأهدى كل من عسفـوا وأرفـع بنـد ارشاد
الى أن يعلـم الاقـوام طـرا أننـى الهـادى

(أقول) : ان هذا السيد لم يقدر له أن يستتم الآ قليلا . فهو الآن أحد من يعينون فى محكمة أحد القضاة في (مراكش) وفقه الله)

بيني وبين ولدى عبد الغني الورزازي

قلت على لسانه :

انا عبد الغنى خير وليـد يترقى الى العـلا باجتهاد
بينما كنت ناشئا اذ أنا فى سلك أهل التفوق الامجاد
ها أنا ذا والحمد لله نجم فـى سما العلم نوره فى ازدياد
شبل ليث أنـا ومن يك مثلى فارتقب منـه وثبـة الآساد

(أقول) : ان هذا السيد اليوم من رجال الاسرة الملحوظين . وان لم يستتم كما يراد منه)

بيني وبين ولدى السعيد الورزازي

قلت أخاطبه في قطعة . مطلعها ـ وليس عندى الآ المطلع ـ :

أنت السعيـد ولن تكون سعيدا حتى تكـون لما قرأت مفيدا

(أقول) : انه الآن من رجال الورزازين . ولم يستتم كما يراد منه وفقـه الله)

بيني وبين ولدى عبد الحى الورزازي

قلت يوم ختم القرءان على لسانه :

سبقت وبند المجد فوقى خفاق وانى فى كل المعالى لسباق
تقدمت والهادى وراءى والغنى وحظ ذوىالتفريط دائما اخفاق

ختمت كتاب الله قبلهما ومن يجدّ يُعَن والمجد سعد وارزاق
تذوقت فى سبقى حلاوة مترب له وحده دون الارامل أعلاق
أحس كأنى طائر فى سعادة قد انبسطت منها لعينى آفاق
ويبهجنى ما نلته فكأنما تفتح من كنز المباهج أغلاق
كأنى شمس الجو بشرا وغبطة قد امتد منها للعوالم اشراق
أمثلى يكون الفائزون أم اننى عرانى من فرط المسرة اغراق ؟
أتدرى أبى كم سر قلبى وانه بما نلته من كامل الفوز خفاق
فها أنذا أمشى فقومى وقبلى خدودى فانى فى المعالى لسباق

(أقول) : ان هذا السيد من الرجال البارزين . وقد تقدم فى معلوماته وهو اليوم فى منصب حسن . ويرجى له الترقى عن جدارة)

بيني وبين عبد العزيز البزيوي ابن منصور

قلت له على لسانه ٣ ـ ٥ ـ ١٣٥٥ هـ :

قولوا وسوف ترون عند مقالى كيف الفعال بقولة الفعّال
جلتم ولكن حين أرسل بينكم خيل العتاق ترون كيف مجالى
قوموا الىّ وحدقوا بعيونكم كى تستبينوا من مقامى العالى
فسنا مقامى فى السما تعلوه جدا يرى مثل السها المتلالى
من لم يكن زرقا اليمامة لم يشم من نور نجمى غير مثل الآل
والذنب للابصار لا للنجم ان لم تستبن منه السناء العالى
(عبدالعزيز) أنا وسوف ترون من قلمى البليغ روائع الفشتالى
أبدى لكم وأعيد ان جالت يدى فى نظم در قصيدة متلالى
فلئن مضى قصر البديع وعهده فلسوف انشر عصره فى الحال
يا سعد من يحظى بلقط فرائد ان قمت انشر بالنشيد لئالى
فأجىء بالسحر الحلال وما ترى فى طى سحر يستثار حلال

(أقول) : ان هذا النجيب سرعان ما توفى سنة ١٣٥٥ هـ رحمه الله)

بيني وبين احمد بن علي البزيوي

قلت على لسانه ١٦ ـ ٥ ـ ١٣٥٥ هـ :

اذا استبق الوراد فى القيظ للشرب فاسنى شراب فى عراكهم شربى
اجىء على مهل فأكرع دونهم لدى سلسبيل رائق بارد عذب
وهم فى امتصاص الرنق عندمطحلب بمستنقعات كدن يسكن بالضب

فاصدر ريانا تسيل ثمائلي زلالا قرير العين منشرح القلب
واخلاقهم من بعد تلهث من صدى يدق عظام العنق في وسط الصلب
أفيض وتكفي قطرة من قواسي لتروى كل العالمين لدى الشرب
ألم تمنحوا قبلي بدلو صغيرة فمذ متحت كفي استحالت الى غرب
فاروتكم حتى ضربتم بمعطن يدا عبقرى صار مفخرة الغرب
الا فاشكروني معشر الصحب واعرفوا
مقامي فمن اولى بشكرى من الصحب

(أقول) : ان هذا التلميذ ممن لم يكتب لهم أن يستتموا بعد . مع أن كثيرين من البزيويين كعبد الحي الشاعر . ـ ثم القاضي الجليل اليوم ـ والحسين البزيوى القائد اليوم . قد استتموا واخرين من أقرانهم هناك) (وقد مات وشيكا نحو ١٣٥٥ هـ) .

بيني وبين محمد بن عبد الله المعدري

قلت على لسانه ٢٢ ـ ٥ ـ ١٣٥٥ هـ :

بليت فكنت الصارم الخذم العضبا وذقت فكنت البارد الشبم العذبا
وأجريت في الميدان مذكي كأنما سنابكه الاعصار في الجو قد هبا
والقيت فوق النار لافحة اللظى فالفيت ياقوتا ولما يسم ثقبا
اقلوا أقلوا لا أبا لأبيكم أمثلي يصلى بين أمثالكم عتبا
ألم تعرفوني احوذيا كأنه قطاة لخمس أقبلت تقصد الشربا ؟
فما زلت مذ أقدمت أجرى لطيتي فلاهضب تثنيني عن القصد لاشعبا
فان نالني التسديد يومي فما الذى يسدد الا السمر كي تقصد القلبا
أو ان مسني كلم فليس يصاب من يعردان الظى ذوو النجدة الحربا
فهل تجرح البيض المثاثير غير من يخوض ضرام الحرب ان جمرها شبا
على انني من بعد سوف ترون ما أقوم به في الشعب كي أنهض الشعبا
فلا كنت ان لم ألفح الغرب نهضة تود لها اليابان لو صارت الغربا

(أقول) : ان هذا السيد لم يستتم أيضا . وعهدى بـه في مطبعـة عاملا يصفف الحروف)

بيني وبين ولدى الحسين الكرسيفي

كانت له قصيدة فخرية قيلت عن لسانه . ثم باعها بقرش . فقلت عن لسانه في ذلك :

قد كان لي مجد ولكنني قد بعته في السوق بالقرش

لما يريد الصرح من يرتقي — ان يزجي الحياة في العش
عني بالدنيا وزخرفها — وما بها من أضرب الغش
فالموت سوى في مشاربه — بين المساكين وذي العرش
فسوف يدرى المجد في موته — من زج في القبر بلا فرش
أليس نهج الناس أجمعهم — من المغاسل الى النعش
المجد مجد الدين لكنما الا — لحاد أبصار الورى يعشي
وكدت لولا السعد أقفوهم — فاغتدى في مجدهم أمشي
لكنما الرحمن سلمني — فبعت ذلك المجد بالقرش

(أقول) : ان هذا السيد ممن ثابر . حتى صار استاذا اليوم رسميا وفقه الله)

بيني وبين احمد بن عرفة الفاسي كان من تلاميذ الاخ ابرهيم

قلت على لسانه في ذي الحجة ١٣٥٥ هـ :

تفوقت في العرفان كل التفوق — فاي نجوم لم تطل بمشرقي
صمدت بحزمي فاحتللت من العلا — مكان نظيم الماس من تاج مفرق
وصممت حتى فزت في نشأتي ومن — يرد ان يحوز الخصل يسرع فيعنق
دريت المعالي في السماء فطرت في — طموح متى استفززته يتفوق
احلق في جو الاماني خارقا — مسارح طرف الدارج المتسلق
ولا لعب يثني عناني وما ترى — يرد بزاة الجو اما تحلق
الى أن تبدت من مقامي مكانة — تلالأ في العليا تلألؤ مشرق
اجول فيغضي السابقون ومن تكن — له نفس شاه لا يسابق ببيدق
كذاك انا والحمد لله ان أسر — الى غاية مذ كنت أطرق أسبق
سعادة جد قد حويت تراثها — من أهل الى آل المكارم سبق

(أقول) : انه تتبع ما شاء الله ثم مال الى التجارة . والعمل في الميدان الحيوي وفقه الله)

بيني وبين ولدي احمد بن الحبيب الناجي

قلت على لسانه في المحرم ١٣٥٥ هـ :

أحمد بن الحبيب هذا المجيد — فاسمعوا من يقول ثم يجيد
عرفتني الافعال للناس حتى — لم يزدني التعريف باسمي النشيد
كان لي محتد عتيد ولكن — كيف يكفي في المجد أصل عتيد

ثكلتني أمي اذا لم تسد بي
ويسد بي اباؤها والجدود

وتنل بي عشيرتي عزة ما
أحرزتها في خيسهن الاسود

أي فضل لمن يكون نظيري
وأنا ذاك الهمام المجيد

ان سواي لم يحظ من في نجدي
بجنان سكانهن خلود

(أقول) : ان هذا السيد ممن استتموا فنالوا الشهادة العالمية عن جدارة . ثم تولى القضاء فكان من خيار القضاة . وفقه الله)

بيني وبين اخيه محمد بن الحبيب

قلت على لسانه في المحرم ١٣٥٥ هـ :

أنا الناجي من يحظى بخصل
اذا استبق التلاميذ نحو فضل

أجلي دائما والناس طرا
وراءي بين تال او مسل (١)

يجيء الى المدا مهري وبعدي
سوابح خشخشت للجرى قبل

كذاك أنا ومن يرتب فهاذي
ميادين العلا فلينهضن لي

فها أنذا وها أنتم حضور
وخيل تلك في المضمار خيل

ليخرج لي الذي يرتاب مني
ليتفضح السكيت من المجلي (٢)

(أقول) : تخلف عن ركاب اخيه . وفقه الله واعانه)

بيني وبين الشريف مولاي الحسن ابن مولاي حفيظ

كتبت اليه وقد ألم به سقم :

عوفيت كيما يعافى المجد والكرم
فانما أنت فينا المجد والكرم

لا كان يوم عدمنا منك فيه سنى
يلتاح منه اذا جالستنا علم

يومان قد مضيا عنا ونحن على
جمر الاسى يلتظي فينا ويضطرم

نأسى على ما عرا العلياء حين عرا
منك العروق عضال ساقه الورم

نأسى عليك كما تأسى فضائل قد
شرفت منها وتأسى بعدك النعم

قد كان لي جلد في النائبات اذا
في اليوم أنقده مما بي واحتدم

في القلب مما تقاسي يا أخي ضرم
لولا الضلوع لأعدى ذلك الضرم

لم أدر هل صرت أعمى مذ اصبت فلا
عين ترى أو طفت من فوقي الظلم

متى أراك سليم الجسم في حلل
صحية في انبساط الوجه تبتسم

اذن أعوذ طليق العيش في طرب
تضحك عين ترى انوارها وفم

---

١) التالي والمسلي من أفراس الحلبة .
٢) والسكيت والمجلي كذلك .

قد كنت أنوي عبادات فحرمها
أمر الطبيب وأمر الطب محترم
فناب عن خطواتي ما بعثت به
ونعم ما يستنيب العاجز القلم
اقرأ الكتاب وارسل لي الجواب فلي
شوق شديد لأدري هل مضى الألم

(أقول) : ان هذا الشريف نال ما نال . وهو اليوم في محكمة الاستيناف الشرعي في (مراكش) حفظه الله للمعالي)

٩ بيني وبين ولدي احمد شوق

كان جارا لنا . واعتنيت به . وفي يوم حدث ما هو السبب حتى خاطبته بقولي :

مددت حبال الوصل نحوكم مدا
وحاولت جهدي ان اصون لكم عهدا
تصدون لكنني اوالي وصالكم
والقي وراء الظهر ذالكم الصدا
وتلوون عن وجهي واقبل نحوكم
بوجهي كأن لم يغد اعراضكم عمدا
ازاول من اجفالكم ما لو انني
ازاوله في الاسد روضت لي الاسدا
فكم جفوة نشرتموا لي طويتها
بلطفي طي التاجر اللبق البردا
وكم مرة اعرضتموا عن زيارتي
وصعرتم لي في مناهجكم خدا
واني على عهدي أواصل حبلكم
وكيف أرى ان خست اخواني العهدا
مواصلة علمية لم يكن لها
سوى البحث في الآداب من بيننا وردا
أظل على السعدان يومي وانثني
اليكم فنجني من مباحثنا وردا
أفارق جلاسي واسمر عندكم
لنشتار بالابحاث ذالكم الشهدا
اجيء مرارا كل يوم وانني
لأحسبني انمي الصداقة وانودا
وما جال في فكري باني ضيفن
ثقيل أرى من بينكم حجرا صلدا
ولكنني في اليوم ـ وا أسفا ـ بدت
أمور تذيب النفس والقلب والكبدا
تكشف لي ما لم أكن قط حاسبا
وأبدى لعيني فعلكم أمس ما أبدى
شرت وقد سمت الهوان ومن يسم
هوانا يثر عن رغمه أسدا وردا
ففارت شراييني وغاض تجلدي
وقد كنت عند الحادثات الفتى الجلدا
انا ديكم والباب يحكم سده
فكان الجواب الفصل في الباب ان سدا
واسمع همسا من هناكم ومن هنا
كأني توسطت الكمين من الاعدا
ولا احد منكم يرى قدح زنده
فيستوضح الاغلاط ان قدح الزندا
فظلت غضوبا مستشيطا وانما
تأنيت حتى ابيض ما كان مسودا
فكفكفت من غربي واعملت حيلتي
ومن يتئد في عسفه استوضح القصدا
فقلت اناس أضجرتهم زيارتي
وقد استحوا أن يعلنوا لي ردا
فأوحوا بايماء ومن يك مبصرا
درى الموج ان جزرا تيمم أو مدا

فها أنذا يا جيرتى متنكب وان كان ودى لم يجد منكم بدا
فسدوا أمامى بابكم وافتحوه ان أتاكم أناس قد بسطتم لهم ودا
وجولوا كما شاءت أمانيكم هوى تهامة ان شئتم وان شئتم نجدا
وأما انا من بعدكم فمن اجلكم ساحيا بعيدا عن جميع الورى فردا
الازم بيتى معرضا عن مجالس الاقى بها عمرا يراوغ أو زيدا
وأنبذ قوما يعجزون عن الوفا وان ظهروا بين الورى السنا لدا
وذلك دأبى قبلكم غير اننى غرورت بعيش بينكم خلته رغدا
فتهفو لكم نفسى وتهفون نحوها كماحركت أيدى الصبا الاغصن الملدا
تحنون نحوى ان أغب وأحن ان تغيبوا كما قد تشهد الام والولدا
كذلك كنا والزمان مساعد الى ان رمى شزرا بمقلته الرمدا
فزحزحتمونى والفؤاد مقطع كما زحزح المفطوم ان يرضع النهدا
فضاعت بحوث بيننا لا تزال فى مضاميرها خيلا سلاهبة جردا
برد وأخذ والمباحث لاترى طلاوتها حتى ترى الاخذ والردا
وهد عفاف كنت ركن اساسه وكيف ثبات الركن ان أسه انهدا
وهل كنت الا حصنكم وسياجكم وسيفكم المجلو واليلب السردا
أدافع عنكم ان غمزتم اذا بمن يلم بكم القمته الحجر الصلدا
أسد لكم باب الهوى جهد طاقتى
وافتح باب الرشد كى تحرزوا الرشدا
طريقى طريق المصلحين فاذ ونت بكم طرق الاصلاح فلأطردن طردا
ستدرون فى المختار من تفقدونه وفى السنة الشهباء تفتقد الجودا

وخاطبته ايضا بقول . مداعبة :

شوقى فياض الى شوقى غنت به سواجع الورق
أفضل تلميذيهم بان يحوز خصل العلم بالسبق
المثل الأعلى لمن طلبوا بالجد نيل الفخر عن حق
صاحب اخلاص يحملنى من شكره ما ليس فى الطوق
أكبر من همته وثبة تجاوزت مناكب الافق
أفخر منه بأخى شغف بالمجد والعلياء والخلق
الشاعر ابن أحمد شاهد ومثله يشهد بالصدق (١)
حذام ان قال ومن ذا الذى سواه يستشهد فى الحق
لكنما المسكين سوف يرى سلاسلا تحيط بالعنق
سوف يغيب الشاعر المجتبى فمن ترى ببينه يشقى

---

١) الحسن بن أحمد الاستاذ البونعمانى .

من ذا الذى يبكى أحاديثه … غيرك (يا أحمد يا شوقى)
اما انا فيحفظ الله من … يبينه مثل الذى يبقى
لكنما أحمد لاينثنى … ذكرى فيذهل عن النطق
وتنطق الصخرة من قبل أن … ينطق (وارحما لذى شوق)
تلقاه بالاحزان فى كبد … وروحه تطلع فى الحلق
لا الغرب بالغرب كما كان مع … صاحبه لا الشرق بالشرق
يبكى زمانا قد مضى معه … كلمحة من خاطف البرق
فيستهل دمعه هاميا … فهل رأيت هاطل الودق
تعز يا أحمد عمن تشا … من دنا فالخلق كالخلق
فيمن بقى العوض عمن مضى … فاستبدل السعة بالضيق
فما تشا من هذر فانا … موجده لك بلا فرق
وان ترد جدا فها انذا … أريك كم للجد من طرق
أجرى الى كل الذى تبتغى … بالعقل ان عقلت او خرق
فمبطل ان شئتنى مبطلا … وان تشأ فصاحب الحق
هذا وانى الآن فى خجل … فلم يذر بالى ولم يبق
اهذرو اليراع فى جريه … يستن كى يفوز بالسبق
لا الشعر ذاك لا ولا شبهه … أين العصافير من الورق
واننى استحييت من عرضه … فذبت خوف النقد من شوقى
لكنه كمرهم من أخ … اخاوه لم يك بالمذق
لابد للمفئود من مشتكى … اليه قد يأسوه بالرفق
وهل أنا الآن أديب وهل … غير القريض كان فى طوقى
ما دام مثل الشعر ذا رائجا … فاننى أشعر من شوقى
مستفعلن مستفعلن فاعلن … ورحمة الله على الذوق

واستدعى مرة الاديبين الحسن البوعنانى وابرهيم بن أحمد . وعاتبته على أن لم يستدعنى . بقولى :

دعوت ابرهيم والحسنا … فما الذى (قل لى) اجترحت أنا
عند التناجى حول سر يرى … من ظن منه فى الوداد ضنى
ان لم أكن ذا صحة فى الاخا … ولم يكن لى الوفا ديدنا
وكنت تنظر الى خلتى … بعين ارمد لضوء السنا
فلتجعلنى تبعا اننى … أرضى فما ناء كمن قد دنا
ما بيننا هذا التفاوت لـ … ـكن الحظوظ قسمت بيننا

ورايت منه مرة كسلا . فعاتبته بقولي :

أحمد شوقي قط ما حمدا — يعبد ما لولاه ما عبدا
كسلان حتى لا يكاد اذا — ناول شيئا أن يمد يدا
يتركه الحياء في حيرة — تجعل ماموله قددا
يا ليت شعري كيف يغدو اذا — كلف اثقال الحياة غدا
فهل يخوض الموج ذو كسل — والموج يرمي حوله الزبدا
من يترك العزم فابعد به — أن لا يرى من أمره رشدا
معترك الحياة ما خاضه — الا أخو الاقدام ان صمدا
أما الذي كان كشوقي فما — أبعده من أن يرى الرشدا

(أقول) : ان هناك قوافي أخرى بيني وبينه . من بينها قصيدة طنانة خاطبني بها . ثم انه اخذ من (الزيتونة) من (تونس) فرجع . ولكنه مع نجابته أعرض اعراضا عن الميادين . لما اصيب به من الفالج . فبكته الآداب . وها هو ذا الآن. كانه ليس بذلك الشاعر المفوه . وفقه الله واعانه)

بيني وبين ولدي عرفة الفاسي

هذا النابغة كان له شفوف خصوصا في الادب . فقد خاطبني بقصيدة فاجبته بما يلي :

أمثلي بذياك البيان يمجد ؟ — ومن كنت حتى بالثناء أخلد
سواي بذاك المدح يغتر واهما — باطرائه ايجاد ما ليس يوجد
بأي فعال استحق اشادة — بقدري فيعلو لي على الناس مقعد
وأي يد قدمت للشعب وهو في — كوارثه الشتى فتعرف لي اليد
وماذا الذي ضحيت حتى يطيب لي — ثناء بنايات القريض يردد
أيبتاع من ذادوا عن الشعب بجدهم؟ — بخوضهم جلى تقيم وتقعد
أيمجد بالامعان في الذود باسل ؟ — يشايعه السيف الصقيل المهند
وأرقى أنا عفوا ويفرع اخمصي — مراتب عليا بالخمول وأمجد
واطمع بالاشعار نيل مكانة — تشرفني بين الملا وتسود
فافتح اذني للمديح كانني — خرقت اواني فاتر يتبلد
حنانيك يا ابن الاكرمين فانني — وحقك ما ان لي بما قلت مورد
تفجرت مدحا لو وجدت مكانه — وشيدت لو ان الوهاد تشيد
وهبات بردا مستطيلا كانما — دعوت بني عبد المدان ليشهدوا
ونضدت من در القريض قلادة — لو ان بها الخود الكعاب تقلد

قريض كساعات العناق لذاذة — وقد مص ظلم في الثغور مبرد
يعاد فتستحلي الاعادة كلما — يكرر بين السامعين وينشد
يردده الجلاس حتى كأنما — تشعشع للجلاس في الكأس صرخد
معان رقيقات كخمرة وجنة — يخالسها الالحاظ طرف مردد
ولفظ كمفتر الثغور مفلجا — تألق منه بارق يتردد
تجانس معناه وألفاظه كما — يجانس مسك الصدغ خد مورد
ايا ابن السعيد ذا قريضك أم به — ألم الوليد وابن أوس وأحمد
فعهدي بما خبرته لا يجيده — من الناس املود نظيرك فرهد
اوحي جديد صرت تتلوه والسما — تصيخ وأعيان الملائك شهد
والا فمن اى أتيت بمعجز — يقام له عند النشيد ويقعد
وكيف وشت كفاك اى مفوف — كطاقات ورد في الاصيص تنضد
أفي كل يوم يا (بني الجد) منكم — أوابد تقضي بالنبوغ وتشهد
فبينا نراكم في الصغار اذا بكم — كبار اذا ما غص بالناس مشهد
ذكاء واقدام وعزم كما مضى — بأيدي الكمي الجلد سيف مهند
مآثر ان عدت طريفا لغيركم — ففيكم قديما يا (بني الجد) تتلد
فمذ ألف عام والمعالي كأنها — لكم حبس في (العدوتين) مخلد
فذي كتب التاريخ ترسل عنكم — من الذكر ما لسن الزمان يردد
فبالعلم والدين الحنيف علاؤكم — وطيبكم بالنفس ان كتبت يد
صدور وكتاب ومشيخة كما — رست شامخات في البسائط ركد
وأقطاب علم زاخرات يراعهم — بأي بحوث كالقواميس تزبد
مفاخر أمس يشهد اليوم انها — تكشف عن أشياء يعرفها الغد
كذاك يرى الجد المؤثل فخره — ويسعد سبط بالذي الجد يسعد
فدوموا (بني الجد) المؤسس للعلا — ليشهد آتيكم بما الامس يشهد

(أقول) : ان هذا السيد النجيب أخذ كثيرا من (القرويين) ثم نبغ في الادب فكان أحد شعراء (المغرب) الآن . وهو أحد الكتاب في القصر الملكي وفقه لله) .

بيني وبين ولدي ابن سترة الاسفي

قال يوما :

سافرت من (اسفي) الى (الحمراء) — علىّ ابوا رتبة العلياء
أعملت في طلب المجادة ناقتي — والمجد تحت مناسم الوجناء

حتى متى أبقى كماء آسن ... وجرى كسلسال النمير سواء
يرضى حياة الجهل من لم يعترف ... فى نفسه بنذالة الجهلاء
لا كنت ان لم انتفض من غمرة ... تلقى الرجال بهوة الهلكاء
خلوا زمامى لا أبا لأبيكم ... فلا نزلن مدينة (الحمراء)
حيث العلوم زواخر فياضة ... حيث القلوب صقيلة بجلاء
حيث النوادى الحافلات معارفا ... يفتن فيها صفوة العلماء
من ذا أكون اذا حرمت تعلما ... يعلى مقاماتى على الجوزاء
بين الألى قد اهملوا أو هذبوا ... فى العلم فرق العمى والبصراء
هاكم يمينى يا بنى (الحمراء) أن ... لا أرجعن بغير ملء سقاء
موت الزؤام الـذ عند الحر من ... ذل الجهول يعيش فى الازراء

والغالب أن هذه الهمزية هى التى اجبته عنها بقولى :

قرضت فاحنى راسه كل بارع ... وقلت فهجت الشعر من كل سامع
وأفلقت افلاقا عجيبا يدل ان ... وردت من الآداب أصفى المشارع
وما حسبت (مراكش) ان (اسفى) ... تجيد الى أن جئتها بالروائع
الى أن عرتها من قريضك هزة ... كما اهتز لدن الغصن وسط الزعازع
واسمعتها عصماء تخال أن جرت ... بمنطقك الاخاذ بين المسامع
فماج بنو (الحمراء) حتى كأنما ... طلعت على (الحمراء) جيش الطوالع
فباتوا نجيا والاحاديث حول ما ... راوا قدد تصطك بين المجامع
فمن قائل ذا سارق الضيف برده ... ومن غامط للحق ابلج ساطع
ومن ناكث بين الفواصل علّه ... يرى ما تحامته لباقة بارع
ومن واقف والبهر ياخذ لبه ... وقوف ذهول ليس يطرق جازع
ومن مومىء والحق يرغم انفه ... اليك وما أبدعته بالاصابع
ينادى بأن الآسفيين احرزوا ... على رغمنا ما بذ كل منازع
تفجر من فكر ابن سترة بينهم ... ملقى لواء الشعر غير مدافع
الا فلنسلم ال (مراكش) لمن ... لدى (آسفى) جلوا باروع رائع

(أقول) : انه تقدم ما شاء الله ثم كان له شفوف فى المحكمة الشرعية اعانه الله ووفقه) .

بيني وبين اخي علي بن محمد الالغى

قلت على لسانه :

أنا على ولم اسم بـه ... الا لأنى علوت اقرانـى

اسست مجدى وما اتكلت على اصل العظيم الفخار والشان
خطوتها خطوة فما نزلت رجلاى الآ ازاء كيوان
فسدت طفلا فكيف تحسبنى اذا تخطيت يوم حدثانى

(اقول) : استتم فى مدرسة ثانوية . فاحسن الفرنسية . ثم كان فى الجند . ثم صار قائدا ممتازا اليوم . وفقه الله)

بيني وبين اخي محمد بن الحبيب الالغي

قلت على لسانه :

انا تلكم الشمس المطلة فى الافق اشع بنورى فى المغارب والشرق
تفوقت حتى لم اجد متفوقا فاى مقام طالنى بعد من فوق
من العنبر الشحرى والمسك نشاتى ومن طينة مسنونة سائر الخلق
بجدت بحذقى فى العلوم ومن يكن نظيرى يحز كل التفوق بالحذق
وفزت بحذق قد وردت معينه وعب سواى منه الكدر الرنق
فان كنت يومى لم ازل بعد ناشئا فاطيب نفح الورد فى اول الفتق
سيعرف منى الخافقان مشهرا احاديثه فى الارض والجو والافق
انا ابن الحبيب الشهم فاصغوا لسيرتى اذا رد بى للشعب ما ضاع من حق
فلا صحبتنى مهجة لا تذود عن شعوب طواها الجهل طيك للرق
ففى اليوم درس ثم فى الغد وثبة لتحطيم ما للشعب من ربقة الرق

(اقول) : انه استتم حفظ القرءان . وشدا فى العربية . ثم استخدم فى الاحباس الى ان صار ناظرا اليوم . وفقه الله)

بيني وبين ابن أختي محمد بن سعيد التناني

قلت فيه :

محمد بن سعيد خير فتى مستفيد
تعلم العلم حتى جرى لشأو بعيد
فهو وان كان طفلا كذى مقام عتيد
ذكاؤه فى ازدياد يقول هل من مزيد
كذا التنانى اذ ما يكون جد سعيد
يربى على الناس طرا سيدهم ومسود
شبل له وثبات كذا يرى ابن الاسود
السعد قرب منه مناهلا للورود

فمن يكن جذله من	عائشة وسعيد (١)
يصل مقام الثريا	بجده والجدود
يحفظه الله حتى	يكون سعد السعود
يطلع للناس نجما	يضيء كل النجود
فيهتدى بهداه	أهل الربا والوهود

(أقول) : انه استتم حتى كان فى سنة التخريج فى كلية (ابن يوسف) فاذا به اعتبط بعد مرض مزمن . سنة ١٣٦٦ هـ رحمه الله

* * *

وبعد فهذه نماذج مما حضر عندنا الآن مما كنا نرشح به التلاميذ الشادين الى الادب . واما المتمكنون من الكبار . فلهم وجهة أوسع من هذه فهناك الحديث والتفسير . والمذاهب التى نتتبعها فى كتاب (قوانين ابن جزى) و(بداية المجتهد) وكما كانت هناك دراسة عليا فيالاصول والبيان والتاريخ والجغرافيا . حتى كانت افاقهم اذذاك مضرب الامثال . يستحضرون المذاهب وأدلتها من الكتاب والسنة على طريقة النظار . ولو استتموا كما يراد . لكانوا بحورا . ولكن جنى عليهم الاستعمار . ففرقنا جميعا شذر مذر . ولله فى خلقه شئون . وقد درست معهم من كتب الادب (كامل المبرد) والمقامات الحريرية . ورسالة ابن زيدون . ومن الاصول : جمع الجوامع . وكتاب فى الاصول لأحد المصريين المحدثين . والورقات . وكتاب الامدى . ومن الفقه : الرسالة والمختصر والتحفة والزقاقية . ويتلون من كتب الادب كثيرا. وقد هيأنا مكتبة واسعة لهم . يجدون فيها الكتب المتنوعة. ومقصودنا أن يكونوا مشاركين فى سائر العلوم المتداولة . فنحرص على القديم وعلى الحديث . وقد توفر عندنا فى الطبقة العليا زهاء ثمانين . وفى الثانية طبقات متنوعة . يسيرها الكبار المتمكنون . وعلى فراق هؤلاء بكينا كثيرا يوم جاء هذا النفى . والامر لله وحده .

---

١) والدا التلميذ . والجذل : الاصل .

مع بعض الاوربيين

طلب مني بعض المستشرقين أن أبين له ما عندي عن نحلتي (تاحكات) و (تاكوزولت) فاجبته بما يلي :

يلفت النظر من كل باحث في نواحي (سوس) ان القبائل فيه تنقسم الى فرقتين . الفرقة الاولى تعتنق نحلة (تاكوزولت) والثانية تعتنق نحلة (تاحكات) ويمتد هذا في قبائل (سوس) الشلحية من (وادى نون) الى (درعة) الا أن نحلة (تاحكات) تسمى (تاسكتيت) في « سوس » الوسطى. في الجهة التي فيها « الفائجة » التي مركزها الرسمي اليوم (تاليوين) . كما تسميان معا اعني (تاحكات) و (تاكوزولت) في وادى (درعة) باسم « محبوب » واسم «ملول» فيقصد بأحدهما (تاحكات) وبالآخر (تاكوزولت) هكذا تفترق كل قبائل (سوس) من (وادى نون) الى « درعة » الى تخوم سفوح الاطلس الجنوبية . فكل تواريخ الحروب التي كانت تثور في(سوس) ان لم تكن مخزنية . تدور حول هاتين النحلتين . فمتى ثارت حرب بين قبيلتين احداهما من هذه الفرقة . والاخرى من الفرقة الاخرى ، تستجيش كل قبيلة بالقبائل التي تحت راية نحلتها . فتشد عضدها . وتنصرها على خصومها من غير أن تنظر في ذلك . هل هي ظالمة أو مظلومة . امتدت هذه الحالة منذ أجيال متطاولة . ولكن الذى يهم الباحث ان يعرفه هو معرفة الوقت الذى ابتدأ فيه هذا الانقسام بين هذه القبائل . وكثيرا ما كنت أمعن النظر في مبدا هذين الحزبين . وانقب واسأل عن السبب الخاص . حتى تبين لي حدسا ـ فقط ـ أن السبب هو الوباء الواقع في القرن الثامن الهجرى ٧٤٩ هـ فانه طاعون جارف . ترك غالب شمال افريقية ـ مثل أوربا ـ قاعا صفصفا . فكم مكان ماهول بالسكان . أصبح في القرن الذى بعده خرابا يبابا . لا أحد فيه . وهذا بنفسه وقع في (سوس) فان في بعض جبال (جزولة) بعض اودية ماهولة امست قفرا بلقعا . فهذا الفقيه عبد الرحمن بن موسى المتوفى ٩٤٠ هـ وجدت له فتوى لأناس قدموها الى وهم فرقة من (ايداوسلام) اباح لهم فيها السكنى في وادى (ايداكاكمار) بـ (بعقيلة) وفي تلك الفتوى ذكر ان تلك الجهة اقفرت من أهلها قبل . وهذا قبس ضئيل يلقى لنا بعض ضوء على ما نحن فيه . فقد تأيد كلام ابن خلدون الذى أبدأ وأعاد في وصف ذلك الطاعون الجارف . الذى ترك أقطارا شاسعة ينعق فيها البوم . وهذه الفرقة من (ايداوسلام) لاتزال تحتل نحو نصف

وادى (ايداكاكمار) ولا تزال معروفة بنسبتها . لاريب أن الجزوليين هم سكان هذه الجبال الولتيتية فقد ذكروا فى أول القرن الخامس الهجرى حين زحف اللمتونيون الى البلاد السوسية نحو ٤٤٥ هـ كما ذكروا ايضا فى عهد الدولة الموحدية وهلم جرا . فالجزوليون حينئذ هم الاصليون فى البلاد وينتسبون الى قبيلة (جزولة) المذكورة بين قبائل البربر عند ابن خلدون وغيره . بل ذكرت (جزولة) بما يقرب من هذا الاسم فى العهد الرومانى كما يعرفه من درس التاريخ الرومانى المتصل بشمال (افريقية) ومن اسم هذه القبيلة نشأ اسم (تاكوزولت) وحين كان الجزوليون هم الذين تأصلوا فى هذه البلاد . وهم أهلها القدماء . فمن أين حينئذ (تاحكات) ومن أى أرض ورد أهلها حتى زاحموا الجزوليين فى هذه البلاد . نحن نعلم ان الصحراء الكبرى الممتدة ما بين شمال (افريقية) و (ساليكان) كانت أيضا مساكن للشلحيين قبل أن يزاحمهم فيها عرب بنى هلال . بل ان اسم (ساليكان) قالوا هو تصحيف صنهاجة الشلحية . فهؤلاء اللمتونيون ـ وهم فخذ من صنهاجة (ايزناكن) ـ كانوا يقطنون فى هذه الصحراء مع قبائل أخرى كثيرة من الشلحيين . وهم أهل تلك الاراضى وسكانها فى الخيام . ولم يزالوا كذلك حتى فى القرن الخامس فالسادس فالسابع من التاريخ الهجرى . حتى انفتحت الابواب لسيول عرب بنى هلال من أواخر عهد الموحدين (١) الى انقضاء الدولة المرينية . أى من أواخر القرن السادس الى القرن التاسع الهجرى . فاذذاك زحزح هؤلاء الاعراب الشلحيين الاصليين عن الصحراء شيئا فشيئا . فصار بعض الشلحيين (٢) ينسحبون الى تخوم أبناء أعمامهم الشلحيين فى (سوس) فيقتحمون هذه الديار مضطرين او مختارين أفواجا فيقطنون على رغم أهل البلاد الاصليين . ونحن موقنون أن انسياح عرب بنى هلال فى هذه الصحراء بلغ أشده فى أوائل القرن الثامن الهجرى . وسط عهد الدولة المرينية . وحين كانت بلاد (سوس) تأثرت كثيرا بالطاعون الجارف ٧٤٩ هـ وقل سكانها بسببه يسهل حينئذ أمام هؤلاء الداخلين هذه البلاد واتخاذها مسكنا دائما . وهذا كله ظاهر غاية الظهور عند من له دراية بذلك العهد . ان القبائل التى تحمل سمة (تاحكات) اصالة

---

١) يعقوب المنصور الموحدى المتوفى ٥٩٥ هـ هو أول من أدخل الاعراب الى (المغرب) ولكنهم ما كثرت جواليهم فى بوادى (المغرب) الا فى العهد المرينى .

٢) والبعض الآخر لايزال الى الآن فى الصحراء قرب تخوم ناحية (دكار) السينغالية .

كالمرابطين سكان ما حوالى مركز (فم الحصن) الرسمى الآن . لانزال نوقن أن أصلها الاصيل كان من الصحراء . ثم دخلت هذه البلاد . وكذلك قبائل (حربيل) و (سكتانة) وما أكثر امثالها بين قبائل (تاحكات) ونرى أن وقت دخولها لهذه البلاد كان فى هذا الوقت . يوم تشغر هذه البلاد من وقع ذلك الطاعون الجارف . ولا ريب أنها لاتدخل الى هذه الناحية دخول سلام . بحيث يتلقاها من كانوا لايزالون من أهلها باغصان الزيتون . بل تجد من اهل البلاد من يقاومونهم على قدر مستطاعهم . فتدور حروب فحروب . تمر تحتها أجيال . فتتأصل العداوة . وتدوم بين الاجيال الآتية . كما كانت بين الاجيال الماضية . فتأخذ النعرة بين الشيعتين مأخذها الطبيعي . فينصر كل أهل شيعة اخوانه ظالمين أو مظلومين . ثم يدور الزمان دورته وقد تأصلت العداوة بين هذين الفريقين . حتى يتناسى أصل هذه العداوة الذى هو الفرق بين الاصيلين فى البلاد . والدخيلين فيها . فاذا الفريقان يتناطحان بأدنى شيء . وتتناقل القبائل من نحلة الى نحلة اخرى متى دعاها داع لمصلحة من مصالحها الخاصة . وهذا هو السبب حتى وجدنا مثل قبيلة (بعقيلة) التى هى من صميم (جزولة) تعتنق نحلة (تاحكات) لحاجة فى نفسها وحتى وجدنا مثل قبيلة (ايد ابرهيم) سكان ما حوالى مركز (تاغجيجت) التى هى من صميم (تاحكات) تعتنق نحلة (تاكوزولت) وما ذلك الا لكون أصل العداوة بين الفريقين صار نسيا منسيا . ومن أعجب ما وقع أن المجاطين نزحوا كما نزح اخوانهم من الشلحيين الصحراويين . ولايزال اخوانهم من (مجاط) وراء (شنكيط) الى الآن (١) فنزلوا فى منازلهم اليوم حين تغلبوا على مساكن بعض الحربيليين فى (تيزلمى) فاجلوهم عنها ارغاما ومكاثرة . ولكنهم مع هذا هم من المعروفين بالتعصب الشديد لنحلة (تاكوزولت) والسبب فى ذلك انهم وردوا على (حربيل) اتباع نحلة (تاحكات) فحاربوهم فاقتضت مصلحتهم الخاصة ان يعتنقوا نحلة (تاكوزولت) على عكس خصومهم الحربيليين. فبقوا كذلك الى الآن. ويعلم من هنا أن الحربيليين قدموا من الصحراء قبل (مجاط) الا ان الذى يستوقف النظر أن نعرف ما أصل لفظة (تاحكات) كما عرفنا أصل لفظة (تاكوزولت) وذلك ما لم أتوصل اليه حتى الآن . وان كان يظهر لى - ان ظهر لغيرى مثل ما يظهر لى - أن الكلمة مأخوذة من اسم أسرة ينتسبون اليها . فاننا لانزال نعرف من

---

١) وردت (مجاط) الى (تيزلمى) قبل القرن العاشر الهجرى بلا ريب . ولا عبرة بما يقال من أن سيدى أحمد بن موسى المتوفى ٩٧١ هـ هو الذى أتى بمجاط الى (تيزلمى) .

اسماء النساء (حكّة) فربما كان ذلك نسبة الى جدة لبعض القبائل التى سبقت الى الاقتحام الى (سوس) ثم جر ذلك الذيل على القبائل التى تبعتها الى (سوس) سكانا ءاخرين من الشلحيين ليسوا من صميم الجزوليين . مع ان اسم هذه النحلة يجرى الى الآن على جميع من يعتنق هذه النحلة . وملخص هذا البحث ان (تاكوزولت) هى النحلة التى تجمع القبائل الاصلية فى البلاد . وان (تاحكّات) هى النحلة التى تجمع القبائل التى اقتحمت هذه البلاد بعد القرن السابع الهجرى حين أجلى عرب بنى هلال كل الشلحيين فى هذه الصحراء . الموالية للمغرب . فالتجأ بعض هؤلاء الشلحيين الى (سوس) حيث سكنوا بقوة . واما تعيين القبائل التي كانت تعتنق هذه النحلة أو تلك النحلة . فأمر يسهل على كل باحث ان يحصل عليه . ومن القريب جدا وضع سلسلتين لقبائل كل نحلة من (وادى نون) الى (درعة) لمن أراد أن يستوفي الموضوع . وأن يؤديه حقه . باسهاب وتتبع . وانما الذى نريد أن نشير اليه اننا نوقن أن هذا الافتراق بين القبائل كان فى (سوس) قبل القرن العاشر . وقد اتصف فريق (تاكوزولت) بالتدين المتين والمروءة والعلم . ومراعاة الاخلاق الفاضلة فى الغالب . ولهذا كانت ديار العلم منبثة فى قبائل (تاكوزولت) وتقل كثيرا فى قبائل (تاحكّات) والذى يجول الآن لايزال يرى اثر ذلك عيانا . وقد علمنا أن اثارة الدولة السعدية كان من السوسيين اتباع (تاكوزولت) وكذلك تاسيس دويلة (ايليغ) التى لها فى (سوس) والصحراء الى (غينية) وراء الصحراء صولة وسيادة زهاء ٦٥ سنة (١٠١٨ ـ ١٠٨١ هـ) وقد كان لايليغ حيث يقطن سيدى هاشم ابن على فى (تازاروالت) ولـ (أكلميم) حيث يسكن ءال بيروك . و لـ (تامانارت) حيث يقيم القواد التامانارتيون و لـ (تيبيوت) حيث تتأصل الرياسة من أجداد القائد محمد بن ابرهيم التيبيوتى القائد الحالى مكانة مكينة فى اعلاء شان (تاكوزولت) فى القرن الماضى وقبله . وتوجد فى مقابلة هذه الامكنة عند أهل قبائل (تاحكّات) امكنة أخرى أقل منها شانا وأضأل سمعة .

حرر ٥ ربيع الاول ١٣٦٥ هـ

مع الالغيين

مع استاذي وشيخي سيدي عبد الله بن محمد الالغي

كتبت اليه استدعيه ١٢ ذي الحجة ١٣٦١ هـ :

أيا من تحلى جيده بالعلا سمطا وصار نفيس المكرمات له قرطا
ويا خائضا اثباج كل معارف وأقرانه في الدوما آنسوا شطا
ومن عمره للمجد يقطف زهره فايان يدع المجد يسرع بلا ابطا
تجمع اخواني كعقد منظم لدى فكن مولاى في عقدهم وسطى
فانت لنا ما زلت شرط سرورنا فكيف يرى المشروط ان يفقد الشرطا
وأنت لنا الشيخ الامام الذى له من الهدى والارشاد ما جرد المرطا
عليك سلام ما ترشف من الى سجاياك مايحجوه في الكاس اسفنطا ١

الجواب :

الصدر الاوحد . والبدر الامجد . الفاضل الكامل . العالم العامل . السيد المختار ابن الشيخ الخال ابى الحسن سيدى الحاج على بن أحمد الدرقاوى . قدس الله روحه . وروح روضه . وسلام الله ورحمة الله وبركته على تلك الحضرة . ومعالى صاحب تلك النظرة . أبد الله عمارتها . وأيد انارتها . (هذا) والعبد قد تكلف يوم استدعائك له شبه أبيات . والاعمال على قدر النيات . نصها :

أيا أيها المولى الامام الذى خطا الى بالاستدعا لمأدبة قطا (٢)
يحييك عبد الله عبدك مسرعا فها هو ذا بالباب ـ فاقبله ـ قد حط
فذاكره فالذكرى قراه وسؤله مساءلة في العلم تبسطه بسطا
لك الله من فذ تدارك ما علا تصوره فهما ائمتنا الشمطا
فانت الذى جددت للعلم رسمه بـ(الغ) وقد أقوى فعاد كما اختطا
سما بك عقد العلم فى (الغ) اذ غدا مقامك فى أثناء تقصاره الوسطى ٣
وان الذى يبغى لحاقك فى الذى خصصت به من الكمال قد اشتطا

١) الاسفنط بكسر فسكون ففتح فسكون : الخمر .

٢) القط بالكسر : الكاغد .

٣) التقصار بالكسر : العقد .

فانك أنت خضت للعلم أبحرا   لها لجج والناس قد وقفوا شطا
حبيت بمحض الفضل أقوى قريحة   وصدق ذكا والصفو والحل والربطا
بقيت بقاء ينفع الناس كلهم   محوطا من الاسواء ملتزما قسطا
فدونكها بكرا تميس بحليها   وفى حلل قد طرزتها حروف الطا
تريد القبول وحده لم تكن ؛ لا   ولارققت حول المصبوح بأن يعطى ١
على قدرك السامى لدى تحية   يباهى شذاها المسك والند والقسطا ٢
تحية عبد خالص الود من غدت   محبتكم دأبا له الشنف والقرطا ٣

وكتبت اليه فى ٩ شعبان ١٣٦٢ هـ استدعيه الى مجلس آخر بدارى يضم الادباء الالغيين . مع شيخ الجماعة سيدى الطاهر الايفرانى :

شيخى من اجلاله فرض   وعلمه على الورى فيض
والعالم الفذ الذى لا يرى   له شبيه فى العلا عوض
سينتدى الآن ذوو العلم فى   دارى فيشذى عندى الروض ٤
وسيدى من بينهم من له   بعلمه التعصيب والفرض
فليبتدر شيخى فمفخره   مح وفخر غيره قيض ٥
على مقامك العلى سلا   م طيب تملأ به الارض

ثم صادفته الرسالة غائبا فى (أداى) فأجاب بعد مجيئه بما نصه :

يا سيدا ساعده اللفظ   كما يشا دام له الحفظ
من قاولته اللسن فى فصحا   كل مكان وله البهظ ٦
سهل العريكة ولينها   لطيفها وغيره الفظ

---

١) اشارة للمثل : (أعن الصبوح ترقق) والترقيق على الشيء : التكنية حوله . قيل ذلك لضيف . قال لرب مثواه عشية : الى أى طريق أتوجه من عندكم ان اصطبحت غدا . والصَّبوح بالفتح : شراب الصباح . كما ان الغبوق بالفتح : شراب العشى .

٢) القسط بالضم : من أسماء العود المتبخر به .

٣) الشنف بالفتح فالسكون : ما يعلق أعلى الاذن . والقرط بالضم : ما يعلق فى أسفلها .

٤) شذى الزهر كفرح : اذا فاح .

٥) المح بالحاء المشددة وضم الميم : صفار البيض . والقيض بضاد وقاف: قشر البيضة .

٦) بهظه كمنع : بلغ به المشقة أى حملهم المشقة .

من كان بحرا زاخرا علمه — وغيره لغيضه الغيظ (١)
ذاك الذى يفرى الامور كما — يخلقها وغيره كظ (٢)
من كان ان وعظ انصت من — فى المنتدى فوعظه الوعظ
بالجد والجد تنال العلا — هما له النصيب والحظ
سيدنا المختار مختارنا — نحن وشجو للعدا غيظ
من قد غدا الظل الظليل متى — أظلنا من جهلنا قيظ (٣)
وصفتنى لحسن ظنك بى — بشيم منى لها شمظ (٤)
لكنك الموصوف حقا بها — وكيف لى من بعضها حظ
منى سلام طيب أرج — على الذى ساعده اللفظ

٢٨ شعبان ١٣٦٢ هـ

كانت مذاكرة حول اعراب نحو (صحارٍ) فى مجلس حضر فيه شيخنا هذا . فكتب الىّ فيما بعد ما ياتى :

الدائر مع الحق حيثما دار . المنحرف عن الجهل وشفا جرفه الهار . شيخنا العلامة الكامل . وعالمنا الفقيه العامل . السيد المختار ابن الشيخ الحال . الصالح الحال . قدس الله روحه . وكثر فتوحه . وسلام الله على حضرتكم . وجمال نفرتكم (هذا) وبعد الدعاء لنا من سيدى فليعلم أن الحق معه فى اعراب (صحارٍ) مجردا من أل والاضافة . وانه كجوارٍ . فيجب الرجوع لقوله . أبقاه الله موفقا محوطا مباركا لنا فيه آمين .

قال الخضرى على قول ابن مالك :

وبالفعالى والفعالى جمعا — صحراء والعذراء والقيس أتبعا

ما نصه :

قوله : وبالفعالى بفتح الفاء وكسر اللام والفعالى بفتحها . ولاتثبت ياء الاول الا اذا كان بأل أو مضافا . واما المجرد فكجوار . انتهى منه بلفظه .

وقال ابن مالك فى التسهيل ما نصه :

(فصل بتنوين فى غير النصب ما ياء آخره الخ انتهى)

---

١) غاض الماء اذا غار . وهو هنا لازم . والغيظ من غاظه : اذا أغضبه .

٢) من أمثال العرب : (ما كل من خلق يفرى) والخلق فى الجلد : ان يقدر الصانع كيف يقطعه . وفريه قطعه كما خلقه . والمعنى : ما كل من قدر الاشياء تتم له كما يريد . ورجل كظ : تبهظه الامور حتى يعجز عنها .

٣) القيظ : حرارة الشمس .

٤) الشمظ بالفتح : أخذ الشىء قليلا قليلا .

وبهذا يجب اعلام سيدى دام حفظه . وصح لفظه .

وكتب فى ١٣ حجة عام ١٣٦٢ هـ

(أقول) لينظر من بعدنا الى هذا التواضع من الشيخ لتلميذه الصغير فحياكم الله وبياكم يا أساتذتنا الذين يعلموننا كيف التواضع . وكيف الانصاف فى المذاكرة . وكيف يقبل الحق . رضى الله عنكم أجمعين .

وجلست يوما معه فتذاكرنا : هل يجوز أن يسكن ما فوق المسجد ؟ وسبب ذلك البيت الذى أحدث اذ ذاك فوق مصلى زاويتنا . فيمر فوق السطح بالنعال . فلما تفرقنا كتب الىّ :

أيها الاخ فى الله الذى هو قرة العين وبدرتها . وزينة دنيانا ونضرتها أبقاك الله لنا فى سلامة وعافية . ونعم متوالية ضافية . وأدام الجميع بمنه

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف اليها ألف آمينا

انى أرى ان أكتب لسيدى بعض ما يتعلق بالبيت المبنى فوق المسجد . لما تقدم لنا فيه منذ أيام من المذاكرة . وان كان سيدى فى غنى عنه . ليزداد به سرورا . ففى (كبير الخرشى) على خليل فى باب (الموات) عند قول المتن: (كمنزل تحته ومنع عكسه) ما نصه :

(التشبيه فى الجواز . والمعنى انه يجوز للانسان ان يتخذ له بيتا تحت المسجد . ولا يجوز أن يتخذ بيتا فوقه . لان لما فوق المسجد حرمة المسجد . وهذا فى مسجد سكنى أعلاه متاخر عن مسجديته . بان يبنى مسجدا ابتداء ثم احدثت السكنى فوقه . وقوله فيما سبق فى باب الاجارة وسكنى فوقه . انه مكروه فى مسجد اعلاه سابق على مسجديته . وهذا أحسن الفروق اهـ منه . وفى (المواق) عليه هناك أيضا عند قوله . كمنزل تحته أى المسجد . ومنع عكسه ما نصه : من المدونة قال مالك : من بنى مسجدا . وبنى فوقه بيتا فلا يعجبنى ذلك . لانه يصير مسكنا يجامع فيه ويأكل . قال مالك : وجائز ان يكون البيت تحت المسجد ويورث البناء الذى تحت المسجد . ولا يورث المسجد اذا كان صاحبه قد أباحه للناس اهـ منه وفى (الحطاب) عليه أيضا فى باب الاجارة عند قوله . وبناء مسجد للكرا وسكنى فوقه . ما نصه بعد كلام : وتحقيق المسألة ان المسجد لله اذا بناه الشخص له وحيز عنه . فلا ينبغى أن يختلف فى أنه لايجوز له البناء فوقه فقد قال القرافى فى الفرق الثانى عشر بعد المائتين : اعلم أن حكم الاهوية تابع للابنية . فهواء الوقف وقف . وهواء الطلق طلق . وهواء الموات موات وهواء الملك ملك . وهواء المسجد له حكم المسجد . لايقربه الجنب .

ومقتضى هذه القاعدة : أن يمنع هواء المسجد والاوقاف الى عنان السماء لمن أراد غرز خشب حوله . وبنى على رؤوس الخشب سقفا عليه بنيان . ولم يخرج عن هذه القاعدة الا فرع . وهو اخراج الرواشن والاجنحة على الحيطان . ثم أخذ يبين وجه خروجه الى آخر الفرق اهـ . ومثله في (الذخيرة) ومثله في (قواعد) المقرى : (قاعدة) حكم الاهوية حكم ما تحتها فهواء الوقف وقف . فلا يباع هواء المسجد لمن أراد غرس الخشب حولها . وبنيان الهواء سقفا وبنيانا اهـ (الحطاب) وفي الفرق المذكور ايضا : فقد نص صاحب (الطراز) على أن المسجد اذا حفر تحته مطمورة يجوز ان يعبرها الجنب والحائض اهـ منه أيضا . واذا جمع مكتوبى هذا الى مكتوبى اليك اولا في شأن حرمة أعلى المسجد تحصل منه فائدة عظمى ان شاء الله لمبتغيها . وكتبه في ٢٨ شعبان ١٣٦٢ هـ عبد الله بن محمد . على انني لم أفهم ما المقصود بالطلق المذكور .

(اقول) : لعل الطلق ما ليس بوقف كما يظهر من الكلام . والله أعلم

ومما خاطبني به شيخي هذا أيضا ١٣٦٤ هـ ما نصه :

يا قدوة ما لنا عنه المناديح	ولا لنا دونه عوض المماديح
ويا اماما به الارجاء نيرة	سنا فاضحت لها منه المصابيح
ومن به انفتحت عمي القلوب هدى	لما أتى وبكفه المفاتيح
لولاه قد بقيت على جهالتها	كحالها في زمان حلها روح
كل العلوم وكلة الفهوم سوى الـ	ـتي حباه بها المولى منازيح
دم للعلا ساعيا ـ نحن فداك ـ فلا	مستك ـ آمين ـ في دهر تباريح
وليهنك المجد يا ابن الخال لا لاحه	حوادث لا ولا لوح ولا ريح (١)
بقيت تروى لنا علما رواجحه	دوانيات وتنئانا المراجيح
رضت الصعاب فاصحبت وما امتنعت	لولاك ما اذعنت منها الجواميح (٢)
ونلت سؤل المنى حين تسنمها	بنية لم تكدرها قواديح
فـ(الغ) قد نبغت آدابها بك اذ	نبغت فيها وغيرها ضحاضيح
أكسبتها أدبا يبقى لها أبدا	فللقلوب به منها تراويح
وقد أنارت لكم علما فلا قمر	سواك يجلود جاها لا ولا بوح ٣
فهي الهدى ازدهت عجبا بساكنها	على سواها فترنوها الملاميح

---

١) كذا البيت . ٢) أصحبت الدابة : انقادت . ٣) بوح بالضم : من أسماء الشمس .

هذا ابن عمتی کلالة ولح یری (١) | فرضا ودادك ماطارت مضاريج (٢)
فبابها نسبة قد كنت شرفتها | علما وفخرا وان صرت مكاشيح
والله يجزيك خيرا ويديمك فى | طيب انتهاء كما طابت مفاتيح

وكنت اكتب الجواب . فلم استتم منه الا ما نصه :

انتم بحور وغيركم ضحاضيح | وفی یدیکم الى العليا مفاتيح
انتم بنو صالح أنوار (الغ) وهل | ما فى يدى اهلكم الا المصابيح
هل تجد (الغ) سوى علم بكم رفعت | أعلامه وبكم غدا به دوح
فـ (الغ) علم وافهام مروقة | وغيرها فى رباه الشيح والريح

هذا ما كنت كتبت . وحين لم استتم القطعة كما أريده لم اوسلها اليه .

مع الاستاذ الاديب سيدي محمد بن علي الالغي

كتبت الى الاستاذ سیدی محمد بن على الالغي واخوته سيدى المدنى وسيدى الطاهر . حين ماتت أختهم خديجة . وتركت صغارا من بين أولادها وقد توفيت ليلة الاربعاء ثاني رجب ١٣٦٤ هـ :

ارمست عن غير عرض منك متسخ | يا بنت خير اب ؛ يا اخت خير اخ
نلت المعالى بالاخلاق صنت بها | لا بالاساور فى الزندين والفتخ ٣
من كان مثلك فى اهل وفى نسب | سامى العلا بالخلال الغر لاالبذخ ٤
ما زهرة نبتت فى روضة أنف | مثل التى نبتت فى بلقع سبخ
انى يكون كمن ذاعت ماثره | أى امرىء ورم الاناف منتفخ
قد كنت حلما ويااليت السماء اتت | فى كل بيت بحلم منك منتسخ
نوديت مرضية فى الحشر يوم يرى | كل الورى فى ازدحام وسط مصطرخ
والله بعدك يكلا وسط رحمته | دون الحوادث أفراخا بذى مرخ ٥
عزيتم ياذويها من يراعة ذى | عى لقول قريض الشعر مرتضخ ٦

---

١) هكذا الشطر .

٢) المضرح بفتحتين : الصقر الطويل الجناح .

٣) الفتخ بفتحتين جمع فتخة : الخاتم الكبير . وصنت: بكسر الصاد .

٤) البذخ فى العيش : الترفه . وهو بالتحريك وبالسكون

٥) فيه تلميح لقول الحطيئة لما سجنه عمر :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ | حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

٦) ارتضخ فلان لكنة عجمية : اذا كان يتفصح بالعربية وهو من العجم .

مع الاستاذ سيدي المدني بن علي الالغي

كتبت اليه مختتم شوال ١٣٦٣ هـ تهنئة بولده علي . المولود في ذلك الشهر ما يلي :

بشرى فقد شرقت في (الغ) شمس على ... في (الغ) يختال في الاطواق والحلل
نجل تبدى لمن تصفو سريرته ... كعالم منذ هذا الطور مكتمل
كأننا بعلي عالما ندسا ... أخباره في الورى اسرى من المثل
يسير في العلم مشهورا كما عرفت ... اسلافه منذ يعسوب العلوم علي
يشيد في العلم ما قد كان أسسه ... من أهله من دروا بالعلم والعمل
فانه صالحي الاصل ممتلىء ... بما به قلب كل الصالحين ملي
فالصالحي يبذ الناس كلهم ... علما وان كان يمشي فيه عن مهل
أجدر بمن طاب أصلا ان يطيب له ... ذكرى لذي نهل في الورد أو علل
لكل قوم تلاد والتلاد لدى ... أبناء صالح علم صان من خطل
تشابه الفضل في أكناف اسرتهم
(والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل)

وكتبت اليه جوابا عن رسالة . وقد هنىء بعيد رمضان :

تحية عبد كاد يقضي تشوقا ... الى من به (الغ) المشرف أشرقا
فقد طال هذا البين حتى تزعزعت ... جوانب قلب بالصوادع ارهقا
(وبعد) فهنيتم بعيد يرى بكم ... بني المجد عيدا في سما البشر مشرقا
وجوزيتم بالود تضفون برده ... وتسقونه علاًّ شرابا مُروَّقا
عليكم سلام ما همى ودق ديمة ... على الروض حتى كان بالزهر مونقا

وكتبت اليه في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٦٣ هـ بديهة :

سلام يغادي مجدكم ويراوح ... يطيب به عنكم رياح نوافح
فانتم سراة الصالحين أنجم ... لكل عيون المبصرين لوائح
ومن أصله من صالحين فانه ... لكل مقامات من المجد صالح
فانتم أحق الناس بالمجد يقتني ... له الشعر ان جاشت لمدح قرائح
عليكم سلام الله عودا ومبدءا ... كما رف زهر في الكمائم فائح

وكتبت اليه أيضا في جواب رسالة في عيد :

زمانك ميمون وعيدك طيب ... أما حزت في العلياء ما فيه ترغب
وما (الغ) الا هامة انتم على ... مفارقه تاج المعالي المذهب
فما (الغ) الا أنتم لا عدمتموا ... فان تذهبوا - لاقدر الله - يذهب

وكتب الىَّ هو معتذرا عن الحضور عندى فى الحفلة التى اقمتها لشيخنا الامام سيدى الطاهر بن محمد فى الاسبوع الذى افضل علينا فيه بالزيارة وقيلت فيه ـ ترحيبا به ـ قصائد عدة من الالغيين :

اننا بكل ابتهال وتذلل وتملق . نامل من سيادة اخينا الاستاذ العالم الكامل . الجهبذ الفاضل . أبى عبد الله سيدى محمد المختار أن يصون الله بدره من الافول . ويسعد نجمه ما نوى مسافر القفول . وسلام اليه الاعبق الاشمل ينوب عنا فى لثم راحته الشريفة . والمامول أن يوسع لنا العذر فى التخلف عن حضرته السعيدة الزاهرة المنيفة . فان من الاعذار ما لايجوز افشاؤه . كما قال الامام مالك رضى الله عنـه . فليس كل الناس يصلح للحضور والمحاضرة . فرب انسان ضعفت بنيته . فهاضته اكلته فحرمته ماكـــل (١)

ليس المقصر وانيـا كالمقصر حكم المعذَّر غير حكم المعذر

وسنحضر ونحاضر فى الحضرة الشريفة ان شاء الله قريبا . انمـا الاعمال بالنيات .

١٤ رجب ١٣٦١ هـ

الجواب ارتجالا :

أهـلا بعـذر جهبـذ يومـه في مجده أعلى من الامس
انـا عـذرناكم ولكن اتسـ ـتغنى الطفاوة عن الشمس
أنـى لناد غبتـم عنه ان يطـوف فيـه طائف الانس

ووجدت في مقيداتى الالغيـة هذه القطعة . ولا أدرى الآن لمن هى والغالب أنها للنجيب سيدى الطاهر بن العربى الادوزى المتوفى فى (زيان) يخاطب بها الالغى الكريم سيدى المدنى :

قد عرانى الدهر ما أخبثه اذ رمانى سهمه فى ذقنى
وسقانى شربه من بعد ما كنت بين النشء لا يعرفنى
ونفانى عن مرامى منذ أن صرت فى طى النـوى عن وطنى
فارانى طللا يهمـى لـه دمـع عـين طالمـا اجهدنى
وقفت فيـه الغوانى ونفـة جعلت رجلى فـوق القنن
قل لجيران بـ (الغ) اننـى لست أنساكم ولو افقدنى
بكـم لا بكليب اننـى مستجير فحماكـم جننى

١) قـال :

فربت أكلة منعت أخاها بلـذة ساعة أكلات دهر

(الغ) كم ينطح فى المجد السها — فوق ذاك (الشام) و (اليمن)
سيما ان كان منكم شيخنا — من به مفخر هذا الزمن
مطلع السعد منار الكرما — سيد الاعلام شيخى المدنى
حبه أودع ما بين الضلو — ع ونعم الود ما أودعنى
بعتكم جسمى فلا أبغى به — غير ان ترضينى من ثمن
هاكها يا سيدى ان أحسنت — واحسبنها ان است لم تكن

فأجبت القائل ارتجالا :

قمرى غنى على فنن — فاستثار القلب من شجن
صدحت ألحانه فانبعثت — سورة اللذات من أذنى
هاتها كأسا مشعشعة — فسرورى طار بى للقنن
فقريض الشعر يملكنى — فيهز الروح من بدنى
فتراني كنسيم مرَّ عن — أيكة فاهتز عطف الغصن
ايه يا (الغ) فكم قافية — طوقت جيدك بالمنن
قد أشادت لك ذكرا طيبا — ذاع من (سوس) الى (اليمن)
أهلك الغر شموس العلما — أى قدر لبنى العلم سنى
مجده يمتد من عهد على — نخبة الامجاد حتى المدنى
ومجيد العلم حى خالد — أبدا يذكر فوق اللسن
أيها الشاكر (الغا) انما — فهت للدر بصدق الثمن
هل يرى الناس بفضل غير من — لا ينائى مستقيم السنن
ان أهل الفضل عاداتهم — استواء السر والعلن
دمت للعلم وللدرس الى — ان ترى من خطل فى جنن

نزهة في (إيسافن)

فى ربيع الاول ١٣٦٤ هـ صاحبت صبيتنا الصغار على البغال لنزور مرتبع عائلتنا . فرأينا تلك المسارح . وتلك العزبات . فبتنا بين الغنم . تقفز علينا الجديان والحملان . وقد افترشنا أحمال الشعر . وتعشينا مع الرعاة بأكلة ('بوفتى) فكانت نزهة لطيفة . فلما رجعنا كتبت الى العلامة سيدى المدنى هذه الرسالة . بعد ما هنانى بالرجوع :

وعليكم كما بداتم سلام — مثل ورد تنحل عنه الكمام
وتحاياكما تطيب سجايا — منكم ايها الرجال الكرام

(هذا) فقد توصلت أمس برسالتكم الكريمة . تتضمن تهنئة بالنزهة (الويدانية) كما يجرى على الالسنة . ومنه كتاب الاجوبة للويدانى الشهيرة كما يقال فلان ملوكى الخزانة . والشهرة تكفى فى المسامحة للنسبة الى الجمع . كما فى علمكم (وان كان الجمع للوادى لم يرد منه (ويدان) ولا (وديان) وانما ورد أوداء وادوية . فهذا الجمع من اصله منخرم . وقد كنا راجعنا اللفظة قبل اليوم فلم نجد للجمع بالويدان ولا بالوديان مسوغا . فليضرب عنه الى الاودية والاوداء) وهى نزهة طيبة . تعرفنا فيها بمرتبعات الجدود والجدات . والآباء والامهات . ويكفيك أن العليين الذين هما مفاخر (الغ) انما ولدا معا هناك . فالشيخ على بن أحمد فى(وينكزماضن) والاستاذ على بن عبد الله فى (تارين) كما اخبرني بذلك العم ابرهيم حفظه الله قبل اليوم. وقد ءانسنا (سمون ايسان) فـ(أسكن) فـ(تاغيا) فـ«بيزالاغن» وما اليها من مرتبعات أهالينا . فانشرحت الصدور . حتى طفحت بالسرور وكذلك عرجنا بـ (تيبيوت) والقرى حولها فشاهدت لأول مرة تلك القرى البهجة . ولعمرى أن لها رونقا وبهجة . وارضا مستطابة . كما تتضمن أيضا رسالتكم السؤال عن ضبط مقصر فى قول ابن الخطيب (كما فى بالى)

أرى كل مدح فى النبى مقصرا ... وان بالغ المثنى عليه واكثرا

اذا الله أثنى بالذى هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

أيجوز فى اللفظة فتح الصاد على صيغة اسم المفعول أيضا . أم لايجوز الا اسم الفاعل . من قصَّر عن الشىء اذا عجز عنه . ولم يستطعه . فالذى يظهر لى أن ذلك يجوز أيضا . فيكون من القصر ضد الطول . فقد ذكروا انه يقول قصر الشعر وقصره تقصيرا . وباب المجاز أوسع من كل باب . لكن الاولى من جهة الذوق الادبى هو جعله على صيغة اسم الفاعل . وليس كل ما يجوز لغة ونحوا يجوز ذوقا عند الادباء الذين ليس لهم من البلادة نصيب . كما تتضمن أيضا ما انفصل عليه البحث القديم حول لفظة(مضاما) فى قول الابوصيرى (لاتخل جانب النبى مضاما) المحفوظ من البيت مضاما بضم الميم على صيغة اسم المفعول . من أضامه . الا أن اللغويين لم يذكروا الا ضامه يضيمه على صيغة الثلاثى . وقد كثر عنه التساؤل من الاساتذة الالغيين . فقد اطال شيخنا الاستاذ العلامة ابو محمد الايفرانى التامانارتى البحث عن الكلمة . فلم يجد من ذكر (أضامه) بالرباعى . ولا وجد من نبه على اللفظة من الشروح التى وقف عليها . حتى ابن مرزوق . وقد اثار شيخنا هذا البحث فى مجلسه بداره يوم زرناه أواخر ١٣٦١ هـ فقال ابنه سيدى محمد : يكفى فى اثبات الرباعى استعمال الابوصيرى له . فابتسم شيخنا والده فانشد :

(وعجيب منه فقيه نبيه   بمحل النزاع كيف استدلا)

والحقيقة أن ذلك ليس بدليل . والا لوقفنا فى مثل ما قاله شيخنا سيدى عبد الرحمن ابن القرشي الوزير الفاسي رحمه الله يوما في درسه : ان اللغة أوسع من كل شيء . فكل من استعمل منها شيئا فلا تنكره عليه ولو احتج بأن كتب اللغة لم تذكره . وذلك لان اللغة أوسع من أن تحيط بها القواميس . ولاريب أن ذلك ليس بشيء . وقد كتب شيخنا ابو محمد سيدى عبد الله بن محمد الالغى على الرحلة التى جمعناها اذ ذاك ١٣٦١ هـ حيث وصل هذا البحث : ان الذى يظهر أن الكلمة بفتح الميم فتكون مصدرا ميميا فتكون على حذف مضاف أى لاتخل جانب النبى ذا ضيم . الا أن هذا يعكر عليه أن المكان يكون بجعل ذلك الجناب ضيما مبالغا . واطلاقنا المصدر مع ارادتنا للوقف لايرتكب الا فى المبالغة . كقولنا رجل عدل بمعنى انه تكيف بالعدل . حتى يصح أن يدعى فيه انه كله عدل . وذلك لان مضاما خبر فى الاصل . وانما عاد بعد ذلك مفعولا ثانيا لـ (تخل) ولا يخبر بالمصدر الا عند ارادتنا للمبالغة . والمبالغة غير مقصودة . لانه ليس مقصود الابوصيرى لاتخل جانب النبى استحال كله ضيما . بل مقصوده مطلق نسبة الضيم . ويدرك هذا من له المام بعلم البيان . زيادة على الذوق الادبى . والحاصل أن فى الكلمة ما فيها فلم ترد فى كتب اللغة . واعلاها اليوم شرح (القاموس) المستوعب لما فى (لسان العرب) وغيره . ولا ان استعمال الابوصيرى وحده كاف فى قبولها . فلم يبق الا أنها داخلة فى قول الامام مالك : كل كلام فيه مقبول مردود الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وكلام اللــــــه .

(نعم) ذكر علامة (الرباط) سيدى المكى البطاورى فى شرحه على الهمزية انه يقال : اباعه : عرضه للبيع . وعلى ذلك يخرج (أضامه) هنا . أى لاتخل جانب النبى عرضة للضيم . وهو تخريج حسن .

هذا ماتيسر الآن كتبته عن عجل فى اخر يوم من ربيع الاول ١٣٦٤ هـ

مع الاستاذ سيدي الطاهر بن علي الالغي

كتبت اليه ـ ١٧ ـ ٥ ـ ١٣٦١ هـ بعدما زارنى زورة لحاجة :

يمينا وانى من تبر يمينه   بأن أبا شرواك قرت عيونه (١)
ظننت بنا ظنا فزرت ونرتجى   لمثلك فينا ان تصيب ظنونه

١) هذا شرواك : هذا نظيرك .

صفوت فخلت الصفو من كل جانب

اذا طاب أصل الماء طاب معيشه

وكتبت اليه ايضا وقد اتحفته اثر رجوعى من سفر بشبه هدية نقدية . لاعواز الطرف من الاسواق التى اقفرت اذ ذاك من أجل الحرب . وذلك ١٠ ـ ٥ ـ ١٣٦١ هـ :

يا خير قاض قد تعطر ذكره   فتعطرت بأريجه الآفاق
خذ شبه تحفة قادم فلقد أبت   من أن تساعد بالمنى الاسواق
لكن اذا لم تهصر الاثمار من   تلك المنى فلتهصر الاوراق
لم يدر كيف السوق فى هذا الزمـ   ـان سوى الذى وخدت به الانواق
منى اليك تحية يا خير من   تذكاره للظمى الجوى ترياق

وكتبت اليه ايضا تهنئة ببنته (آمنة) فى آخر شوال ١٣٦٣ هـ :

البنت مثل درة فاخرة   فى وسط نحر دمية ساحرة
فكل دار لم تكن وسطها   بنت فدار قفرة ناخرة
فانها الشمس تشع سنا   أنوارها ساطعة باهرة
فى كل قلب جانب لم يكن   يملؤه ذو غرة ظاهرة
حتى يشع نور بنت اذا   جوانب القلب به عامرة
يا حبذا البنت فما وجهها   غير محيا الرحمة الغائرة
تذوب عطفا كلما آنست   من حول من قاربها دائرة
تنسى نصيبها ولكنما   ذكرى نصيب أهلها حاضرة
ما البنت غير ملك طاهر   فدارها بخلقها طاهرة
من لم يكن يعرف بنتا فما   يعرف كيف الزهرة العاطرة
ولا درى كيف تحوم به   نفس تقوم دائما ساهرة
وكيف يحيا تحت ظل فتا   ة برة حاذقة ماهرة
عامرة لبيتها كلما   جالت به ناهية آمرة
قرة عين كلما شمتها   شمت بها الخبرة الفاخرة
تعجب خلقا وخلالا كما   تخضل كل روضة ناضرة
من مثل ربات البيوت اذا   يجلن فيها فلكها الماخرة
هن حنين فى الحياة وذكـ   ـرى دائما ان صرت للآخرة
فمرحبا بكل بنت أتت   تقود أفلاك العلا السائرة
فانها مجلى السعادة للـ   ـقلب وعين للصفا باصرة
وصيقل العيش وحليته   وطلعة السيادة السافرة
تستنهض الرعديد حتى يخو   ض كل حرب مرة جائرة

فتختلى جموعٌ لُدُّ اذا ما أمرت فتثنى صاغرة
فمن تكن تعييه حيلته فاصبحت ذراعه قاصرة
فانه يجد فى كفها فى كل حين حيلة حاضرة
يا بنت يا نعم المعين لمن يشاء دنيا أو يشا آخرة

وكنت مرة فى صباح يوم فى دار صهرنا سيدى صالح بن أحمد فى (الـغ) وأنا أرمد . فكتبت وقد أحضرت اللهنة الى هذا الاديب . وهو جار المذكور وذلك فى شعبان ١٣٦٢ هـ :

ماذا رأى من لم ير الرمدا لا ارتد نحوى داؤه أبدا
يحرمنى ذوق مطالعة أطوى بها فى وحدتى الامدا
والآن أبقى جد مستوحش ان لم تصادف مقلتى أحدا
فهل لمن فاضت مكارمه حتى غدا فذ الزمان جدى
ان يفضل اليوم على خله هذا فيسدى للخليل يدا
فيملؤ النهار أجمعه بأى كتب تبهج الخلدا
فاننى أصبحت ضيفكم والضيف ذو حق اذا قصدا
فهذه اللهنة قد حضرت فهل أنا آكل منفردا
فان تكن مشتغلا فابتدر ثم ارجعن حتى يحين غدا
يا أيها القاضى المبجل لا عدمت من صوت أخيك صدى
فان يكن يسلك فى شعره كما ترى طرائقا قددا
فانها فهاهة لازمت لهجته كعادة البلدا
لكنه لا بأس فى شربة من آسن ان لم يكن (بردى)
دمت لقول الشعر محتفلا تعيش فيه عيشة رغدا

وكتبت اليه أيضا معاتبا . وقد انقطع عنى أياما وسط رمضان . بعدما كان لازم الاختلاف الىَّ . فنقضى كل النهار مذاكرة . وقد كان نوى أن نمر بـ(ورقات) أمام الحرمين فى (الاصول) فاعرته نسخة منها . فنقطع بالادبيات الاوقات . وقد كان فى الحين مشتغلا ببناء فى داره :

هددت زمانا فى موانستى حبلا وسددت حينا فى مواصلتى نبلا
وكنت تثير من مناجم وصلنا كنوز بحوث لا نظير لها قبلا
فقصرت أيام الصيام فأصبحت كومضة برق الرعد ان يدفع الوبلا
فماذا عرا حتى تنكبت ان ترى لوجهة هذا العبد من أزمن سبلا
آتبنى بيوتا ثم تترك قبة من العهد تنهار انهيار الذى يبلى
أآن غودرت تلك الاصول وكتبها تغادرنا أيضا أصول الهدى (مهبلا)١

---

١) كلمة مشلحة : أى على بله . بسكون الميم والباء وفتح الهاء .

تأمل جلوسى ناظرا متطلعا لوجهك لا أمضى كمن جلل الكبلا
ففى كل وقت فى النهار أقول ذا مجىء همام وجه ساطع نبلا
فيمضى نهار ثم آخر بعده وانى كمن يسقى من الوحدة الخبلا
فاقضى جميع الساع فى حرقة النوى فمن لم يكن يبلى بها فانا أبلى
فقد كان من افضاله من يدق فى مواصلتى فى كل آونة طبلا
فأبلى زمانا فى الوفا والعجيب أن يكع بميدان الوفاء الذى أبلى (١)
وقد كان ممن خيمهم أن يواصلوا دواما فهلا كان فى خيمهم شبلا (٢)
ووالله لولا الخوف من دهشاته لطايرت حينا نحوه الحدأ القبلا (٣)

الاستاذ القاضى الجليل سيدى الطاهر بن على . صباحا مباركا . فخذ مفاكهة تشغلك عن غبار البناء ولو ساعة . فانه ليس بقليل أن ينال بالك راحة ما ساعة . ومتى وجدت منك ادنى فراغ . فاجعل أقدامك عين الجواب . فذلك عين الصواب .

١٧ رمضان المعظم : ١٣٦٢ هـ

وكتبت اليه يوما فى دار صهرنا سيدى صالح بن احمد جاره وأبى زوجه فابطأ عنى . فكتبت اليه :

حبر (الـخ) الفهامة العلامـة كان فيه للمجد اجـلى علامـة
وامـام العلـوم فيه ويـا سعـ ـد نحّى مثله يكون امامه (٤)
اننى قـد نزلت تحت جـوار من بيوتاته نزول سلامة
فعلى ما لـم يبتـدر للقائـى ـ كرما منه للمشوق علـى مـ
أم له العذر واضحا واخو الاعـ ـذار دوما لا يستحق ملامة

آخر صفر ١٣٦٣ هـ

وكتبت اليه ايضا فى ١٢ من ذى الحجة ١٣٦١ هـ أستدعيه ليحضر معنا فى حفلة أقمناها :

عندى من الاخـوان زهر بهم قـدر أخيـك فى الفخـار سما

---

١) أبلى الاول : من بلى كفرح . أبلى مضارع . وأبلى الثانى من أبلى الشىء اذا جعله باليا . وهو ماض متعد . وابلى الثالث من أبلى الرجل فى الميدان اذا بذل فيه جهده وهو ماض لازم .

٢) الخيم بالكسر : العنصر .

٣) الحدأ جمع حدأة . والقبل ج قبلاء : التى تنظر بطرف العين الى الانف . قـال :

وتبلى الألى يستلئمون على الألى تراهن يوم الروع كالحدا القبل

٤) النحى بالقصر : الناحية .

ماذا ترى فى أن ترى بينهم ... كالبدر أثناء نجوم السما
دمت لذاك المجد ترفل فى ... أثوابه مثل ابن ماء السما

وكتبت اليه أيضا متشكيا :

بليت بسفلة لا يتركونى ... اقدم للطبيعة مشتهاها
ولولاهم لما أخرت حتى ... حرمت من المعالى منتهاها

وكتبت اليه أيضا وقد أبطأ عنى أياما وقد كنا تواعدنا على قراءة (الاصول) :

تأخرت أياما تظن أو أعواما ... فقد أضرم الشوق المبرح اضراما
فقد أوشك الاسبوع أن ينقضى ولم ... أشم منك وجها بالتحية بساما
فماذا الذى أحجمت عنه ألم تكن ... الى وجهتى من قبل تقدم اقداما
أأنسيت من فن الاصول مفاهما ... اذا ذقتها أصبحت فى الجيل مقداما
فقد كاد هذا الشهر يمضى فراغه ... ولم تجن من تلك الحدائق أفهاما
فطر بجناح الشوق نحو معارف ... تنسيك ذوق الراح أن ترشف الجاما
وعول على أكل العشاء فربما ... تحس بهذا قبل رقمى الهاما
عليك سلام مثل خلقك طيب ... يدر كقطر سيله عم آكاما

٢٥ رمضان : ١٣٦٢ هـ

وكتب الى وقد قدمت من احدى سفراتى :

شيخنا العالى الهمة . والمتبحر فى العلوم العقلية والنقلية . سيدى محمد المختار . سلام الله الاشمل الاطيب الاكمل . على حضرتك وعلى من بها واليها . ورحمة الله وبركاته .

(هذا) واننى أقول لسيدى ما قاله رفيع الدولة أبو يحيا بن المعتصم الاندلسى لبعض أشياخه . يهنيه بقدوم من سفر . ما نصه :

قدمت أبا بكر على حال وحشة ... فجاءت بك الآمال واتصل الانس
وقرت بك العينان واتصل المنى ... وفازت على يأس ببغيتها النفس
فاهلا وسهلا بالامامة كلها ... ومن رأيه فى كل مظلمة شمس

وعلى محبتكم واجلالكم . والاعتراف بما لكم علينا معشر الالفين . والسلام

الجواب :

لقاؤك دوما لو تيسر لى عرس ... وفيه لمثلى كل ما تشتهى النفس
قدوم ولكن من نوى لنوى كما ... تجول سفين فى القواميس لا ترسو
اذا لم يكن نور اللقاء فهل ترى ... سوى ظلم سود وان طلعت شمس

الاخ الذى به أتعالى على المجرة . والطلعة التى منها وحدها أجد فى (الغ) كل مسرة . الاديب ابن الاديب . والعلامة ابن العلامة . سيدى الطاهر بن علي . دام علاه . وفازت بكل ما يتمناه يداه .

(هذا) فبعد ما يعطر حضرتك من السلام والتحايا . مما لا يليق الا لتلك السجايا . أعلن للاخ أن ابن عمك هذا قد آب من سفرته . فآب بكل أمنية . وقد وجد من جميع من لاقاهم مناه . وان لم تكن الا فى بنى (الغ) وخصوصا منك أنت سلواه . وكل من عرف أخلاقك ورآك فسيرى . والصيد كله في جوف الفرا . فدم للمعالي والمعارف . وللآداب التى أنت لها عارف أى عارف والسلام عليك أولا وأخيرا :

دم للمعالي والمعارف والندى | أوما غدوت لالغ يومك سيدا
ما انت الا المجد صور شخصه | فى بردتيك فكنت حقا أمجدا
لله درك من اديب يجتني | ثمر القصائد من قضيب أملدا
فلقد ضممت طريف فضلك للذى | قد كان قبل من الوشائج متلدا
من كان مثل أبيك مفخر جيله | فى كل مكرمة تؤثل فى الندى
فالصالحيون الكرام هم هم | في سلسلات العلم أقوى مسندا
لولاهم ما كان يذكر (الغ) في | علم ولا يوتى اليه للهدى
دمتم بنيهم في طريقتهم على | رغم الذين يناوئون من العدا

وكتب الى وقد قدمت من سفر :

أتى فسلا قلبي وما الشان سلوانى | امام ينسى فى العلا كل انسان
به وحده هام الفؤاد صبابة | فليس الحمى قصدى ولاشعب بوان
لك الله يا من بشرتنى فاننى | اجرر من فرط المسرة أردانى
أتدرين من بشرتنى بمجيئه | أتى خير أصحابى وأفضل اخوانى
أتانا امام الدين من طار صيته | بمغربنا هذا الى أرض عدنان
امام له فى كل علم براهن | ولاسيما علمى حديث وقرآن
به جبر الله العلوم بأسرها | وكانت قبيلا بين خسف ورجفان
تداركها تدارك الله أنسه | بهمة شهم حازم ليس بالوانى
أسيدنا المختار أهلا فان لى | الى نحوكم شوقا يقرح أجفانى
عليك سلام مثل أخلاقك التى | تفاوح نشر المسك والورد والبان

الجواب :

فصاحة قس أم بلاغة سحبان | تشعشع ما أحسوه رشفا بآذان
فقد ذكرت تلك القوافى مسامعى | برناتها اسجاع قمرية البان

قواف لها سحر النوافث فى النهى — فما الغيد بل ما العين ما بين كثبان
لهـا روعـة الغيـة فكأنمـا — تفتح منها الزهر من فوق قضبان
تخر لها أذقان من انصتوا لها — كما خر للصلبان اذقان رهبان
أتت كاعبا عذراء تنشر فى الاخا — ملاءة حب ناصع اللون ربانى
فحب ذوى القربى اذا كان خالصا — وكان صفيا ماؤه فهو حبان
اهنأ بالرجعى من أطيب سفرة — جميع المنى فيها كما شئت لبانى
فحمدا وشكرا اذ رجعت لبلدة — هى السول لا (نجد) ولا دارتا (الربانى)
فدام على ابن العم نفح تحية — تعطر (آمقنسو الى آكن ولنبان) ١

آخر المحرم ١٣٦٤ هـ

مع الاستاذ سيدي الحسن الالغي

كتب الىّ الاستاذ الحسن بن على المعين فى المدرسة الالغية ـ اذذاك ـ بما يلى . وذلك كجواب رسالة منى اليه اثر ايابى من رحلة من الرحلات التى رحلتها فى (سوس) :

على دوحة المجادة . ومنبع السيادة والسعادة . ذى الفضل الباذخ . والنفع الراسخ . استاذى وسندى وقرة عينى ومنية خلدى . العلامة الشهير . البدر المنير . تقصار اللئالىء . وفخر الايام والليالى . أبى عبد الله سيدنا المختار . جمل الله الوجود بوجوده . وأدام السعادة من وجوده .

سلام على أنوار طلعتك التى — أميس بها سكرا وأفنى بها وجدا

(هذا) ولا بأس والحمد لله . ونحن قد ابتهجنا بايابكم من سفركم المبارك غاية . وقد رفعت بذلك الافراح الراية .

وحيث اتجهتم صادفتكم عناية — ويرعاكم الرحمن فى كل معهد

كما ابتهجنا بحلول نجل اخوالكم الكرام البررة . البهاليل البدور الاجلة . أبى محمد سيدى الطاهر بن العربى الادوزى بساحتنا . وقد قلت شبه أبيات . لما أكرمنى برسالتكم الكريمة السابقة لانها حركت ساكنى . وهاجت أشواقى . وأفراحى الى تلك الحضرة العالية القعساء . فاسمع واعذر أخاك واصفح عن زلاته . فانه قليل البضاعة فى هذا الشان . ولكن :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم — ان التشبه بالكرام رباح

نصهـا :

---

١) آمَاقنسو : جبل مطل على (الغ) شمالا . وآكّن وألبنبان : ثنية فى جنوبه . و (بانى) المذكور قبل : جبل فى (تامانارت)

سلام على أستاذنا الجوهر الفرد … سلام محب لا يميل الى الصد
أتانى فأحيانى كريم خطابكم … وأطربنى فازددت وجدا على وجد
وذكرنى انسا تقادم عهده … وهيجنى شوقا الى حضرة المجد
الى حضرة فيها المحاسن خيمت … ونيطت بها الآمال فى القرب والبعد
الى حضرة أحيت ماثر سادة … كرام وقد اشفت على الحتف واللحد
الى حضرة المختار مولاى من غدا … هلال العلا يهدى الى مورد السعد
لحى الله دهرا حال بينى وبينه … وقد كان لى فى قربه جملة القصد
ومنى على السعدين نجليكما معا … سلام كما هب النسيم على الورد

وعلى الاستاذ ان ينبه أخاه على خطاه . فانه كثير . وسلم منى بأتمه على النجلين الفرقدين سيدى عبد الله وسيدى سعيد . أقر الله بهما العيون والافئدة آمين .

فاجبته بما يلى تنشيطا له :

أمصة ريق الثغر أم مصة الشهد … أم الرشف من كاس موردة الخد
أم التذ من سحر البيان فاننى … اميس التذاذا ميسة الاغصن الملد
قواف أتتنى أم تقاصير فصلت … كما فصل النوار فى باقة الورد
أجاد لها السبك العجيب مفوه … تخطى مدى أشعار أحمد والكندى ١
رمتنى بنات الشعر نبذ النوى لدن … سنين الى أن كنت فى غاية البعد
فما عدت استحلى مغازلة الهوى … ولا استطيب الذكر للنحر والنهد
الى أن أتانى اليوم ما يستفزنى … على رغم أنفى للصبابة والوجد
فثرت الى حوك القريض كأنما اسـ … ـتثار هيامى الحسن بالثغر والخد
أيا حسنا أحسنت لا فل مقول … به تستثير السحر عن شعرك الفرد
ظفرت بصمصام صقيل تجيله … وغيرك ما حازت يداه سوى الغمد

الاديب الذى نبغ من (الغ) بعد الفترة . والذى استعاد به الادب الالفى استقامته بعد العثرة . الفقيه ابن الفقيه : سيدى الحسن بن على . وعليك أفضل السلام كما يليق بمقامك العلى . (هذا) فلله درك من بليغ درى كيف يسحر الالباب . وكيف يستخلص اللباب . نشرت لنا حلة من حلل ابن الرومى أو ابن الدمينة . ونثرت علينا الجواهر المنفسة من قوافيك يسرة ثم يمنة . فلا أحسب اننى قرأت لك مثل قصيدتك هذه الفذة . فهل نطمع أن نساجلك . وأنت تملؤ الدلو الى عقد الكرب (٢) أو نجاريك وأنت

---

١) أحمد المتنبى . وامرؤ القيس .

٢) البيت : من يساجلنى يساجل ماجدا … يملؤ الدلو الى عقد الكرب
والكرب محركا : الحبل الصغير الذى يجعل بين الحبل الكبير والدلو .

السباق للغايات . ونحن وأمثالنا وراء عثيرك فى مزالق انتشبنا فيها الى الركب . فانت فى الادب العالى قرة العين . وما أجدرك بأن ترفع عقيرتك بقول ابن الحسين :

وهاجى نفسه من لم يفرق كلامى من كلامهم الهراء

ولكننا على كل حال حين حرمنا أصل الآداب العليا لابد لنا من أن نقنع بأن نستدر فرعها . ولو خيرنا لاخترنا . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . فاقبل الودع عن النضار . وفى استجلاء خافيات النجوم تتفاوت الانظار . فليس لك الا مثل هذا من مثل الحصر المختار . وربك يخلق ما يشاء ويختار

١١ رجب ١٣٦١ هـ

وكتبت أيضا بمناسبة الى المدرس المذكور :

لله در الحسن المرتضى	من نجمه بين اللدات أضا
فانه نفاعة ان يجل	فى مجمع بسيفه المنتضى
يقول حقا آبيا من أبى	وراضيا من كان فيه رضا
كذلك العالم لايستحى	ولا يخاف ساخطا نضنضا

مع الاستاذ سيدي بلقاسم بن محمد الالغي

كنت مع الاستاذ ابن العم سيدى بلقاسم السليمانى يوما على مائدة فخاطبته بهذا الرجز . لاننى رأيته يأخذ الكأس باليمنى . مع كونها ملوثة بالمرق كعادة بعض الناس الذين لايفرقون بين مقام ومقام :

لا تمسك المشرب باليمين	ان لطخت بمرق الطجين (١)
أو بشواء أو ادام أو بما	يدك من ملمسه لن تسلما
فان ذاك للاناء مفسدة	فاعله جانب نهج المحمدة
فانه بلا مراء يستحق	معذلة من المهذب المحق
فصاحب الشريعة المطهرة	حث على النظافة الميسرة
وصح عنه أنه قد جمعا	يسراه واليمين فى الاكل معا
اذ يأكل الرطب والقثاء	كما سمعت فى الحديث جاء
فجاز أن تشغل يسراك اذا	يمناك ذات الشغل فادر المأخذا
لاتفسدن بورك فيك المشربا	لاسيما ان كان جاما مذهبا
أو كان صافيا من الاقداح	فانها مثلبة يا صاح

١) هكذا ينطق به اللسان . وهو فى اللغة : الطاجن والطيجن : ما يقلى عليه أو فيه جمع طياجن وطواجن . وهما من الدخيل .

مع الاستاذ سيدي احمد بن الحسن البناءى الايغشاني الالغي

كتبت الى هذا الاستاذ جوابا عن تهنئة له بأحد أولادى المولودين في (السغ) :

من مثل أحمد أن يفه في النادى … وأفاض في الانشاء والانشاد
ما كان يوم تسابق الآ أتى … قبل الرعيل على أبذ جواد
تخذ التقدم عادة في كل مف … خرة كما تعتاد صفحة هاد (١)
من مثل أحمد في الندى اذا جرى … بحث عويص رج منه النادى
يتخبط البحاث في آرائهم … وبحوث أحمد تهتدى بسداد
فالباحثون سهامهم في طيشها … وسهامه في ايما اقصاد (٢)
يا أيها الاستاذ يا من عهده … صاف كصفو الماء وسط عهاد
من كان أحفظ من رعى ما بيننا … منذ الصبا من علقة ووداد
هنيت أيضا يا أخى بسلالة … تحمى علاك تطاول الآماد
وحظيت منها بالذى حظيت به … منك الاصول وخيرة الاجداد
وتدوم للمجد الصميم معمرا … حتى تشاهد ولدة الاحفاد

وكتب الىَّ هذا الاستاذ أثناء رسالة في معرض الثناء على ما كنت ذاكرت فيه شيخنا أبا محمد الايفرانى رضى الله عنه في رسالة (مذاكرة الشيخ الجليل) التى تقدمت في هذا الجزء . ما يلى :

لله در سلالة الاخيار … رب البلاغة سيدى المختار
لله منه محاسن جليت ويا … ما حسنها من بحره الزخار
أو ما ترى ما قد وشاه محبرا … من أفق فكر صيب مدرار
وأتى بما يشفى الغليل فسرنا … لما أجاب بنشره المعطار
أنهى سلامي للفقيه امامنا الـ … ـمختار وهو سلالة الاخيار

٢٢ شعبان ١٣٦٢ هـ

الجواب :

قم فاسقنيها من رحيق عقار … وانثر على لئالىء الاشعار
انشد فان مسامعى ترتاح ان … أسمع روائع شاعر مختار
ايه أبا العباس يا خدن الصبا … يا رب شعر نافح معطار
أيكون عندك في القوافي منفس … وتلوذ مما لكت بالمنهار

١) الهادي : العنق ٢) أقصد الرامي : أصاب الهدف

فمتى غدوت مجبرا فاشي كما ... تحجو بفكر صيب مدرار
ما كنت غير فهيه قوم سبق ... ما ان لهم شق الغبار مبار
فاردت جهدى أن أرى متشبها ... بهم وان لم اغد من اخيار
فتبين من قلمى قواف أسست ... بيد الفهيه على شفير هار
يا سوأتاه متى اجال مفوه ... عينيه فى هذا الهراء الزارى
اذذاك - والحق لاخفاء لنوره - ... اكسى - كما استحققت - ثوب العار
لكننى أعلى الحقيقة قبل أن ... تجلو الحقيقة لكنة المختار
فاقول يا للناس انى لم أقل ... من قبل ما أرضاه من اشعار
ما ان اقول سوى قواف قممت ... لا للعيون ترى ولا الآثار
ازجى بها الاوقات أحيانا كما ... سحت بها كف الزمان الجارى
لو كنت مختارا لقلت كما أشا ... لكننى لم أغد بالمختار
والعقد قد ترضى له الودعات ان ... لم يلف ناظمه سبيك نضار

مع الاخ سيدي محمد ابن الشيخ الالغي

قلت مهنئا لهذا الاخ الاكبر بولد من أولاده . وان لم اكن قدمتها اليه لانه لايستلذ مثل هذا الهذر :

بشرى بذاك الخبر الوارد ... ببهجة الاعمام والوالد
فرع جديد قد تكانفه ... سمو أصل فارع ماجد
سوف يحوز مثل آبائه ... محامد الصادر والوارد
كذاك يغدو ابن الالى كلهم ... محامد عن حامد حامد
فحمد ما شاد الذى اسه ... من نجلوه ليس بالنافد

وقلت فى مثل ذلك أيضا اخاطبه :

بشرى بتلك الزهرة الارجة ... فاى نفس لم تكن بهجة
تالقت من كمها بسمة ... عنها ثنايا السعد منفرجة
ومن يكن روضا أريضا فهل ... يشذى بغير الزهرة الارجة

مع الاستاذ احمد بن زكرياء المجاور في المدرسة (الالغية)

تناول هذا الاستاذ برتقالة (ادشينة) من يد الاديب سيدى محمد بن على . فقال احدهما :

هنئت (ادشينة) كثدى غانية ... سكرى تمايس بين الحلى والحلل

بيت منفرد اتى بديهة . فلما وصلنى ذلك . قلت مجيزا :

أو وجنة من جميل سورقت قبلا ... عن غفلة فاكتست من حمرة الخجل

مع بعض الالغيين

كتبت يوما الى بعض الالغيين ـ ولا استحضره الآن ـ استدعيه :

الجو طلق والزمان سرور	والنفس أفعمها هنا وحبور
والدهر منقاد يساعد والمنى	مجلوة والاصدقاء حضور
والشمل منتظم كدر قلائد	منظومة قد طوقتها نحور
وسماؤنا ترجوك بدرا مشرقا	في الحين يكسو جانبيك النور
كيف السرور لنا اذا لم يأتنا	منكم سرور كله وحبور

وكتبت أيضا الى بعض من انقطع عنى من الالغيين :

صل من تشاء كما تشا أو اصرم	فمتى تفق تعضض يديك وتندم
لوكنت تنظر في العواقب حينما	أقدمت يوم قطيعتي لم تقدم
تناى ويا ويحى اما لى قدرة	أيضا فأناى عنك دون تبرم
لو كان لى قلب كقلب سواى لم	أكتب اليك مدى الزمان بمرقم
لكن لى قلبا علوقا دائما	بوصال كل اخى هوى متقدم

وخاطبت الغيا من أهل لا يحسن الخط بديهة :

يا أيها الكاتب ما اقبحا	طرسا تخطه كوجه جحا
مخرمش كقفل سدر اذا	ما قابلته الشمس وقت ضحى
خرمشة طويلة لم أكد	أفهم من سطورها منتحى
أديرها لعلنى ان أرى	أولها كما أدير الرحى
لكنني لم أدر ما مشرق	من مغرب ولا صوى تنتحى (١)
لم أدر بل لم يدر كاتبها	أكوّر الحروف أم قد دحى
تناول المخطوط في يده	يراه بالعينين منفتحا
اذا به مطلسم عنده	أيضا كمن ينظر فيما انمحى

وخاطبت بعض الالغيين أيضا بقولى :

قم جلالا ان المقام جليل	هل بيانى بما يراد كفيل
هل لسانى الذى عهدت يواتى	بالذى ابتغيه حين أقول
بكم دائم ولا قولة قد	يرتضيها عند النشيد الفحول
هاهنا لا يروج غير نضار	خالص التبر والنضار قليل
عهدنا بالشجاع ينشىء جيشا	لجبا لا يطاق حين يصول
وذكاء أمضى من العضب فى كـ	ـف بسيل يوم النزال يجول

---

١) الصوى بالضم جمع صوّة : العلامة من الاحجار يهتدى بها فى المجاهل

فاذا بالشجاع ينشيء أيضا ما به فى البيان تنشى العقول

وكتبت الى بعض الالغيين مع هدية . وأخاله الاستاذ الطاهر بن علي :

مـولاى يا رب المكـارم والندى وأخا جدى ما أن يطاوله جدى
خذها هدية وامق واقبل وان لم تغد تظهر فى مظاهر ذى ندى

وكتبت الى بعض الالغيين بمناسبة :

هى الدراهم هى العز والشمم هى الشهامة هى العزم والهمم
هى المعارف بـل هى المدارك لا تحفل بشيء سواها أيهـا الفهم
فيها الاخوة والقربى فلا نسب من دونها لا ولا من بعدها رحم
ملاك كل سرور المرء ان حضرت وان تولت فان الهم يضطرم
يربد وجه الفتى ان غاب درهمه لكن يهش اذا ما جا ويبتسم

وقلت أيضا فى مناسبة مخاطبا لبعضهم :

أكـذا يعود العاذل المعذولا ويكون سائل حاجة مسؤولا
بينا أشحذ منك سيفى اذ أنا أنضو كهاما صادئا مفلـولا

وكتبت فى رثاء بعضهم :

من للمكارم من للفضل والمنن من بعد موت الامام المرتضى الحسن
طود عظيم من العرفان هدبـه من بعد أن كان يهدى الناس للسنن
يهديهم بلسان القول بل بلسا ن الحال والحال دوما أصدق اللسن
ربـى وهذب اقواما فغادرهـم بعلمهم كصوى فى معلم السنن (١)
فاليوم خلفهم مثل النجوم بـلا بدر ؛ فيا لمصاب جل ممتحن
مضى الوقار الذى ما أن يزعزعه الا عصار قط وان ينسف ذرى ضجن ٢
ما كان الا حياة للورى أدرى من أرمسوه الذى زجوه فى الكفن
فكلنا بالامام الشيخ والدكـم هذا أصبنا به من (سوس) لليمن

١) جمع سنة . وأما السنن الاول فهو الطريق وهو بفتحتين .
٢) جبـل .

مع غير الالغيين من السوسيين

مع الاستاذ سيدي احمد اليزيدى الايسى

كتب الىَّ هذا العلامة الاستاذ ؛ ما يلى :

يا عاذلى دعا الملامة واقصرا ... طال الهوى واطلتما التفنيدا
انى وجدتك لو اردت زيادة ... فى الحب منى ما وجدت مزيدا

أيها الامام . كيف أنت مع الايام . وكيف حالك يا حارث . مع تقلبات الحوادث . أبداك الله بعد السرار بدرا . وأطلعك بعد سدفة الليل فجرا . أعندك انني لا أستطيع هذا الهجر المديد . فهل من مهرق راق (١) يوقظ من يفت اليرمع (٢) ويخفى الجزع عمن يجزع .

(هذا) وانى قد جلت فى (الاخصاص) و (تيزنيت) فرأيت الاحباب . ومن بينهم محبنا ومحبك الشاعر ـ يعنى مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ـ وهو يسلم عليك غاية السلام . وكذلك البونعمانى . فاكهة المجالس . ونزهة المجالس . وهو يقول لك : صاحبك تصدر فى مجلس الاستيناف . وقد نسيت اسمه (٣) والجميع يسلم غاية السلام . ومتى نتلاقى . فنتلاز عناقا . ونتناثر تحيات واشواقا .

لا تخف ما فعلت بك الاشواق ... واذكر هواك فكلنا عشاق

الجواب :

الىَّ فان الكتب لا يبرد الشوقا ... ايرتق حبر الطرس ذياك الفتقا
فصلنى سريعا واترك الكتب جانبا ... نساق بحفز الودكى نلتقى سوقا

وصل الكتاب الذى أثار من أخيك ذكريات عن اخوان هم غاية مناه . ومنتهى مايشهاه . فكيف رأيت شيخنا البوزاكارنى قطب الآداب . ومحور المسامرات . أم كيف حال البونعمانى ريحانة المجالس . وسلوة الساعات التى لايسلى فيها الاَّ المؤانس . فلقد هزتنى الا الاديبين كما يهتز المتذكر الذى ما نسى قط . وبعد ذلك كله ما هذا الجفاء . ولماذا لاتبادر الى مواصلتى لتأتينى عن

---

١) المهرق بضم فسكون ففتح : الكاغد .
٢) اليرمع بفتح فسكون ففتح : الحجر الهش . وذلك كناية عن الدموع .
٣) هو شيخنا سيدى المدنى الرباطى .

الاخوان بالخبر اليقين . أم تحسب أن التلميح عن اسلات اليراعة مما يفثا التشوف الى أنباء من هم أشقاء الروح . فالوحى الوحى(١) فانى لفى انتظار ما مثله انتظار . والى اللقاء (٢)

مع الاستاذ سيدي محمد ابن الحاج احمد اليزيدي

كتب الىَّ هـذا الاستاذ الاديب . الذى خلف الاستاذ سيدى أحمد ابن سيدى الحاج محمد اليزيدى فى مدرسة (اكشتيم) لمـا مـات . هذين البيتـين :

نـور لملتمس نـور لمنتشق ... نار على علم فلتات وانتشق
جرت محبتكم فى القلب جرى دمى ... فى الجسم أو روحه لذاك أنت شق

(يعنى شقيق . فارتكب الاكتفاء)

الجواب :

انى لمثل كونى نور منتشق ... او نور ملتمس للضوء فى غسق
أتحسب الناس طرا فى سناك وقد ... أعطى محياك ما أعطاه للفلق
من عبد شمس أتاك النور مقتبسا ... أضوىء بنور على الاجيال متسق

واقصد ان اليزيديين هؤلاء تسلسلوا من يزيد بن معاوية . كما ينتسبون وعبد شمس . هو جد الامويين طرا .

مع القاضى القائد الحاج اسمعيل السكتاني

كتب الىَّ هذا القاضى الاخ . جوابا عن رسالة ليست عنـدى الآن :

الاستاذ الكبير . والعلامة الشهير . الشاعر المفلق . سيدى محمـد المختار ابن الشيخ المربى الاكبر سيدى الحاج على الدرقاوى رضى الله عنه

سلام غـدا من نفحة الروض أطيبا ... ومن حسو صرف الراح أحلى وأعذبا

الى اخرها (وهى فى الجزء ١٨ من « المعسول » أثناء ترجمته) .

(هذا) وان الاحوال كلها سالمة مطمئنة ولله الحمد . وقـد تسلمت الرسالة حاملة الينا أريج السلام . وقطعا من النثار والنظام . وجددت لنا سرورا لايستطيع اليراع أن يعرب عن مدى ذلك السرور . وبكل احترام أرجو أن تبعثوا معية الحامل . بمؤلفكم الجديد الناجز المحرر عن (ايليغ) ايام دولة بودميعة . ولعلنا ننسخه ويرد اليكم .

---

١) الوحى مقصورا : السرعة .   ٢) هو مترجم فى ٩ « المعسول »

ثم يسلم على السيادة الفقيه سيدى عبد السلام النائب . وسيدى الحسين الفقيه اليعقوبي . ولازالت تتلى لجنابكم . وبكل المحافل سور من الثناء والشكر لأجل ما قمتم به بأقلامكم من أداء الواجبات . نحو هذا القطر السوسى المسكين . يا ليت قومى يعلمون أو يقومون مثل قيامكم . وانى لهم ذلك . لان من لم يستول عليه الجهل يستولى عليه الجمود . والحمد لله على وجود امثالكم الحكماء المصلحين . وعلى الوداد الصافي . والسلام .

تحريرا ٢٦ رمضان المعظم ١٣٦٣ هـ

وكتب الىّ ايضا فى ٢٣ رجب ١٣٦٤ هـ :

الخل الوفى. والخدن الصفي. الدمث الاخلاق. والخضم الزخار بالاعلاق. العلامة الاديب : سيدى محمد المختار الدرقاوى الالغى . بعد اهداءى لألمعيته الوريفة . أطيب التحيات المزرية نفحاتها بخمائل الزهور نمت بها نسماتها أعلمكم بأنى تسلمت رسائل منكم تعلن ما اكتتم فى الضمير من عواطف غالية وتنث عنكم ما جبلتم عليه من اخوة صادقة صافية . تشهد بغاية المزاج والاتحاد الذى لايوثر فيه طول الابتعاد . وان تفرقت الاجساد . وتنات البلاد . فاشكركم شكر الاوداء الاصدقاء . فأنتم أهل لكل كرم . وان كانت أمثالكم قليلين بين الكرماء .

ثم ان محرراتكم من مؤلفي (التصريف) للصغار . ومن (العصيدة وشرحها) ومن (وشى المطارف) قد انتسخناها فها هى الاصول ترد اليكم . وقد كتبت كلمة على (وشى المطارف) فراجعها . فان وافقت والاّ فالقها فى النار . وكذلك ما كتبه الفقيه النائب سيدى عبد السلام . وجزى الله همتكم خيرا عن هذا الاعتناء بالعلم . فى جميع النواحى .

وتصلكم قصيدة عرشية مروا بها . فان ظهر لكم فيها شيء فاعلمونى به . كما أحب منكم أن لاتحرمونا من كل ما يصدر من قلمكم .

(هذا) وقد جاءت أبيات ستة فى الفقيه فقيد (جزولة) أحمد اليزيدى رحمه الله . وقد أحببت أن أزيد عليها لولا انه حال الجريض دون القريض ونصهـــا :

سبك القوافى وسكب الدمع محتوم   غداة فى السوس ركن العلم مهدوم

الى آخرها وهى أيضا فى ترجمة الفقيد فى (الجزء ٩ من «المعسول») .

وكتبت اليه أيضا ١٩ شعبان ١٣٦١ هـ :

ما كل مجد مستراد نيلا   ما المجد الاّ مجد اسماعيلا

بذ اللدات فلا ترى لمقامه   هبك اخترقت المشرقين مثيلا

سبق القضاء بأن يكون ممجدا ... فردا يفوق بنى الزمان جليلا
جماع كل فضائل وفواضل ... شهما على كل العداة صؤولا
أنى التفت رأيت حول مقامه ... لسمو موطئ، أخمصيه دليلا
علم كما زخر الخضم وفكرة ... مضاءة كالسيف سل صقيلا
وشمائل لطفت كما قد صافحت ... كف الصبا روضا غدا مطلولا
واخوة عقدت عراها همة ... لم تدر فى سبل الوفاء ذهولا
وسيادة قد أسستها عزمة ... قد صيرت كل الحزون سهولا
من مثل اسماعيل ياللناس هل ... خلقت له كف العلاء عديلا
ما كان الا مبدرا فى هالة ... فليخس من يحجونه قنديلا
فازت به (سكتانة) الغراء عن ... حق فنالت من علاه السولا
قد طاب فرعا مثلما قد طاب بالـ ... ـمجد التليد من الجدود أصولا
قرت به عين رأت أخلاقه ... فرات فتى يروى سناه غليلا
ما انس لا انس اجتماعا ضمنا ... فرجعت من دأمائه معلولا
قد كان أفضل فاتصلت به ولو ... لا فضله ما نلت منه السولا
فرأيت كيف الفضل يمثل فى الفتى ... والخلق يلطف فاستحال شمولا
والعلم والادب النضير فلا ترى ... الا جوابا ممتعا ان سيلا
والعزم ينسف ما امام كأنما ... قد ساق نحو عدوه أسطولا
ثم افترقنا فاستمر مثوله ... عندى شروقا لا يروم أفولا
ذكر الى ذكر توالى دائما ... فى وسط قلب لا يكون ملولا
واليوم هيج الشوق كالاعصار فى ... أثناء قلب صبره قد عيلا
فمتى يكون لنا لقاء ثانيا ... فننس حدا بالنوى مفلولا
ومتى يؤوب لنا الزمان كما نر ... يد فنجتلى وجه المنى مصقولا

مع الاستاذ محمد بن عثمان الايكراري

عليك خير سلام يا ابن عثمانا ... تنسيك نفحته وردا وريحانا
فانت حبر عظيم الشأن تنشده ... ورق المعارف فى العلياء الحانا
ليهن (أكرار) ان كان الشغوف لمن ... أعلى مكانته فى العلم قد حانا
فهو الهزبر اذا ما البحث عن له ... فى مشكلات فيرد الغير سرحانا

الفقيه الاعز بدر (أكلو) الانور . وخير ابن بر للوالد العلامة عثمان الازهر . سيد أقرانه فهما وتحصيلا ومجدا .

(هذا) فعواشركم مباركة . ويا ليت الزمان قرننا فيها بالمباحثة أيضا فتعود جذعة تلك المشابكة . فمن الذى يتسابق فى المعارف مع مثلك اللبيب

الحاذق الجسور في المعاركة ثم لايحمد ذلك . فانك يا ابن الخالة ضرغام . لايقعقع لك بالشنان . ولا كان لمن يباحثك في ان يغلبك يدان . اعلن هذا أو اسر . وما يوم حليمة بسر . وأنت في كل علم اتقنته . جذيله المحكك وعذيقه المرجب .

واسلم على شيخنا والدكم وعلى مفيدنا ومجيزنا الفقيه سيدي الحسن الموقت المفضال . السهم الذي يقرطس دائما في كل وقت نضال . وعلى كل من اليكم من العلماء الاساتذة . والاولاد والحواشي والتلامذة .

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

(هذا) فخذ هدية تاتيك على قدر مهديها . تذكرك بـ (الغ) وحلاوة تمره . وعذوبة مائه . لعلك تذكر من (الغ) ميادين علم انت مجليها . والسلام .

٦ ربيع الاول ١٣٦٣ هـ

مع الاستاذ الحسن بن مبارك البعقيلي

كتب الى العلامة الكبير سيدي الحسن بن مبارك البعقيلي . ثم المعدري . ثم الهشتوكي . ثم البلفاعي . نائب قاضي (هشتوكة) ـ اذ ذاك ـ ما يلي :

سيدي الأعلى . وعمادي في الملا . حسنة الدهر الحسنى . الذي جل قدره . وسار مسير الشمس ذكره . الاستاذ الفاضل . الجامع بين الفضائل والفواضل . عندليب الفصاحة والبيان . السيد محمد المختار الالغي :

سلام عليكم ما أحب وصالكم وغاية مجهود المقل سلام

(أما بعد) سلامي عليك . فهذا كتابي عني وعن شوقي يا مولاي . أما الشوق الى رؤيتك فشديد . فسل فؤادك عن صديق حميم . وود صميم . وخلة لايزيدها تعاقب الملوين . وتالف النيرين . الا وثوقا في العرا . واحكاما في البناء .

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسالوا عنها العيون فربما تشير لشيء ضد ما أضمر الحشا

وليكن في ذكر منك يا سيدي ان الشوق دائما يمثلك . والذكر يخيلك . فنحن في الظاهر على افتراق . وفي الباطن على تلاق . وفي النسبة متباينون وفي الادب متواصلون . ولئن تفرقت الاشباح . فقد تعانقت الارواح .

لئن غيبتني عن ذراك حوادث فليس ثنائي عن فناك بغائب

ولما كان حامله من جملة احبائنا . وساعده الدهر الخؤون على زيارة تلك الربوع الالغية . حملته من تحيتي زهرا جنيا . يوافيك عرفه ذكيا . ويواليك انسه نجيا . ويقضي من حقك فرضا ماتيا . على ان شخص جلالك

لى مائل . وبين ضلوع نازل . لايمله خاطر . ولايمسه عرض دائر . ولا يظن سيدى أن عدم ازديار ساحته الشريفة . واجتلاء طلعته المنيفة . لتقاعس أو تقصير . فان لى فى ذلك معذرة . اقتضت التاخير . والسيد أطال الله بقاءه اجدر من قبل معذرة صديقه . وأغضى عن ريث استدعته الضرورة . والمرجو من كرمك ان تعاملنى بما سبق لك من جميل الاعتذار . الى أن يمن الله بالاجتماع . ويغنى بالعيان عن السماع . وما ذلك على الله بعزيز.

وفى الختام أنشد متمثلا :

تحية صوب المزن يقرأها الرعد | على منزل كانت تحل به هند
نات فاعرناها القلوب صبابة | وعارية العشاق ليس لها رد

وامقكم كل المقة الحسن بن مبارك بن مسعود البعقيلى نجارا البلفاعى وجارا كان الله له وليا وبه حفيا وبيد الحامل قصيدة النابغة الحامدى التى نبهت عليها فى بعض رسائلك . وهى الميمية مع شرحها : ٢١ شعبان ١٣٦٢ هـ

وكتب الىّ أيضا الاستاذ سيدى الحسن بن مبارك المذكور :

أكسير السعادة . ومركز السيادة . الاستاذ الاجل الافضل . حياكم الله وبياكم . ولا زالت مشكاة أنسكم مشرقة بمحياكم .

(هذا) وقد وصلنى الفقيه حامله . وبحجت بمقدمه الاسنى غاية لكونه قريب العهد بأرواح تلكم المعاهد :

تضوع أرواح نجد من ثيابهم | عند القدوم لقرب العهد بالدار

ولسان الحال ينشد :

يا واردا من أهيل الحى يخبرنى | عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر

ثم ان المانع من ارسال تلك الورقات الموعود بها . هو انه كتبت بكناش صاحبه أخونا محمد الى السفر . ولم أر له ولا للكناش من حين سافر أثرا ولاعثرا . وبيد الحامل مجموع لم يكمل . أحببت أن يطلع عليه أخونا الاستاذ الاجل لئلا يظن بنا أننا ضننا عليه بما لدينا . ولعله يكتسب فيه بعض آثار لاولئك الرجال الذين ترجم لهم الاستاذ فى كتابه (المعسول)

وبيده أيضا نسخة من (دوحة الناشر) عثرت عليها فى هذه الايام بالعارية من ربها . ولعله تكون فيها فائدة ما للاستاذ .

ونطلب من أخينا الاستاذ ان يقوم عنا بذلك الواجب . فهو أحق به واليـــــه .

ولم تك تصلح الا له | ولم يك يصلح الا لها

ونحن فى شؤون وأحوال . يعلمها الكبير المتعال . نسأل الله أن ينقذنا منها سالمين . . . يكفى اللبيب اشارة مغموزة الخ .

ولا يظن بنا سيدنا أننا نسينا تلكم الشمائل المزرية بأزهار الرياض والخمائـــل :

تلك العهـود بشدها مختومـة أبدا كما هى عقدها لم يحلل

ونرجو من الله أن يمن علينا بالتلاق . ليشتفى ما بنا من مضض الفراق . وما ذلك على الله بعزيز . وأنشد متمثلا :

لو أن كتبي بقدر الشوق واصلة اليك كانت مـع الانفاس تتصل
لكنني والذى يبقيك لى أبدا على جميل وداد منك اتكل

وامقكم الحسن بن مبارك المعدرى نجارا . البلفاعى وجارا (١)
٧ ذى الحجة ١٣٥٩ هـ

مع الرئيس الشريف سيدي علي التمازاروالتى

وكتبت الى هذا الرئيس الجليل الشريف لما طالع كتابى : (ايليغ قديما وحديثا) الذى أحيا أجداده فى عالم التاريخ :

سيدنا وسندنا . وأشرف الناس لدينا . البركة ابن البركـة . ذو القدر الجليل . والوجه الجميل . سيدى محمد المختار . ابن شيخنا الشيخ الربانى سيدى الحاج على الدرقاوى . سلام الله تعلى ورحمته وبركاته على جنابكم السامى . ومقامكم العالى . عن خير مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلـم :

(وبعـد) فقد وصلنا كتابكم الشريف . المنبىء لنا عن جميل قدركم ورسوخ محبتكم . وحسن عهدكم . فحرك منا ما كان ساكنا فى الصدور من محبتكم ووداكم :

هجم السرور علىّ حتى انه من عظم ما قد سرنى أبكـانى

والخير كله فيك يا كريم ابن الكرام . ما هذه باول فكرتكم علينا. واحسانكم الينا . فمننكم علينا لا تحصى . وأياديكم حوالينا لاتستقصى . وأكبرها عندنا كتابكم هذا الشريف . الذى تعبتم فيه ليالى واياما بل شهورا . قعودا وقياما فلقد أحييتم به من فى القبور . وشرحتم بتأليفه من جميع شرفائنا الصدور فالله يجزيكم ويعينكم . ويقيكم :

---

١) أقـول : ان هذه الرسالة كان من حقها أن تكون فى (الجزء الثانى) . ولكن لم يتيسر لهـا أن تكون الآ فى هـذا الجزء لأننى لم أقف عليها بين الاضبارات الا الآن .

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس

فانت لها ولأمثالها . تحوز مجد ابكاراتها وآصالها . أبقاكم الله لهذه الامة ذخرا . كما أطلعكم اليوم على هذا القطر بدرا فمثلكم قليل النظير . ولا ينبئك مثل خبير .

وأما ما ذكرتم من أجيرة صالحة لداركم . مربية لابنكم سعيد . أنبته الله نباتا حسنا . وأصلحه وأقر به العيون . فها هي ذي خادم من خواص ما في دارنا . أمة محررة عاقلة دينة هينة لينة بعثناها . وستقعون منها على مايعجبكم . واسمها (خديجة) من سراري الوالد رحمه الله. وقد أعطيناها هنا ما أعطيناها . فلا تكلفوا معها أنفسكم بشيء . ونحن وكل ما نملك لكم. وهذا ولدنا سيدي الحسن تلميذكم . يفد عليكم لينوب عنا في زيارتكم . وتقبيل راحتكم . طالبين منكم صالح الدعاء بحسن الخاتمة . هذا فلينبه سيدنا تلميذه وليرشده . وليعظه ليكون كما يراد منه دينا ودنيا . وخذ عليه العهد في كل ذلك ففي غرسك البركة . والسلام .

١١ جمادى الاولى ١٣٦١ هـ

(أقول) : ان هذه الخادم من الفضليات . بقيت عندنا حتى أرمست حين كنت في معتقل الصحراء . وهي مع الاهل في (البيضاء) رحمها الله . فهي قانتة ذاكرة صبور . توفيت ١٣٧٣ هـ .

مع القائد التامانارتي

وكتبت الى القائد محمد بن البشير التامانارتي بعد ما رجعت من (الرحلة الثالثة) :

تحايا من شذى (تَمَنَّرْتَ) أذكى ينسى طيبها ندا ومسكا

على كرماء من (تِمِلْت) نالوا لحوز القمة الشماء صكا

فجود الناس عارية واما بنو (تَمَنَّرْتَ) فاتخذوه ملكا

فقد كان الندى نبذا الى ان تتوج عندهم فانيل ملكا

فاخبار الندى منهم تصك الـ ـمسامع من بنى البخلاء صكا

يراها من يحب الجود صدقا ويحسبها اخو التقتير افكا

ولكن كيف ينكر لج بحر بخيل قد رأى حوليه فلكا

أم البخلاء قد حسبوا جميعا بنى الدنيا سوى البخلاء نوكى

فقولوا يا بنى الاشعار قولوا فقول الشعر فى البخلاء أنكى

لكيما ينسف البخلاء نسفا تدك عروشها فى البخل دكا

فتبنى للكـرام بنى المعالى
فذكـر الجود والاجواد اعلى
فما فضل العيون اذا تساوى
اذا ساوى بخيل ذا سخاء
بنى (تَمَنَترْت) من حاكت يداهم
لتهنكـم مـآثر أورثتهـا
ومـن رفعت قريش منكبيـه
فما (تَمَنَترْت) غيركم والا
فانتم للرياسة والمعالى
فلـولا أنتم طـرا لضاعت
وانا أهل (الـغ) تكن ودا
فشكرا أهل ذاك الصقع طرا
ومـا كنا نرقق عـن صبوح
وسفـك شربـة سوداء أولـى
فهـذا شعر شكر لا امتياح
اذا ما لم يكن شعر لشكر

صروح تعتلى الجوزاء سمكـا
فعال الشعر فى الدنيا وازكى
نبـات الارض أزهارا وشوكا
فموتـا يشتهى حـر وهلكـا
لهم حللا من التشريف حوكا
اصول لم تكن قبسا وعكـا
فقـد أخنى مناوئـه وأنكـى
بنو شيخ به العرفان يذكـى
وبالعرفان مَن قد ضاع مسكا
بنو (بانـى) وكان الكـل هلكى
ضمائرنا لكـم حبكتـه حبكـا
فنسجع كالحمـام علـون ايكا
فهل يبقى العزوف لذاك شكا
من أن تدنى يدا بالشعر منكـا
يلاقى ربـه مقتـا وضنكـا
لمـن تهواهم فاتركهم تركـا

ولدى عبد العزيز النسمة الجديدة

في سحر يوم الاثنين ١٤ صفر ١٣٦٤ هـ طلعت علينا نسمة جديدة من سماء منن الله الكريم علينا . فقد ابتسمت بها لنا الاماني . وتلقيناها بلذة لايذوقها الا من يتلقى البنين . فلذات الاكباد . من يد المواهب الالهية . بعد أشواق اليها . فقد كنا في هذه السنة . ونحن نتطلع الى مراجعة (الحمراء) في رجاء حلو . وامل يكاد يقطر عسلا علينا . فالحمد لله الذي والى علينا من نعمه . ووقانا من نقمه . وأمد لنا نسلا نؤمل من الله أن ننتفع به دنيا وأخرى .

هذان الولدان عبد الله وسعيد يقتسمان الفؤاد شقين متكافئين لاينازعهما فيه منازع . ولا يدعي معهما فيه أحد . ثم فجاءهما اليوم أخ ثالث زاحمهما بالمناكب . فاخذ يتطلب من فؤاد الوالد القسمة الثلاثية بالعدل . يكونون فيها سواء . غير قسمة ضيزى . ومن أراد أن يكون اولاده سواء في البر . فليقسم بينهم بالسوية . وما حديث البشير بن سعد في ولده النعمان وابنائه الآخرين عندنا بمنسى .

(وبعد) : فقد جالت أسماء كثيرة في جو الاسرة . ولكن اخترت أنا اسم : (عبد العزيز) ولا أقصد ـ والله يشهد ـ الا أن يكون اسمه فالا لعزة الامة . ولجميع المسلمين . ولنا بالخصوص . ليصدق قول الله تعلى : (ولله العزة ولرسوله وللمومنين)

يا عبد العزيز :

انني أضمك يا ولدى الى صدرى برفق . وأحس بنفسك الخافت الذي يتردد بهدوء وتؤدة . ويناجيك قلبي نجاء الشفقة والحنو . فليت شعرى متى تدرك الرجولة . هل يمكنك أن تتذكر هذه الدقيقة التي ضمك فيها الى صدرى والدك .

انك اليوم حديث العهد بهذا العالم . وقد غادرت عالم العدم الى عالم الوجود . بل عالم الظلمات الثلاث من بطن امك . الى عالم يتدفق بأنوار السماء والايمان والحياة والمعارف . فهل يقدر لك أن يطول عمرك حتى تتملى بكل هذه الانوار . فيصح ايمانك بربك . وبنعمه التي يفيضها عليك وعلى والديك . وتتمكن من الاستمتاع بالحياة تحت أشعة المعارف التي لايفتح لك السبيل الى السعادة الا بها .

من يدرى . فلعل المستقبل ـ والرجاء في الله قوى فى المستقبل ـ يهيئ لك ولأمتك عيشة مرضيــة رغيدة . تنال فيهــا الحظوة والشفوف . حتى يطير لك ذكر في الصالحين بالاعمال الصالحات . ككل الذين سموا : عبد العزيز فى صفوف الرجال العظماء . كعبد العزيز التباع . وعبد العزيز الدباغ . وعبد العزيز القسمنطينى . وعبد العزيز الرسموكى . وعبد العزيز الادوزى . وعبد العزيز جاويش . وكثيرين من أمثالهم فى التاريخ .

ذلك من رجاء والدك . وهل فى يد والدك العبد العاجز الا الرجا . وان يأخذ لك الفال الحسن :

عبـد العزيز لقـد خلقت عزيزا	وسبكت نضرا خالصا ابريزا
عش للمكارم والمعالى والهدى	فبذا تكون مدى الحياة عزيزا
فتعيش في العلياء بدرا نيرا	تكسى لباسا بالتقى مطروزا
فتحوز فى عبر الحياة مسيجا	مما يمس من الاذى محروزا

(أقول) : انه اليوم مفتتح ١٣٨٣ هـ على السنة النهائية فى الثانوى وهو حسن الاخلاق . بشوش . مقبول الطبع . معاشر بحلاوة مواتاتــه . وقد كنت قلت فيه يوم حاز الشهادة الابتدائية ـ فى قطعة ـ :

ان عبد العزيز خير نجيب	فاسألنه تجده خير مجيب
حاز بالجـد رتبة ليس يحظى	بذراها غير الدؤوب النجيب
فاق كل اللدات بالحزم والحا	زم ان فاقهـم فغير عجيب

العقد تنحل شيئا فشيئا

بفضلك يارحمان اذن لى الفرج   فقد ذابت الاضلاع بالهم والمهج
فيارب يا غوثاه يا خير راحم   لمثلى أغثنى واستجب واقض بالفرج
فها أنذا هما وضيقا ووحدة   لفى حرج ما مثله قط من حرج
امد يدى يارب لا ترددنها   ير العبد ممن رحمتهم اندرج
فمالى سوى ربى الرحيم وهل يرى   الى غير ربى فى الحوادث منعرج

دهمت الحرب الزبون على العالم . وسقطت الكرة الارضية فى داهية دهياء . فارتجت أكنافها . وتلظت بالمعارك أطرافها . والمذاييع تصرخ فى كل وقت وقت بالانتصارات وبالانهزامات التى تعتورها كفتا الميزان بين المتحاربين : كفة المحور . وكفة الحلفاء . فما شئت من أكاذيب وتلفيقات يوجهها فريق لفريق فى كل فرصة . وبعد ما اشتدت الازمة . بعد ما تكافات القوتان . وتعادلت الكفتان . وقد ترجحت حينا من الدهر جهة (المحور) . فيصول (هتلر) و (موسولونى) صولة الاسود . وقد طلعا على العالم المستضعف أمام قواتهما بوقاحة وصلف وعنجهية وقساوة . ونظريات عنصرية . لم تكن تنتظر الا من أمثالهما الحمقى . ولما سئم العالم من جورهما . ومن عدم وفائهما بكل ما يمنيان به الشعوب . اديل للحلفاء عليهم شيئا فشيئا حتى اذا كادت الحلقتان تلتقيان على (ايطاليا) و (المانيا) صار الكسوف يحوم حول شعاعهما شيئا فشيئا حتى تدهور (موسولينى) أولا . فتعاقبته أيدى أعدائه وأنصاره بين سجن وتنكيل . وبين اختطافه من معتقله . ذلك الاختطاف الذى هو من عجائب القرن العشرين . ثم لاعبه الدهر حقبة كما تلاعب الهرة فارة بين رجليها . ثم جاءته الخاتمة فازهقت روحه مع حبيبة من حبائبه الكثيرات تحت جدار . بطلقات من أبناء شعبه الايطالى . ثم جر شلوه بحبل من رجليه . ويا لها من عاقبة . لو كان المتغطرسون أمثاله يعتبرون . ولكن أنى للجبابرة أدنى عبرة . وهم فى سكرات جبروتهم يعمهون .

ثم دب الى الدكتاتور الثانى (هتلر) ما قضى على صاحبه . ولكنه قال معه بعدما استحكمت حلقتا البطان حوله (بيدى لا بيد عمرو) فاختار الانتحار على ما هو الذائع الشائع . وان كانت الاساطير لا تزال تحوك حول موته وحياته حكايات يستبعدها العقل . وتطيش كفتها عند المفكرين المميزين . كأن الهلاك يحترم أمثاله . أو كان النار لا تحرق أمثال شلوه .

ذهب الدكتاتوران ليفرغا الجو الى دكتاتورين آخرين : (ستالين) و (تشارشيل) وخلفـاء (روزفيلت) الذين يلعبـون بالمستضعفين من أبناء الامم التى لا قوة لها ولا سلاح ولا أساطيل ولا قنابر ذرية .

تحت هذا الجو الضاغط أمضى المختار فى (الغ) ما أمضى . فاذا كانت الامم الضعيفة لايبالى بها . ولايحسب لها أدنى حساب . واذا كان كثيرون من الزعماء فى هذه الشعوب المضطهدة الملقون فى السجون . يلاقون فى غياهبها ما يلاقون . ولا منجد ولا مغيث . فكيف بالمختار الفقير المسكين الذى هـو الشعرة الاخيرة من ذنب رجالات (المغرب) أبمثله يبالى . أم لنظيره يحسب أدنى حساب . فقـد سكت عنه سكوتا مطبقـا . فلا يذكر . ولا يجرى على خاطر أرباب الحل والعقد . فقد نبذ الى (الغ) نبذ النواة . ومنـع من أدنى اتصال بأى أحد أيا كان . حتى ان الذين يردون على الزاوية لا أتلقى مع بعضهم الا خفية . لان من حوالينا من يحلو لى لهم أن يكون على عينا لوجه الله وللمجاورة المتصلة بيننا . فيبلغون مركز الحكومة أسماء من أراهم من الملمين بزاويتنا . وقد ذكر لى المراقب ذلك ـ ان صدق ـ . وحين كـان أخى سيدى محمد هو المسئول عن كل ذلك . فلا أريد أن أوقعه فى حرج ما . وقد كنت معه كذات واحدة دائما . منذ كنت هناك . فهو مونسى الوحيد ومحادثى فى كل ما يتحادث فيه من اهوال الحرب . فنقرأ «السعادة» معا ـ وهى الجريدة الوحيدة التى نجدها ـ ونتتبع التقلبات فى المعارك . وقد اكتفيت بجلوسه غاية الاكتفاء ـ وكل الصيد فى جوف الفرا ـ

وكنت فى كل مناسبة أعلن للمراقبين فى (تافراوت) اننى لا أرضى بالسكنى فى (الغ) ولا طاقة لى بالحياة فيه . ولكن كل ذلك لايجدى . وحين قامت الحرب بلغنى أن المراقب (دوفلورى) فى مركز (تافراوت) قـال : ان الحكومة كانت تنوى أن تنفى فلانا الى (الصحراء) لتفعل به ما فعلتـه بالزعماء رفقائه . كأننى من الزعماء . أو كأننى من الرجال الذين تظن بهم الرجولة الحق . قال المراقب : الا اننى دافعت ذلك وقلت : ان فلانا هو الآن منقبض منكمش . وذلك أقصى ما يراد منه . وقد بلغنى من بعض من يباحثهم حول أن أحدهم استطاع ان يقنعه بأن الحكومة غلطت فى كل ما نسبته الى من الجرى فى السياسة . وقال له فيما قال : ان فلانا لايعدو أن يكون عالما دينيا . فقال له المراقب : من كونه عالما دينيا يخاف . لان العالم الدينى اذا كانت له أفكار حية كأفكاره . وتصلب وتباعد عن الحكومة فمن الخطر الشديد الذى فى استطاعته أن يستتبع الدهماء من الشعب ضد ما تريده الحكومة يومـا مـا .

هكذا برهن المراقب على النقطة الحقيقية التى بينى وبين الحكومة من قديم . وهى صحيحة . لاننى لا استخذى فى دينى . ولا أسكت عما يخالفه ولا أقدر على الاغضاء عن اود فى دين شعبى حتى أحاول جهدى تقويمه . مع كراهتى الشديدة لوظائف حكومة الاستعمار . وللتقرب اليها . او البصبصة بالذنب تحت اقدامها . فسف التراب عندى ولا الخنوع لمن لايرتضيهم دينى . أو لايقبلهم فكرى . أو لاينفتح لهم شعورى . ولا تنفسح لهم عواطفى .

حقيقة لم أكن - وان كنت من حزب الاستقلال من أول يوم - بذلك السياسى المتكتم الذى يفعل سرا . ويعقد المجتمعات سرا . ويستحلف الناس على الدخول فى الاحزب السياسية سرا . ويخدم أمته خدمة السياسيين . ويتطور مع الزمان ومع الافكار تطور الساسيين . ويحكم عواطفه وشعوره وصداقته وعداوته تحكيم اسياسيين . فيصادق على السياسة . ويعادى على مبدئه فى السياسة . لم أكن أنا فى هذا المسلاخ . ولا خلقت له . ولاأستطيع أن أتمشى فيه الا" قليلا . ولكنى كعالم دينى . يعلن مبداه دائما . ويجاهر به فى المنتديات. ويعلمه للناس فى الدروس بالمساجد على رؤوس الشاهدين يسمعه كل الحاضرين . وناهيك بما فى القرآن من الصراحة والاعلان . فهل أعدو أن أفسر للمسلمين بنود اسلامهم الى منتهاها الا" على الصراحة . وفى القرآن ما يتمنى معه المستعمرون لو أعدموا تلاوتها . وتفهمها من القرآن الذى يتلى فى مستعمراتهم . ولكن انى لهم ذلك. فكيف لايعادى المستعمرون أمثالى ممن يعرفون كل ذلك ويقصرون عليه حياتهم. ثم لايتخذهم المستعمرون أعادى صغارا قد يغضى عنهم . بل أعادى كبارا يحسب لهم ألف حساب وحساب . خصوصا ان كان مثل ممن نمت له - عن غرض - شهرة . وذاع له صيت . وزرع له فى كل طبقات الناس اكبار واجلال بفضل الله . لا بجهوده خاصة . ولا بتعمل ولا بتصنع . والشهرة حظوظ وأرزاق . فكم متطلب للشهرة . متصيد لاسبابها . طارق لكل باب من ابوابها . لم يسنح له منها بصيص . ولا كان له منها قلامة ظفر . وكم متحامل مطرق الرأس لايتغالى . ولا يتشامخ ولا ينصب شباكا . ولا ينسج حيلا . طارت حوله شهرة بعمل ما حتى تطبق الخافقين . وحتى تملأ كل ناد . ويصيخ لها كل ذى مسمع . على أن الشهرة كيفما كانت لاتدل حق الدلالة على الرجولة . لان أسبابها غير منضبطة . ولا هى موزونة بموازين القسط . فكم مشتهر بمحمدة ليس من المحامد فى شىء . الا" ما جا" سماويا ومصادفة . فامتدت له بذلك تلك الشهرة . وكم خامل عالم . لكن لعمله بعلمه من التأثير ما

يزعزع الجبال، ويزلزل الارض على رحبها . كذلك أنا . فان من بين ما تلاحظه الحكومة حول هذه الشهرة التي جاءتني عرضا . ونطلب من الله أن تكون عقباها محمودة . ماجورا عليها دنيا وأخرى . ولذلك صارت تحاول بكل قواها أن تهتك اطارها . وتمزق ستارها . وتمحو طفاوتها . وحين علمت ما لاسرتنا من هالة دينية . حاولت بكل مستطاعها أن تبذر بيننا العداوة . فاذاعت عند نفيي أن ذلك كان بيد اخي الكبير سيدي محمد ـ رئيس الاسرة ـ ثم أرادت بعدما فشلت في ذلك أن تحول بيني وبين من يترددون الى زاويتنا لاخمالي . ولميل وجوه الناس عني . فبقيت خمس سنين لا أزور ولا أزار . ولا أكاتب ولا أكاتب الا سرا مع الثقات . ولا أتلقى أي خبر الا ما يتسرب الي سرا . حتى يوم يكون في الزاوية الموسم . فلا أرى الا بعض الثقات ممن جاءوا . فهم الذين اجالسهم وأثافنهم . وقد الفت هذا الانقطاع بتطاول الزمان . واستأنست بالعزلة ـ ان صح أن أسمي ما أنا فيه عزلة ـ والواقع أنني مع زوجتي وولدانا : عبد الله وسعيد يقفزان أمامنا . والاقى في كل وقت من انقطعوا الى زاويتنا ليلا أو نهارا . فكنت كلما أعييت من الكتابة في مسوداتي التاريخية . أو من المطالعة للكتب المختلفة المتراكمة يمنة ويسرة أخرج الى هؤلاء المنقطعين ـ ان لم يكن واردون جدد ـ فأجاذبهم الاحاديث ما شاء الله . أو أجلس الى الاخ فنحلق في الجواء حول ما يدور في العالم . وكان نعم المفيد والمستفيد . والقابل والراد . والغالب أن نتغدى معا على مائدته يوم لايكون عنده ضيف خارجي . كما أن الغالب أيضا أن أجتمع معه بعد صلاة العصر في احد السطوح . الى ما بعد غروب الشمس . فنقضي كل مجتمعاتنا في المحادثة حول حوادث العالم الذي يتلظى بالحرب الضروس فكنا نتكهن بما سيقع وأتذكر أنني كثيرا ما أقول له : كأنك ترى وشيكا هجوم الحلفاء على شمال (افريقية) لانه الباب الوحيد الذي سيتسرب منه (الانكليز) و (أماريكة) الى قارة (أوربة) وكان الاخ ربما يستبعد ذلك . ولكن الايام جاءت وفق هذا الظن بعد أزمان .

ومن هنا يعرف القارئ أنني اذ ذاك في غالب أيامي في نعمة لا في نقمة . وفي اجتماع لا في انفراد . وفي سرور وسعة في الصدر . لافي غم وضيق خاطر . الا ما يلم بي بعض الساعات ثم ينقشع . فان لاحظ القارئ أن بنات جيبي اذ ذاك متوفرة . وانني أعيش عيشة مغبوطة عند الالفين . وانني ربما يقال حولي حين يرى ما استمتع به من الخيرات وبلهنية عيش . ان فلانا ربما يستخدم الجن . فيسخره في استيراد كل ما يريد . والا فكيف

يتسع من بيننا فى المعيشة . ولا يأكل الا القمح والزبد (١) وأنواع الاطعمة المختارة من اللباب واللحم فى كل يوم . فى الوقت الذى لانجد فيه الا بلغة من الكسكسو الغليظ من لاشعير . ثم لانذوق اللحم الا بعد أزمان . ذلك ما ذكر لي انه يتناجى به . بل قيل لى ان كلاما مثل هذا قاله أحد الفقهاء الالغيين الكبار . فى ركب اقبل فيه من قبيلة منا الى (الغ) كذلك يقال . ولو علموا أن فى الانس من المنفعة ان سخرهم الله ما ليس فى الجن المسخر لما قالوا ما قالوا . ثم لم يقولوا ذلك الا عن حسن نية وتعجب .

ثم انه لما كان دوام الحال . كيفما كان من المحال . فاجأنى أواخر سنة ١٣٦٠ هـ ان استدعانى المراقب فى(تافراوت) فأبلغنى أن الحكومة سرحتنى. ولكن فى (سوس) فقط . بحيث لم ينفتح أمامي الطريق بعد الى الحواضر . فاحتججت قائلا : اننى لا أرضى بهذا ولا أقتنع . فاننى نشأت فىالحواضر . وحياتها عندى هىالحياة . فطمأننى المراقب. وقال : ان الامور تاتى بالتدريج شيئا فشيئا . فقلت له : ان مقصودى أن لاتظن الحكومة أنها فعلت بى ما أحب . فاننى لاأزال أتطلب بكل الحاح منها أن تفتح لى الباب على مصراعيه لتعود المياه من حياتى كما كانت الى مجاريها .

انحلت بذلك اليوم العقدة الاولى . فوجدتنى حرا فى (سوس) فعقدت الرحلة الاولى من رحلات (خلال جزولة) فى أول سنة : ١٣٦١ هـ فوصلت فيها الى (تيزنيت) فـ (أكادير) فـ (تارودانت) كما يجده القارىء فى تلك الرحلة بالتفصيل . والرغبة كلها مجموعة فى لم كل مـا أمكن من المـواد للتاريخ السوسى المبعثر . فكانت هذه الرحلة واخواتها الثلاث تدور على هـذا المحور . فاوكات فيهـا على أشياء كثيرة لـم تكن تخطر لنا على بال (وهى أربع رحلات تحت اسم (خلال جزولة) وهى كلها مطبوعة اليوم) .

ثم فى ٢٤ رمضان ١٣٦١ نفسها أبلغتنى الحكومة أيضا اننى مسرح الى الحواضر . ما عدا سكنى (الحمراء) فاحتججت أيضا احتجاجا حارا وأقنعت ـ أو ظننت أننى اقنعت ـ المراقب فى أن حياتى لا تتيسر لى الا فى(الحمراء) لاننى ابن (الحمرا) وهناك مركزى ومعاريفى . وفى ميدانها مجر مالى من العوالى . ومجرى ما لى من السوابق . وقلت ان كل حل لايفسح لى المجال الى السكنى فى (الحمرا) فاننى لا أرتضيه . وان كنت لا أنـوى فى نفسى الانتقال الى (الحمراء) الا بعد أن تضع الحرب أوزارها .

---

١) كانت الزبدة لاتوكل فى (الغ) حتى صرت أتقيها وءاكلها . فيتعجبون ولا ياكلون الا السمن . ويقولون ان الزبدة لا ياكلها الا اليهود .

بذلك انحلت العقدة الثانية . فانفسح مجال الامانى أمامى . وصارت الآمال ترمى بى الى بعيد . فأتخيل السعادة الجديدة التى أتذوقها ثانيا بين اخوانى وتلاميذى وأحبابى . فكنت فى فرح لاتحملنى به أرض ولا سماء

ثم فى أواسط السنة ١٣٦٤ هـ ابلغت أن العقدة الثالثة قد انحلت وان الموانع كلها قد أزيلت من أمامى . وان لى أن أنتقل الى (الحمراء) متى شئت . بشرط ان لا افتح المدرسة التى كانت عندى . فقلت لهم : لا بأس ان تلك المدرسة كان لها ما كان قبل ان ينتظم المسجد اليوسفى . واما بعد النظام فللطلبة هناك الكفاية . وقد كنت فى داخلية نفسى سئمت حمل التكاليف لتعليم الصغار . وعرفت منى اننى أعجز عنها . فحين كانت هناك اليوم مدارس عصرية منظمة من أصحابنا . يتادى الواجب او بعض الواجب بها . ففترت همتى حول التعليم الابتدائى المدرسى فاسترحت . ولويت همتى الى أن اتعاطى ما تيسر من التعليم حول المسجد اليوسفى ان شاء الله يوم أقطن (الحمراء) من جديد .

الرحلة الاولى إلى الحواضر

فى مفتتح سنة ١٣٦٢ هـ توجهت وحدى الى الحواضر . واذذاك مررت بضريح جدنا فى (ايمور) ثم مررت بـ (أكادير) ثم بصاحبنا وابن عمنا الفقيه سيدى محمد بن أحمد عند القائد سعيد التامرى . فى مركز (تمانار) ثم الى (السويرة) وهناك تلفنت الى مولاى أحمد المنجرة بأن يتلقانى مع الاخ سيدى العربى بنيس فى الوقت الذى تاتى فيه السيارة العمومية الى (كيليز) وأوصيته ان لا يعلم أحدا من أصحابنا ايا كان بمجيئى . ثم تلاقينا تلك الملاقاة التى لا أجد الآن ما أصفها به . لان القلم ان أمكن له أن يصف اللذة التى تذاق من اللسان أو من العين أو من الاذن أو من اللمس أو من الشم . فانى يمكن له وصف ما تجده القلوب الفياضة من الاخوان المشتاقين حين يتلاقون ويتعانقون . ويضم بعضهم بعضا الى الصدور . وهذان الاخوان القليلا النظير : مولاى أحمد المنجرة وسيدى العربى بنيس من المصطفين الاخيار . المتقين الابرار . من بين أصحابى فى (الحمراء)

ثم لما نزلنا فى دار مولاى أحمد صار الاخوان يردون علىّ . كالشريف مولاى عبد لله بن ابرهيم . والاديب سيدى عبد القادر بن حسن وأمثالهما ومحمد الملاخ رحمه الله. وقد أخبرونى بأن الحكومة أعلمتهم كرؤساء للحزب فى (مراكش) بمجيئى . وذلك كجواب لهم ولاخواننا الزعماء الكبار فى طلبهم الحثيث فى كل هذه السنوات . من رجوعى الى مقرى . وقد حتمها

مراقبة (مراكش) على أن أدخل المدينة بهدوء . كأنهم يظنونني من أولئك الزعماء الذين يتلقون بالاعلام والتصفيقات والحشود . ومن يدريهم بأن المختار ليس هناك ولو بقلامة ظفر . ان هو الا فقير وديع . يعيش كالمساكين الذين لايتعالون الى ما لم يخلقوا له . وهذا بنفسه ما وقع من غير أن اعلم ما تتطلبه مراقبة (الحمراء) جبلة جبلت عليها . فابتعد من كل زحام . ومن كل ميادين الشهرة . فقد أوعزت كما تقدم من عند نفسى الى مولاى احمد أن لايعلم احدا بمجيئى . فلما شاع فى المدينة دخولى اليها بغت مثل الرئيسين : مولاى عبد الله وعبد القادر بذلك . ثم بعدما بت عند مولاى احمد فى داره . انتقلت الى زاويتنا بـ (الرميلة) ففرش فيها بيت . فهناك يرد علىَّ من يهنئونني بالرجوع . وكم كتمت ضحكة فى صدرى فى ساعة ولج علىَّ فيها لفيف كثير من الشباب المراكشى من اخواننا الحزبيين . يقدمون لى طاقة كبير من الازهار . على ما يعتاد فى أمثال هذه المواقف . مع العظماء الذين يراد تكريمهم من زعماء الحزب . فمثلت معهم الدور الذى تمليه الساعة علىَّ . وهل مثل المختار المسكين الفقيه الوضيع المذنب - يا عباد الله - وهو الذى لايتعالى الى زعامة . ولا الى اقتناص شهرة . تقدم له الطاقات من الازهار هكذا . فلدعوة الى الله فى أن يغفر ذنبه . ويجعله نفاعة لأمته فى ارشادها الى دينها . أفضل عنده من هذه المظاهرة التى لم يكن لها ولم تكن له . ولكن الله ستر الذنوب بفضله . وحسن ظن هذا الشعب العظيم فى كل من يقال فيه : انه أصيب بسببه .

ثم توالت حفلات الاغدية والاعشية شهرا كاملا . خوطبت فى بعضها بقصائد من الاديب سيدى احمد النور . ومن غيره من أصحابنا . وقد كان فى تلك الحفلات معنا أخونا : عبد الهادى مكوار ينظم تلك الحفلات . لئلا يقع التداخل فيها . فغداء عند هذا . وعشاء عند ذلك فى يوم معين بعد اسبوع أو أسبوعين . وهكذا بقينا نحو شهر . زيادة عن حفلات الشاى فقط ولا أزال أتذكر أن محفلا أقيم لشرب الاتاى ضم نشئا كثيرا من المنخرطين فى الحزب . فصار حديثى لايخرج عن العلم والدين . وعلى محورهما دائما يدور حديثى كلما توسطت اخواننا الحزبيين . لان هذه الناحية هى التى تعوزهم. وأما التشجيع على العمل فى الحقل الوطنى فان غيرى يقوم بالواجب فى ذلك غاية القيام . وكذلك وقع أيضا فى نزهة أقيمت فى (أكدال) حضرها الزعيمان - عن جدارة - الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدى . فتوليت حينا الحديث بعدهما . وكان يدور حول اسلاس المنخرطين فى الحزب . لينقادوا الى رؤسائهم . فاقبلت فى ذلك وأدبرت ولكن بلسان الدين الذى

اتعمد أن لا أتكلم الا به . فقلت ان نظام الصلاة الذى يجب علينا اتباعه فى ديننا يملى علينا دائما الانقياد . وفى الحديث : انما جعل الامام ليؤتم به . وكذلك سرت قدما على هذه النغمة ما شاء الله . وقد كان الاخوان الزعيمان المذكوران انما جاءا لتهنئتى بالرجوع . لانهما كثيرا ما كانا يترددان على الاقامة العامة فى شأنى . ثم بعد شهر مزدهر فى (الحمراء) سافرت الى (الرباط) فى القطار . والوقت وقت حرب . وأدوات النقل قليلة . والموجود منها فى زحام مكتظ . فوجدنا فى محطة (الرباط) عربة تنتظرنا . فأوينا الى دار الاستاذ الفقيه الاخ الغازى . كما اقترح الاخوان . وهناك توارد على الشباب الرباطى أفواجا أفواجا . على عادة الحزب فى الاعتناء بأفراده فى مثل هذه الظروف فاسلست أنا لما يريدون . وان كنت لا أعدو أن أكون فقيها فى الحزب . لا زعيما بين زعمائه . حتى يهتبل به هكذا . ثم تغدينا فى الغد فى دار الزعيم الاخ محمد اليزيدى . وهناك لاقيت شابا شاعرا لبقا ممن ظهروا فى هذه السنوات التى غبنا فيها منفيين . وهو السيد عبد العزيز بن عبد الله . فأرانى قصيدة عجيبة اثر ما قرأت على المجتمعين القصيدة اللامية التى كنت قلتها يوم نفيت . وهى فى (الجزء الاول) من هذا الكتاب .

أرأيت الايام كيف تدول والليالى بالسهد كيف تطول

ولم أكن أدرى أن هذا الشاب سيكون من ذلك الوقت أحد اخوانى العمد فى مبدأى الدينى الذى صار فيه آية خارقة للعادة بين لداته . فانه يكاد يكون هو الشاب الوحيد الذاكر لربه عند منبثق الفجر . زيادة على المحافظة التامة على أداء الصلاة فى وقتها . مع روحانية قوية وتفكير وتعلم عاليين . وشهادات عليا فى العلوم العربية وفى غيرها من العلوم العصرية . وبهذا وصف لى الآن . وأطلب الله أن يثبت قدمه فى المستقبل (ثم كان منه ذلك أو أكثر بتجربتى الخاصة)

ثم تلاقينا مع (نوكيس) المقيم العام بالسعى من الزعيمين الحاج عمر واليزيدى . فقدمانى له قائلين : هذا هو فلان المنفى منذ سنوات . فقال : ان مسألة فلان كانت بسيطة من أول يوم . وليت شعرى اذا كانت مسألتى بسيطة فلماذا امتد النفى خمس سنين . ولكن الله أمل بحكمته وعدله على سى نوكيس . فبعد غير قليل من الايام دار عليه بدوره دولاب الزمن . فأجفل من مركزه هاربا خائفا يترقب . ولم يحمل من متاعه الا القليل . فالتجا الى (البرتغال) حيث يقبع ويتقمع . وقد قضيت فى (الرباط) اياما كثيرة .

ملئت بالمجالس الادبية (١) في نزه خاصة .

ثم بعد ما شاء الله في (الرباط) زرت (فاسا) وقد سافرت مع الاستاذ سيدي محمد الفاسي العلامة الكبير مدير (القرويين) - في القطار - وقد قاسينا من الزحام فيه عرق القربة . حتى لم ندرك الا الوقوف في الحشد المزدحم في احدى العربات . وربما ندرك التناوب في جلسات خفيفة . والغالب أننا لاندرك ذلك . فهيىء النزول في دار التاجر الكبير الاخ المجاهد أحمد مكوار . حيث تدفق النشء من الاستقلاليين بايعاز من الحزب . لتهنئتي بالرجوع . واستحضر انني لم أمض كل ذلك الوقت الا في المحادثة مع طلبة (القرويين) فيدروسهم وفي معلوماتهم . وهل للمختار - ياعباد الله - الا هذا الميدان الذي خلق له . وبه عرف . وبسببه نفته الحكومة . وفيه ينوى أن يؤدي الواجب. وأتذكر أن بعضهم نبهني الى أن اجول فيمحادثاتي حول الحقل الوطني. ولايدري انني عمدا أهرب من أن ألج فيما ليس ميداني الخاص . ثم بقيت في (فاس) ٢٢ يوما خالطت فيها كل الطبقات والاحزاب . حتى (أبا الاسعاد) فقد زرته مع الاستاذ الفاسي لغرض لي عنده في كتب . ولمسالة يريد الاستاذ ان يتصل به فيها تتعلق بجامعة (القرويين) وهناك تقدم الي في حفلة ليلية الاديب سيدي جعفر العلمي أحد نجباء (القرويين) في النهائي بقصيدة . كما قدم أخرى طالب ذكي وهو أحمد الحلو (٢) - طافحة بالعواطف الفياضة - كما قدم لي أحد الادباء من الفاسيين أيضا منثورا يخاطبني به . كما اجتمع بي هناك لفيف من التلاميذ السوسيين من بينهم الفقيه سيدي محمد بن عبد الله العويني . والاديب سيدي أحمد بن زكرياء البعمراني. وقد قدما لي أيضا قصائد من بينها قصيدة ذلك الفقيه ومطلعها :

يا (فاس) قد سعدت بك الاقدار اذ زارك العلامة المختار

واذذاك استمتعت بمجالسة الاخ الاستاذ ابي المزايا ما شاء الله . ثم صدرت الى (الرباط) حيث بقيت أياما كثيرة . فلم أرجع الى (الغ) الا بعد شهور . ثم كررت السفر الى الحواضر مرتين اخريين . اولاهما وصلت فيها الى (مراكش) فاذا ببوادر حوادث الاستقلال المعلومة في الافق . وقد أدركتني وأنا في (تادلة) فتنكبت عن عمد المشاركة فيها لمكان أهلي في بحبوحة (سوس) ولم تنحل بعد عقدتي بالكلية . لان مراقبة (تافراوت) لم تأذن لي بعد في الانتقال . رغم اعلانها انني مسرح . وكذلك انا لم أتهيأ بعد الى

---

١) في رسالة الى أحمد شوقي توجد في ذيل الرحلة الاولى من كتاب (خلال جزولة) تفصيل لتلك الادبية . بل فيها كل ما جال حولي من الادبيات في هذه الرحلة . وهي مطبوعة تحت (الرسالتان) .

٢) توفي وشيكا رحمه الله .

ذلك حتى وضعت الحرب أوزارها . وقد صادفني يوم استسلام (المانية) والفتك بـ (هتلر) و (موسولوني) في (تيزنيت) فاذذاك فقط سافرت أيضا الى (الحمراء) بعدما أذن لي في أن اذهب لاتهيأ للنقلة . فمررت بأخي في الله بل شيخي سيدي محمد بن عبد الله الزيكي في (السويرة) فقلت له : اذهب معي حتى نطلب الله أن ييسر الحالة التي نتطلبها في (الحمراء) لان المواد الغذائية التي كانت اذ ذاك مفقودة . قد تيسرت لي كلها في (الـغ) ولكنها في (الحمراء) لاندري كيف نكون ازاءها . ففي اليوم الذي دخلت فيه (مراكش) لم نبت حتى تيسر منزل واسع . وهو (الرياض) الذي كنت اقطن فيه في (درب الزاوية) وقد كان صاحبه مولاي علي الرحماني لما اشتراه ذكر انه ما هيأه الآن لسكناي يوم أرجع . ثم تيسر الفراش والمواد الغذائية سكرا واتايا وقمحا وزيتا . وهذه المواد في يد الحكومة تفرقها مشاهرة . فيتجمع ما تيسر على أيدي أحبائنا حتى توفر من ذلك بتوالي الشهور شيء كثير . وقد كنا في (الغ) حين كانت المراقبة تفرق التموين على الرؤوس نتوصل بما عندنا من الرؤوس وباشياء أخرى تفرقها الحكومة على الاعيان. وقد كان الكاتب - الا فاسمع أيها القارىء - من هؤلاء الاعيان . وستتعجب كيف تعتبر المراقبة انسانا منفيا ذا خطر على مبدئها الاستعماري مثل من الاعيان الذين ما كانت تخصصهم بذلك الا لحاجة في نفسها . لاتخفى على ذي بصيرة .

هل تدري السبب في ذلك ؟ ان السبب هو ان مراقبا جديدا حل في (تافراوت) وليس من المستعمرين الذين لهم مبدأ في الاستعمار . لان استعماره هو انما يتجلى في ملء جيبه خاصة . وفي يوم جاء هذا المراقب الى دارنا فاستدعاني . فقال : ان الطلبة الذين في المركز قد اختلفوا في مسألة شرعية . وقد سألت عن عالم كبير في الشريعة يرتقي بحكمه في الفقهيات . فذكرت لي لانك قرأت من (فاس) ثم ذكر المسألة وهي : هل يجوز أن يتزوج الرجل أخت جدته لأمه ؟ فقلت له مبادرا : لا لا . لاتجوز. ثم استحضرت في الحين قول المختصر : وأول فصل من كل أصل . فاقترح أن أكتب ذلك كفتوى .

فبهذه الفتوى تبدل نظر المراقبة الى ذلك المنفي فجأة . فيكون له حظ من القدر الذي تعينه الحكومة . وتضعه في يد المراقبة . تتصرف فيه كيف تشاء . فتعطيه على حسب انظارها . وقد استحللت ذلك من أجل أنني ممنوع من التصرف كما أشاء . فلا أحرث . ولا سبب لي . واذ نفتني الحكومة فلتكن عليها مؤنتي . وذلك ما هيأه الله لي أخيرا على هذا المنوال . فقدرت

به أن أعيش فى ذلك الفلاء عيشة مرضية . يغبطنى عليها الالغيون . وانى لم أنس بعد ما مر بى فى مبدا نفيى الى (الغ) من الفاقة وضيق ذات اليد وقد مر بى شهر ما . ولا درهم فى جيبى . وقد منّ الله اليوم من كرمه ومن غير طلب منى بما منّ به . فياتينى من غير أن أسعى اليه . حتى اننى لا أرى من يمدوننى بـه ولو أدنى رؤية فاشتريه بدراهمى شراء رخيصا . فاليه وحده الشكر وله الحمد . وبهذه المعيشة اغتبطت . فاطلب اللـه أن ييسر لى أيضا فى (الحمراء) مثلها . فاليوم جاءت الدعوة مستجابة . بفضل الله ومنته . فالحمد لله الذى لايغفل عن عبيده ولا يسد بابه دون رجائهم . فاللهم لك الحمد حمدا كثيرا حتى ترضى .

سبحان الله كنا قبل النفى فى (الحمراء) كثيرا ما ناكل الشعير ونخبز منه . ونتغدى ونتعشى بالخبز القفار ـ ان اعوزنا الزيت او أعوزنا ما نشتريه به ـ أو بالكسكسو والخضر بلا لحم ولا ادام . نفعل ذلك لنجد ما نشارك فيه الطلبة الذين انضافوا الينا من المساكين المتحاشين الى مدرستنا من أهل البادية . ثم لم أخرج من (الحمراء) يوم النفى . الا بستة فرانك . ثم لما كنا فى (الغ) وصارت الارزاق تدر علينا بعد زمن . بلغنا الى أن صرنا مضرب الامثال هناك . خصوصا فى سنوات : ١٣٥٨ هـ فما بعدها فـى الاتساع وكثرة النفقة . فقد ألمت المجاعة حوالى ١٣٦٠ هـ فقال بعض كبار (الغ) : عجبا من فلان الذى يتقلب فى الخيرات وهو فى قعر بيته . لايحرث ولايتجر ولايشارط ولا يكسب . ونحن نشتغل بكل هذه ثم لانجد من المعيشة حتى الكفـاف .

ومما يحكى اننى اعتنى بانتقاء القمح والزبد والعسل المصفى واللحم كـل يوم . ولم يكن أكل ذلك كله بمالوف عندنا فى (الغ) فيتعجب منى فكنت والحمد لله أول مترفه ـ فى نظرهم ـ عندهم . لانهم لايعرفون الا أكل الشعير وقلما ياكلون اللحم . وكذلك آكل الامخاخ . والرؤوس المشوية وأكثر من شراء الفواكه . وهذا كله ليس عندهم بمعتاد كل يوم . الا قليلا جـــدا .

كذلك عدنا فى(الغ) نعيش بالقمح بعدما كنا نعيش بالشعير فى(الحمراء) حيث تكون معيشة الناس بالقمح . فعوضنا الله ذلك ببركة أولئك الطلبة الذين ما تجشمنا الذى تجشمنا الا من أجلهم . فتدر النعم علينا . فلا ناكل الا خبز الحوارى ولباب السميد . فلا نامت أعين البخلاء لا نامت أعين البخلاء والفضل لله اولا وآخرا . ولم أذكر كل هذا الا تحدثا بالنعمة . لاتلـذذا بالبطنيات .

(وبعد) فقد أمضينا فى (الغ) ما أمضينا بين الكتب . وفى جمع كل ماتيسر مما يتعلق بناحية (سوس) فكنت أقول دائما : تريد منى الاقدار أن أكون فى (سوس) فها أنذا فى (سوس) فلأجعل لـ (سوس) جميع جهودى . لأحيي من تاريخه ما أمكن لى . وحين لاتمكن الاحاطة . ولا يمكن أن أتسع فى ذلك كما أريد . فليكتف بما تيسر ؛ فقد :

(يكفى من العقـد ما أحاط بالعنق)

لذلك انكشفت تلك البرهـة . عن مسودات كثيرة جدا فـى حقائب بجراء . فان أمكن تخريج الكل كما أريد . فان صفحة جديدة كانت كلها مجهولة . ستفتح عن هذه الجهة المغربية . فقد كتبت عن العلماء وعن الرؤسا وعن الادباء وعن العادات . وفصلت غالب ذلك تحت كتب خاصة .

وأخيرا نحمد الله الذى عرفنا باليراع . حتى كان لنا خير انيس فى هذه الغربة . وها نحن أولاء أزمعنا الرحيل . وتهيأنا . فالله يجعل كـل الابواب مفتوحة . ويرد لنا فى (الحمراء) من الدراسة ما كنا نعرفه فيها فان حياة المختار انما هى حياة الدراسة . فان قيل فيه سياسى أو غير سياسى فان الذى يعرفه من نفسه ويعرفه منه كل من يمازجونه : انما هو سلوك هذا الطريق الذى يراه طريقا مهجورا . ستبكى عليه الامة عن قريب يوما ما حين تراه مطموسا . ان لم يعجل الله بتبديل الحالة .

فاللهم يسر ولا تعسر . ففى فضلك كل رجائنا يا ذا الجلال والاكرام .

لائحة بنات اليراع في «الغ» نحو «سوس»

منـذ مفتتح سنة ١٣٥٦ هـ الى ما قبل مختتم هذه السنة ١٣٦٤ هـ أقبل يراع هذا الغريب على الكتابة صباح مساء . وقلما يقف الا في فترات قليلة . وقد كان الموضوع الذى يتحرك فيه موضوعا خاصا لايتجاوزه . وهو ضم الشمل للتاريخ السوسى . فاستطاع أن يتكشف عن كتب متنوعة . عن رجالات (سوس) فقهاء وأدباء ورؤساء . وما الى ذلك من تقييد الحوادث فها هى ذى الاجزاء المخطوطة بهذا اليراع . تعد الآن أمامى بما ينيف على خمسين جزءا ما بين جزء ضخم ووسط وصغير . وهاك أيها القارىء أسماء تلك الكتب التى تحتوى على تلك الاجزاء :

١ ـ (سوس العالمة) جزء وسط ـ مطبوع ـ

٢ ـ (رجالات العلوم العربية فى « سوس ») ـ لايزال مخطوطا ـ وهو جزء ضخم . ولئن تم كما نريد ليكونن معجم علماء (سوس)

٣ ـ (خلال جزولة) وهو عبارة عن أربع رحلات رحلتها منذ أزيلت عنى الاصفاد . فزرت نواحى من (سوس) وهـى أجزاء متوسطة ـ طبعت كلهـا ـ

٤ ـ (المعسول) عشرون جزءا ـ طبع كله اليوم بحمد الله ـ

٥ ـ (الرؤساء السوسيون) جزء وسط ـ لايزال مخطوطا ـ

٦ ـ (مترعات الكؤوس فى بعـض آثار من أدبـاء «سوس») جزآن وسطان ـ لايزالان مخطوطين ـ وفيه بقايا أدبيات عن «المعسول»

٧ ـ (ايليـغ قديما وحديثا) جزءان وسطان ـ لايزالان مخطوطين ـ

٨ ـ (الالغيات) ثلاثة اجزاء ـ هى هذه المطبوعة اليوم ـ

٩ ـ (الترياق المداوى ؛ فى أخبار الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى) جزء وسط ـ مطبوع ـ الفته فى والدى رحمه الله . أداء للواجب

١٠ ـ (منية المتطلعين الى من فى الزاوية الالغية مـن المنقطعيـن) جزء وسـط ـ مطبوع ـ

١١ ـ (من أفواه الرجال) عشرة اجزاء صغار ـ طبعها بعضها الآن ـ

١٢ ـ (اتحاف النبيه . فى مناقب سيدى أحمد الفقيه) جزء صغير
ـ لا يزال مخطوطا ـ

١٣ ـ (بين الجمود والميع) رواية فى أفكار اسلامية . جزء وسط
نشر فى « دعوة الحق » ما خرج منها .

١٤ ـ (رسالة الشباب) رواية فى مهمة الشباب نحو الامة .
جزء وسط ـ ضاع بكل أسف ـ

١٥ ـ (مجموعة فقهية) فى فتاوى السوسيين المتأخرين . مجلد
ـ لايزال مخطوطا ـ

١٦ ـ (جوف الفرا) مجموعة أدبية جمعت الغث والسمين من الادبيات
ثلاثة أجزاء وسطى ـ مخطوطة ـ

١٧ ـ (طاقة ريحان . من روضة الافنان) جزء وسط ـ مخطوط ـ

١٨ ـ (مجموعة فى العادات الالغية) جزء وسط ـ مخطوط ـ

١٩ ـ (قطائف اللطائف) وهو جزء وسط ـ مخطوط ـ

٢٠ ـ (حول مائدة الغداء) جزء وسط ـ مخطوط ـ

٢١ ـ (نضائد الديباج . فى المراسلات بين المختار والقباج)
جزء وسط ـ مخطوط ـ

وداع (الغ) والرجوع إلى (الحمراء)

هذه يا (الغ) نظرة القيها عليك اليوم . وأنا على أو فاز . والحقائب مصفوفة . والمتاع مجموع . والقلب لايرى حياة بعد الآ حياة (الحمراء) فهل أكفر مـا أسبلت علىّ يا (الغ) الكريمة يا مسقط الرأس . ويا تربة هى أول ما مس جلدى . بعد مغادرة بطن امى . لاها الله . ما أنا ممن يكفـر النعم .ولا أنا من يعاشر ثم ينسى المعاشرين . بل أنا كما قال المتنبى :

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا   لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

كيف أنساك يا (الغ) وقد وجدت فيك طوال هذه الغربة اخوانا معينين . واحباء موثرين . ومساعدين لى فى كل شئ . زيادة على نفحة ربانية أحس بها منبثقة من أعماق قلبى . وعلى أخلاق صوفية استجددتها فى هذا المنفى بين أكنافك . فان كانت (الحمراء) افادتنى الادب ومحبته ورقته . وذوقه وأريحيته . فقد أفدتنى أنت اليوم من الرجوع الى الله . والاعتماد عليه . واستحلاء تسجيل كل ما يحوم حولى . من أنبا' أعلام . وتواريخ وقائع . فهل كنت أذكر بـين الصوفية أو بـين المؤرخـين لو بقيت فى (الحمراء) الى اليوم : ١٣٦٤ هـ

هذا اذن المراقبة فى يدى للانتقال . وقد أمرتنى أن أقدم مكتوبا من عندها الى المراقبة فى (الحمراء) بمجرد وصولى . وأن أتصل بارباب الامر والنهى فيها . فهل يمكن لى الا أن أأتمر بأوامرها . وهذا اليوم الذى واعدت فى صباحه سيارة النقل . لتنقل متاعى الى (أكادير) أولا . فلم يبق حينئذ الا النظرة الاخيرة . فهكذا تقلبات الاحوال . ودواليب الزمان . فمنذ تسع سنوات أزعجت الى هـذا البسيط ازعاجا وأنـا كاره حتى النظر اليـه . وها أنذا اليوم أحس من داخـلى كأننى أزعج أيضا الى (الحمراء) والحقيقة أن الانسان ليس له مع الاقدار أى اختيار وما اختياره الا أوهام فى أوهام .

ها أنذا أركب مع أم الاولاد . ومـع الاولاد : عبد الله وسعيد وعبد العزيز فى سيارة الاخ ـ جزاه الله كل خير على اعتنائه الدائم . منذ كنت هنا فى جواره ـ بعد ما قدمنا المتاع فى سيارة النقل الى (أكادير) فتركت

الاهل عند أبيهم الشريف : سيدى ابرهيم بن محمد التازاروالتى . فتقدمت انا الى (مراكش) لاهيء كل شيء ولاتلقى المتاع المرسل من (أكادير) فنزلت فى (الحمراء) عند الاحباء شقيقى الروح . ثم لما تهيأ الجميع رجعت فذهبت بالاهل . فمررنا بـ (أكادير) ثم باخينا القائد سعيد التكزرينى فى مركز (تامانار) فهناك جاءتنا سيارة قاضى (أبزو) سيدى احمد بن منصور فاقلتنا الى (الحمراء) .

كذلك رجعنا الى بلد النخيل. حيث الظل الظليل . والماء النمير . والود الصافى . والاخاء المتين . والعلم المدروس . والبحث المستعذب . وحيث يستقر كل مسافر . فيلقى العصا وينشد قول القسمنطينى . فى يائيته :

وفى (مراكش) يا ويح قلبى　　أتى الوادى فطم على القرى

آخر قافية في (الغ) يوم الوداع

لما عزمت على أن أقلع من (الغ) وقد زمت الركائب . وحملت الحقائب قلت اخـاطب الالغيين :

وداعا بنى (الـغ) الكرام وداعا	وان طار قلبى بالوداع شَعاعا (١)
وداع أخ ما مل (الـغ) وانمـا	أهابت بـه حمراؤه فاطاعـا
تلبث فيكم ما تلبث لا يرى	سوى ما حلا ذوقا وطـاب سماعا
وسعتم أخاكم مـذ سنين بفضلكم	بحوثـا وودا خالصا وطباعـا
فقد شهدت هذى السنون بكل ما	أفضتم وان مرت علىّ سراعا
فها هو ذا يزجى السفين وشكركم	سيرفعـه طـول الحياة شراعـا
وما أن رأى الاّ الجميل وعلكم	كـذلك منـه والاخـاء يراعى
عليكم جميعـا يا كرام تحيـة	كزهر بصبح فى الحدائق ضاعا

فأجاب عميد المدرسة الالغية الاستاذ سيدى المدنى بن على بن عبد الله بما نصه :

أخونا الفقيه المحرر النحرير . امام التدقيقات والتحارير . انسان عين الكمال . وعنوان الشهامة والفتوة بشهادة الايام والليال . من نباهى باخوتـه ونبوغـه وتفوقـه . نبغـاء المصريين ونبهاء العراقيين والشاميين واليمنيـين :

اذا مضرُ الحمراءِ كانت أرومتى	وقام بنصرى خازم وابن خازم ٢
عطست بأنف شامخ وتناولت	يداى الثريا قاعدا غير قائم

غـــيره :

أخونا الذى بـه نفاخر كل من تفرد للعليـاء فـى كـل أقطار الاستاذ المفيد . والاكسير الصافية جوهريته فمن قابلها لايبدىء ولا يعيد . سيدى محمد المختار . أعطر السلام الودى الاخائى يملى على جنابكم الرفيع مقامكم السامى المنيع .

---

١) شَعاعا بفتح الشين : متفرقا .

٢) باضافة مضرُ الى الحمراءِ . كما هى الرواية .

قد اتصلت بكتابكم الشريف امس . فاوحشتنا والله مبارحتكم لهذه الارض . فهي وان كانت موحشة مظلمة . تستنير بطلعتكم المباركة. واخلاقكم الزاكية الميمونة . فلا حول ولا قوة الا بالله . وانا لله وانا اليه راجعون :

قد كان ما خفت ان يكونا   انا الى الله راجعونا

واننا كتبناه اليكم . والعبرة تخنق . والسنتنا اخرستها دهشة الوحشة فلا تنطق :

لا مرحبا بغد ولا أهلا به   ان كان تفريق الاحبة في غد

غيره :

صدنى عن حلاوة التشييع   اجتنابى مرارة التوديع
لايفى أنس ذا بوحشة هذا   فرايت الصواب ترك الجميع

وما أحسن هنا أبياتا للوالد قدس الله روحه . خاطب بها اخانا الفقيه الاديب المشارك سيدى محمد بن الطاهر عند رحيل له عنه . بعدما زاره عام ١٣٢٨ هـ :

يا هائجا للرحيل هوج اظعان   رفقا فما هجت غير قلبى العانى
ان غبت جريا مع الاقدار عن بصرى   فانت فى القلب أرعاك وترعانى
حكم الزمان جرى بشت مجتمع   فليس فى غيره حليف امعان
لاغرو ان أظلمت أرض رحلت بها   فانت والبدر للانوار فرعان
عليك أزكى سلام طيب عطر   من حائر بجيوش بينكم عان

ولله در المجد الفيروزبادى اذ قال :

أحبتنا الاماجد ان رحلتم   ولم ترعوا لنا عهدا والا
نودعكم ونودعكم قلوبا   لعل الله يجمعنا والا (١)

وقد انتصفت (الحمراء) اليوم منا . وقد كانت موتورة قبل . والدم لاينام والله الله سيدنا فى الحقوق اللازمة الادبية . والمسامحة فيها :

فسامح ولا تستوف حقك كله   واغض فلم يستوف قط كريم

وفى علمكم الشريف أن طبع هذه الارض وان كانت مسقط الراس لايخلو من جفاء . فرحم الله أسلافنا الكرام . فقد لينوه بعض تليين . فعادت اليوم تنطبع بجبلتها الغريزية . لقلة الملينين أمثالكم . فنودعكم واخاءكم الصميم. وجوار أدبكم الغض الفخيم . وداع من لايريد بكم حمر النعم . وسواد العين :

---

١) أى نعمة .

(ولكن هكذا حكم الزمان)

وما الدهر الا هكذا فاصطبر له رزية مال أو تفرق اخوان

وان جميع حواشينا التى هى حواشيكم . تسلم عليكم وتودعكم . حتى الولدان أحمد وعلي النجيب صاحب التهنئة الفائقة . يسلمان ويودعان أبناء عمهم : السيد عبد الله . والسيد سعيدا . والسيد عبد العزيـز . النجباء البررة الكرام ان شاء الله . والكاتب يرغب فيإستمطار دعواتكم الصالحة ويستوحش فى جواركم بالمبارحة . ويستسلم لقضاء الله .

واما ترجمة شيخنا ومفيدنا والمنعم علينا بعد الابوين سيدى أحمد ابن صالح . مع أشياخى فى تعليم القرآن فستصلكم بكلمة عربية كما شرطتم قريبا ان شاء الله . بلا توان ولا تراخ . ونحن أحرص الناس على تدوين ذلك . زاد الله فى معناكم . وبارك فى أيامكم . فـ (الحمراء) اليوم و (الـغ) أرض واحدة . لله الحمد . وعلى العهد والاخوة . نرعى الذمام . كما لكم منا فى الختام ؛ فائق الاحترام .

والسلام : ٢٣ جمادى الاولى ١٣٦٤ هـ

وكتب الي الفقيه الاديب أخوه سيدى محمد بن علي بن عبد الله اذذاك . وقد قدم أولا تهنئة لقدومى من سفر كنت فيه . ثم كتب اثر ذلك ما يتعلق بالموضوع . وهذا مجموع ما كتب :

سيدى وسندى . والآخـذ بيدى . ومن هو اذا شح المزن المسدى . الاخ الصادق المجدى . الاستاذ الكبير . العالم الشهير . ومن هو فى مجهل الجهل الخريت الخبير . اخونا وخالنا : سيدى محمد المختار . أدام الله مجده الرافع المنار . وسلام الله ورحمته عليه ما فاح الورد وازدهر الجلنار .

(هذا) ولا زائد على صفاء الاخوة وزائد المحبة . ونحمد الله لك اذ رجعت من سفرك المبارك بسلامة . واسمع شبه أبيات . وان كانت غير رشيقة المعنى والمبنى . فهى مما حلت به من امداحك كالشهـد المجتنى . فان كان فيها خلل فاصلحه واعلمنى به . بارك الله فيك . وهى :

قدمت فعـم البشر والقلب ضارع الى الله فيما قـد دهاه وخاشع

ومذ غبت غاب القلب عنا فانه لتقطعنا الارواح مذ أنت قاطع

أتيت فكان الغيث يقفو خطاكم فأحييتما المـيـتـيـن فالسعد طالـع

تذكر ما قد قيل قبل فانما لمثلكم قد قيل ما أنت سامع

(أتيت ومقصور الحيا لك تابع ... وممدوده في غمر خلقك طابع) (١)

فبالله يا شمس القلوب فلا تبن ... فقد زلزلت منا النفوس البلاقع

فاهلا وسهلا أيها الخال سيدى ... محمد من ثدى المعارف راضع

فيا فرحة الانجال ساعة اخبروا ... بمقدمك الميمون والله جامع

فصانهم الرحمان حتى تبوأوا ... ذرى المجد قد كلت عليها المطامع

ولكن قد انبئنا بانك عازم ... على أهبة الترحال والقلب جازع

لقد اخذت(مراكش) ثارها من (الـ ... ـسغ) يا ويحها ويحا لما هو واقع

فمهلا فـ(الغ) مسقط الرأس انما ... اليه بلا شك تكون المراجع

واسال سيدى دعاء فاننى ... على العهد والتشواق ما البدر طالع

عليكم سلام الله ما حن للقا ... غريب وما المشتاق في الوصل طامع

واعذرني سيدى فان تجارتى فى هذه الاسواق مزجاة غير ذات نفاق . الله الله يا سيدى (مهيم يا أبا مريم) (٢) ولقد انبئنا نبئا أصم الآذان . وسهرت لـه العينان . والامر بيـد اللطيف الرحمان . وما احقك بقول القائـــل :

اشمس الغرب حقـا ما سمعنـا ... بانك قد سئمت من الاقامة

لقـد زلزلت منا كل قلب ... بحق الله لا تقم القيـامـة

وعلى العهد والمحبة . والسلام .

وقد كانت هذه المخاطبات . يوم سافرت لأهيىء لى السكنى بـ(الحمرا) ولكن بقيت لتثاقل المراقبة فى اذنها لى . فلم اتمكن من اذنها لى الا فى ذى القعدة من : ١٣٦٤ هـ .

وبتمام هـذا الجزء . تم كتاب « الالغيـات »

والحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات

---

١) بيت من قطعة لسيدى الحاج أحمد الجيشتيمى الى سيدى الحاج ياسين فقد زاره ثم نزل المطر حينا . والحيا بالقصر هو المطر . والحيـاء بالمـد : هو الاستحياء . واخالنى رأيت ما يدل على أن البيت أقدم من الجيشتيمى .

٢) جملة من المقامات الحريرية . ومهيم بفتح الميم وسكون الهاء وفتح اليا : معناها ما عندك . وأبو مريم : كنية عون القاضى .

الفهرس الاول في جميع محتويات الجزء

الفهرس الثاني في الاخطاء المطبعية

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	١٥	يتنفخون	يتنفجون
٤	١٧	يمثل	ينمثل
٤٣	٧	اما هو	انما هو
٤٣	١٨	مما آتى	بما آتى
٥٥	٢٢	بعدم	تنعدم بعدم
٥٨	٦	فيما لايصح	فيما لايصح
٥٩	٢٣	وبالتوضيخ	وبالتوضيح
٦٥	١٢	يدل	لا يدل
٦٥	١٨	او استعمل	واستعمل
٧٣	٥ (من الحاشية)	كرامة	كرامتى
٧٣	٥ (من الحاشية)	لشرب	لثرت
٧٨	١٤	مله	منه
٨٣	١	ان اردت	ان أدرت
٨٨	١٨	كزهم	كزهر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٥	١٤	قريت	قربت
٩٨	١٧	فنقيه	فنتقيه
١٠٠	١٥	مستممات	مستتمات
١٠٢	٢٧	فلينفسج	فلينفسح
١١٣	٢	في شالى	في شمالى
١١٦	١١	سالتهم عتهم	سالت عنهم
١١٦	٣٠	ولقيود	والقيود
١١٧	٢٠	ولله	والله
١٢٠	٣١	ولم تفتهم	ولم يفتهم
١٣٧	٢١	في قفا	في نقا
١٤١	٢٥	ما استطيع	ما لا استطيع
١٤١	٢٦	ولكن كنت	ولئن كنت
١٤٢	١٧	المتدين	التمدن
١٤٢	٢٤	ترتكز	لاترتكز
١٤٣	٨	وعنادتها	وعنادها
١٤٥	٢٨	١٣٤٠ هـ	١٣٥٠ هـ
١٤٩	٢١	البغات	البغاث
١٥١	١	البارودى	البادورى
١٥٢	١١	ويسحر	ويسخر
١٥٢	١١	فيخسا	فيخسا
١٥٢	٢٠	ستنفد	وتنفد
١٦٠	٣	فيذهل	فيذهل
١٦١	٣٦	للمديحُ	للمديحِ
١٦٢	١٧	يُردد	تردد
١٦٢	٣١	علّ	عَلّى
١٦٣	٢٥	جلئوا	جَلَئوا
١٦٣	٢٨	وبين اخى	وبين ابن اخى
١٦٤	٦	وبين اخى	وبين ابن اخى
١٦٤	١٢	الكدر	فى الكدر
١٧٥	٢	وصرت	وصدت
١٧٥	٧	غدا	غدت

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧٦	٢٢	يطيب	تطيب
١٧٧	١٠	قـرب	فرب
١٧٨	١٧	اللسَن	اللسُن
١٨٠	١١	للوقف	للوصف
١٨٢	٣١	الهدقى	الهدى
١٨٣	١٧	نحتى	نحى
١٨٦	٣٠	بذلك	بتلك
١٨٩	٢٧	ياخذن	يأخذن
١٩٣	٢٣	الا الاديبين	الى الاديبين
١٩٦	٢٧	فيرد	يرد
١٩٨	١٦	بحجت	بجحت
١٩٨	٣١	انـه	انهـا
١٩٨	٢٤	ضننا	ضنتنا
٢٠١	٩	من قد	هم قد
٢٠٢	٢٣	الى صدرى	الى صدره
٢٠٣	١٢	فتحوز	فتجوز
١٢١	٩	التشيع	التشييع

تنبيه

ان التصحيف يوجد فى الكتاب بأجزائه الثلاثة . ولم نتمكن أن نزيل منه الا ما فى جدول الاخطاء فى آخر كل جزء . وعلى القارئ أن يصحح أولا نسخته فيما نبهنا عليه . ثم يعذرنا فيما يجده أيضا ومن زاول الطباعة يوقن بان ازالة الاخطاء المطبعية تكاد تكون متعذرة . ولم يسلم من الاخطاء الا كتاب الله وحده .

تنبيه ثان

ان هذا الكتاب جرينا فيه على عادة كتاب (المذكرات) الشخصية . خصوصا مذكرات الادباء والمؤرخين . ولذلك يحتوى على أمور شخصية محضة . وعلى أدب خاص بالالفيين وبكل من أتصلوا بى سنوات المنفى التسع . والمقصود التسجيل لما عسى أن ينفع غدا من عسى أن يبحث .

طبع بمطبعة النجاح = الدار البيضاء
عام ١٣٨٣ هـ = الموافق ١٩٦٣ م